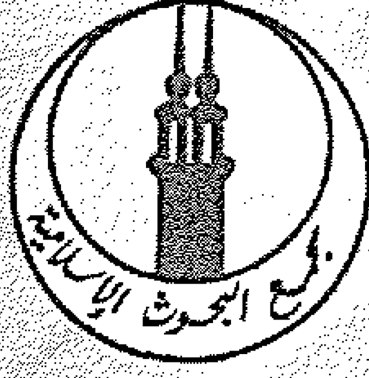
الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
رجب ١٤٢٧هـ - أغسطس ٢٠٠٦ - الجزء «٧» السنة «٧٩»

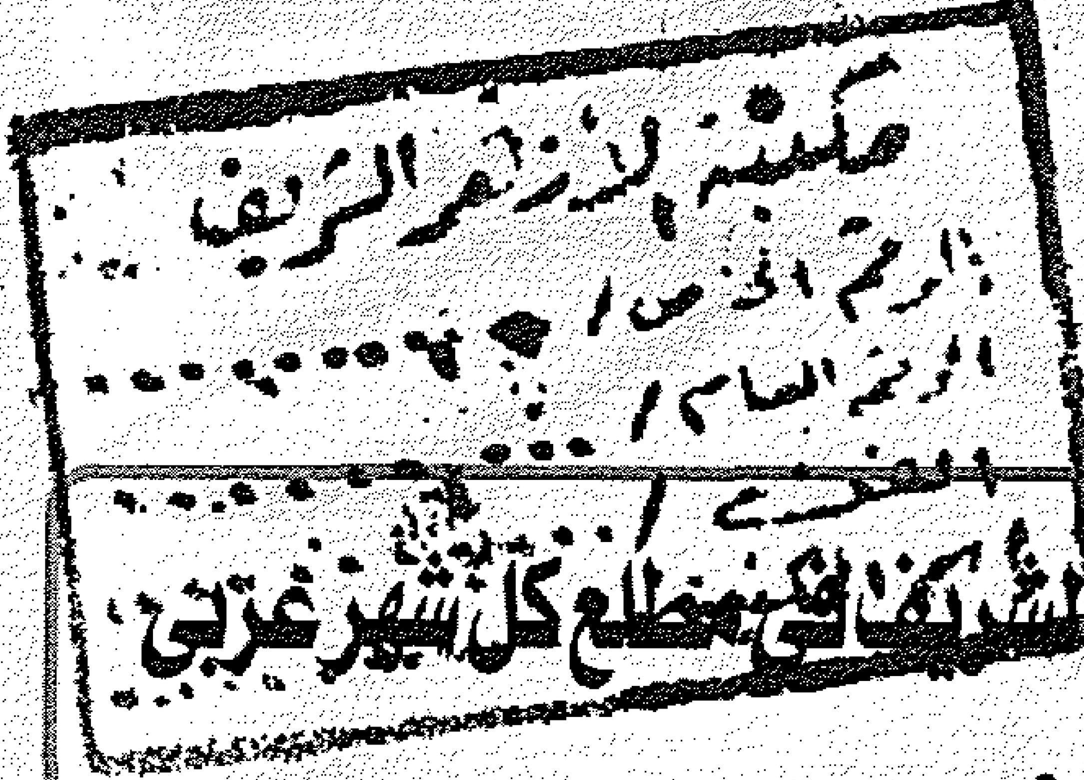
هدية العدد
قصة التفسير «الجزء الثانى»

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا
مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا
ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر



مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً

أوربا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

رجب ١٤٢٧هـ - أغسطس ٢٠٠٦م - الجزء السابع - السنة التاسعة والسبعون

افتتاحية العدد

من مصائب المجتمع

الدروس الخصوصية أسقطت التلميذ الفقير

كنت أزور بعض الناس للحديث فى موضوع مشترك، وقد أراد إشعال السيجارة فلم يجد الكبريت، فانطلق يدعو ابن البواب ليشترى له المطلوب من محلّ فلان ! هكذا عيَّن صاحب المحلّ، وانطلَق المسكين فوجد المحلّ موصدا، فرجع يخبره بما كان، فما كان من صاحبى إلا أن انفجر فى وجهه، وقال لى إن هذا الولد مثالُ الغباء، وقد طُرِد من المدرسة لأنه تخلف، ولم يجز الامتحان ! !وظهر التألم على وجهى بعد أن آثرتُ السكوت، فسألنى عما اعترانى، فقلت له : إنى تألمت لسببين لا لسببٍ واحد، فأنت الذى حددت له اسم البائع.. وقد التزم بقولك فلا ملام، ثم إنه طُرِد من المدرسة لتخلفه، وكان من المتوقع أن يتخلف فجميع سكان العمارة، يُتعبونه نازلاً صاعداً فى شراء ما يلزم بعد أن يأتى من المدرسة وليس فى حجرة أبيه بأسفل العمارة مكان يصلح لاستذكار دروسه إذا أراد ذلك بعد تعب اليوم الطويل، والمدرسة اليوم كما نعلم لا تعطى درسا ما يساعد على النجاح، وأنت وأنا نعطى الدروس الخاصة الضرورية لأبنائنا وبدونها لن ينجح تلميذ مهما ارتاح فى منزله، ولم يكن خادما يذهب ويجىء ! فالتلميذ المسكين لم يتخلف لإهماله ولكن، احتياج والده قد أعده ليكون خادما لا تلميذا والمدرسة من ناحيتها - للأسف - مدرسة صورية لا حقيقية، تُعد الفصول والمدرس والحصص الدراسية إعدادا لا يفيد غير من يأخذ الدرس الخصوصى من المدرس ! أفيكون التلميذ بعد ذلك مثال الغباء، وقد طرد من المدرسة لأنه متخلف كما تقول ؟ ! إنه ذو حظ تعيس !.

تكافؤ الفرص

رجعت ضائقا محزونا أفكر فى حالة التلميذ الفقير فى المدرسة بين الأمس واليوم، كان التلميذ قديما فى ما قبل المرحلة الجامعية يجد الجو المدرسى الملائم ليتلقى الدروس، فالأستاذ يؤدى واجبه كأحسن ما يكون والتلميذ الفقير يجد ما يجد التلميذ الثرىّ من الإقبال والاهتمام، فميدان التسابق متكافىء لا شذوذ به، وإذا رجع إلى منزله استطاع أن يراجع ما أخذ من الدروس دون حاجة لدرس خاص، وهو يعلم أن المدرسة فرصته الوحيدة لإشراق مستقبله، وأبوه يؤكد له ذلك بمظهره ومخبره، فيؤثر الاجتهاد، ويجتاز الامتحان بنجاح!.

كان تكافؤ الفرص عاملا رئيسيا فى إيجاد الطبقة المتوسطة فى الشعب، وهى التى تقوم بالدور الرئيسى فى التقدم الاجتماعى، لأن اجتهاد أبناء الفقراء فى المدرسة قد دفعهم إلى الصفوف الأمامية فنالوا الوظائف المناسبة، ولديهم من الكفاح الذى مرنوا عليه من قبل ما يدفعهم إلى الجد الصارم فى مزاولة أسباب الحياة، ثم جاء دورهم فى الإنجاب، فحرصوا على مستوى مشرف لأبنائهم لم يحظوا به من قبل، فوجد جيل جديد من هؤلاء يعتمد على نفسه بإرشاد المسئولين من آبائه، واتصلت الحلقات لتؤدى إلى المزيد، ولا يمكن فى الظروف الأليمة للمدارس اليوم أن تواصل رسالتها فى تقدير المجتهد، وتزكية النابه، فتكون النتيجة أن يرسب التلميذ الفقير، وأن يخرج إلى المجتمع عاطلا لا يجد ما يعمل، وتلك هى المأساة!.

أعرف أن الفقر مدرسة النبوغ، وأن الألم يلهب فيلهم، ولكن متى؟ إذا فُتحت النوافذ للمعرفة، ووجد التلميذ البائس جوا يساعده على النمو التعليمى، أما أن تحقق المدرسة إخفاقا تاما فى رعاية هذا التطلع إلى الحياة الكريمة، وأما أن يضيق به والده البائس فيرميه إلى الشارع دون اهتمام، فإن طوفان التشرد سيمتد بأوبئته الوخيمة دون انقطاع.

باب واسع للمشردين

والتشرد نكافحه بالمسكنات فقط، فالملاجىء والإصلاحيات، لا تستوعب أكثر من عشرة فى المائة ممن لا يزالون يجمعون أعقاب السجائر، ويتسللون إلى الجيوب فى الزحام الحاشد، بوسائل المواصلات، ويخطفون حقائب الصغار من طلاب المدارس ويبحثون فى المزابل عن فتات الطعام شركة مع القطط والكلاب، بعض هؤلاء هم تلاميذ المدارس الذين لم يعرفوا سبل النجاح، فضاق


عبدالعزيز جاويش

بهم ذووهم ممن يضيقون بنفوسهم قبل أن يضيقوا بأبنائهم، فرموهم إلى الطريق، وفيهم من اعتمد عليهم فى أكل عيشه، فحبّذ لابنه أن يسرق وأن يتسول ليعود مساء إليه بما يمسك رمقه! ولازال شعار «محو الأمية» بعد ذلك يطلق مقرونا برسالة التعليم الابتدائى، فلم تُمح الأمية، ولكنها فتحت بابا واسعا للمتشردين!.

كان المغفور له الأستاذ عبدالعزيز جاويش قد قدم مشروعا عملياً سنة ١٩٢٥م إلى وزير المعارف محمد توفيق رفعت باشا، يدعو فيه إلى أن تكون المدرسة الأولية ذات رسالتين رسالة تربوية وهى محو الأمية ورسالة عملية وهى تهيئة التلميذ منذ بدء حياته إلى عمل صناعى أو زراعى، تضمن له الكسب إن خرج من المدرسة الأولية واكتفى بها، بحيث تكون مسائل التربية التعليمية مقتصرة على الضرورى الذى يمحو الأمية ويلم بمبادىء الحساب والدين والكتابة فقط، لتجد التربية العملية نصيبها فى إعداد العامل والزارع فى الريف على نحو أخص، ولو أخذ بهذا الاقتراح، وقامت الوسائل الصحيحة على تنفيذه، لوجد التلميذ الذى لم يوفق فى دروس الثقافة له بابا للارتزاق بما أتقن من حرفة قد تكون السباكة، أوالنجارة أوالزراعة أو الحدادة، وحينئذ يجد باب الرزق.

المدارس الفنية الآن لا تؤدى رسالتها على الوجه المنشود مع أنها تلى المرحلة الإعدادية لمشاعل التوجيه الصالح فإذا كنا لا نستطيع الآن مواجهة الدروس الخصوصية فى مدارس الحضانة والمدارس الابتدائية وإذا كان أبناء الفقراء يتعثرون فى خطواتهم لعدم قيام المدرسة بواجبها المنوط بها، فإن الواجب الحتم لذلك هو أن نعود إلى اقتراح الأستاذ عبدالعزيز جاويش، لأنه يفتح باب العمل للتلميذ حين تضيق أمامه سبل الدراسة المنتظمة فيخرج إلى العالم الفسيح دون نصير.

تعليم بلا مضمون

وحين أكرر فزعى لفراغ المدارس من مضمونها الحقيقى الذى أنشئت من أجله، أجد من يعارض هذه الحقيقة السافرة، مستدلا بما تنشره الجرائد من تقدم التعليم باتخاذ الوسائل الحضارية من إنترنت وتليفزيون وأجهزة لم تكن معروفة من قبل، ولكن ذلك كله شىء، والخواء الفارغ فى تأدية المدرسة رسالتها على الوجه المنشود شىء آخر، والحديث فى هذا شبيه بالحديث

عن المجانية المزعومة فى التعليم، لأن أولياء الأمور قد زهقت أرواحهم بنفقات الدروس الخصوصية التى أصبحت قضاءً وقدرا لا محيد عنه، ويتمنون بفارغ الصبر أن تمحى المجانية وتعود المصروفات المدرسية مُضاعفةً مضاعفة لتمحو بلاء الدروس الخصوصية ولو كانت المدرسة تقوم بواجبها على النحو المنشود لما باع الآباء الضرورى من أثاث المنزل، والكمالى من حُلى الزوجة، واليسير الضئيل من العقار، ليطفئوا بلاء هذه الدروس، ثم ماذا بعد ذلك كله؟! ماذا بعد التخرج من الجامعة، وقد بلغت الروح الحلقوم لدى الأب والأم، إنها البطالة الصارخة التى تجعل حامل الليسانس والبكالوريوس مثل الذى لم يتعلم حرفا واحدا فى سنة دراسية! بل ربما يفوقه هذا الأخير بما مارسه فى الحياة العملية من مهارات لم تُهيأ له، أليس هذا هو الواقع المرير؟.

والمشكلة التى يشير إليها عنوان هذا المقال لاتزال قائمة لا تجد أدنى حل يريح، أفنترك التلميذ المسكين الذى لم يُوفق إلى اجتياز سنوات التعليم الابتدائى هكذا؟؟، أنتركه حيث لا يهتم به ولى أمر يرعى حقوق الأبوة، بل يكون فى بعض أحواله كما أسلفت من قبل عاملا أساسيا فى انحدار فلذة كبده إلى أسوأ الدركات أم نبحث عن علاج منقذ لهذه الزهرات الغضة التى تفاجئها عواصف الرياح بما يعجل ذبولها السريع؟

إن الرأى الذى أراه أن تقوم جوار المدرسة الابتدائية التعليمية المدرسة الابتدائية العملية فتتلقى الذين لم يستطيعوا الانتظام المدرسى، ليتعلموا الحرف المهنية التى تهيئهم للحياة، فتكون بها فصول للزراعة والحدادة والسباكة والنجارة بحسب ما تتطلبه البيئة الجغرافية، فإذا قضى التلميذ سنوات الدراسة بهذا النمط من التعليم فإنه سيتجه تلقائيا إلى الكسب الشريف، وسيجد من يرحب به فى مجالات الإنشاء والتعمير، وينجو من سيطرة والد قد يضطره إلى ما لا يليق إذ فى محاضر بعض مراكز الشرطة انحرافات شائنة لأبناء صغار كانوا ضحية توجيه الآباء المنحدرين، بل ماذا أقول حين أجد فى بعض هذه المحاضر إنحرافات لبنات صغيرات كنّ ضحايا التوجيهات الآثمة للأمهات والآباء معا، ولابد أن تكون بهذه المدارس العملية فصول للفتيات الصغيرات حيث يدربن على ما يليق بهن من فنون التطريز والأشغال المنزلية، والحياكة مما يؤهلهن للكسب الشريف، وهنا يبدأ الإنقاذ العملى للتلميذ المسكين!.

التلميذ الفقير ضاعت حقوقه

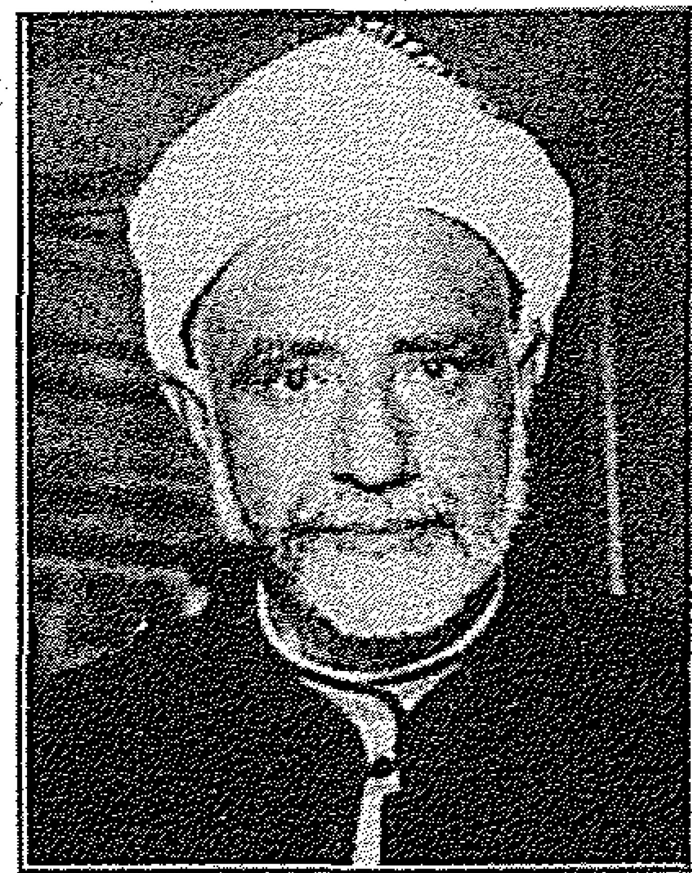
إن المسألة الخافية عن كثير ممن يتحدثون عن بلاء الدروس الخصوصية أنها منعت كثيرا من أبناء الفقراء عن التعليم فى المرحلة الأولى، وبخاصة حين قررت اللغة الإنجليزية على التلاميذ وأصبح الدرس الخصوصى ـ بلا مراء أداة النجاح، والذى سيواصل حضوره دون درس سيتكرر رسوبه، ويقذف به إلى الخلاء، ومع اشتداد أعباء الحياة، سيعجز ولى الأمر الفقير فيما بعد التعليم الابتدائى عن مساعدة بعض بنيه فيكتفى بواحد أو اثنين، وقد يكون فيمن أجبروا على الامتناع من ذوى الذكاء من كان يُرجى لهم حُسن المستقبل إن سارت الريح رخاء دون إعصار، وبذلك تفقد الأمة من أعضاءها الصلاب ممن كان يرجى منهم أن يكونوا عونا على النماء الاجتماعى، فأصبحوا قانعين بالكفاف فلماذا لا يتحدث التربويون عن هذا الخطر الذى بدت مظاهره على نحو صريح، ولماذا تُعقد المؤتمرات متحدثة عن المناهج والتطور المتخذ من وسائل الحضارة فى المعامل والفصول ما يُعد جديدا فى بابه، ثم لا يلتفت المتحدثون إلى الذين سيحرمون لعجز الآباء، واشتداد الأزمة المالية على نحو لا يبشر بالانفراج، بل لماذا لا يسكت المتحدثون كل يوم فى مؤتمرات المرأة عما يكررونه دائما من التطلع إلى حقوق مظهرية يعدونها وسيلة التقدم الحضارى ثم يسكتون عامدين عن هوان المرأة الذليل فى القنوات الفضائية حين تبدو كالعارية فى الغناء، وحين تبدى من أنواع التبذل الشائن فى القبل والعناق والاحتضان والارتخاء مما يجعلها سلعة تباع بأرخص الأثمان وقد كادت تستغنى عن ورقة التوت؟، هل فكر الداعون إلى حقوق المرأة فى اجتماعات مظهرية لا خير من ورائها فيما يشاهدون من بلاء ماحق سيمزق الأسر شر تمزيق! لقد كنا نطلب من هؤلاء احتجاجا قوليا فقط يظهر أنهم يحافظون على كرامة المرأة المهدورة، ولكنهم فى رأيى لا يعدون ما تظهره القنوات العابثة موضع اعتراض، بل لعله فى رأيهم بعض الخلوات السريعة فى طريق التقدم المنشود، ثم أليست رعاية الطفل الفقير، والعمل على رفع مستواه التعليمى من أوائل ما تتوجه إليه الفاضلات من المتحذلقات أم أن المرأة شىء، والطفل شىء آخر مع أنه لديها كل شىء فى الحياة!.

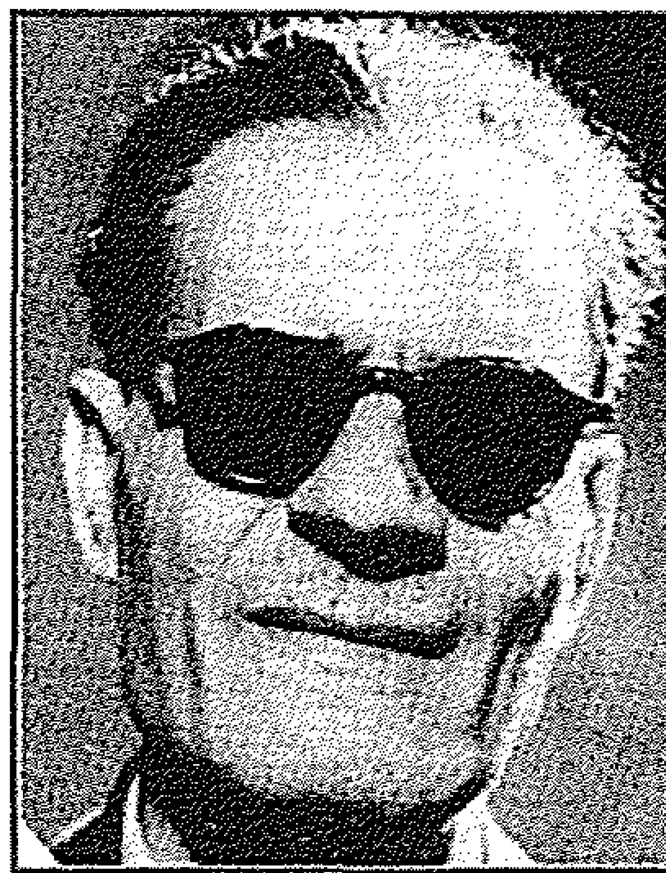
لعلى استطردت قليلا فإن القلم يقودنى كثيرا دون أن أقوده، ولكنى أعود إلى الموضوع فأعلن أن التلميذ الفقير ضاع حقه نهائيا الآن، لأن المدارس كما يشهد الله ويشهد جميع العارفين ليست إلا فصولا وأدراجا فحسب، فالمدرس فى تسعين فى المائة لا يقوم بواجبه

إطلاقا، مكتفيا بالدلائل المظهرية من إعداد كراسة التحضير وكتابة على السبورة وأغرب ما يفاجئنا فى هذا الأمر أن المدرسة الإعدادية والمدرسة الثانوية بكل واحدة منها أكثر من خمسة وكلاء مع المدير والناظر وطابور المدرسين الأوائل، فماذا يفعل هولاء ولماذا لا يختص كل وكيل بدور من أدوار المدرسة فيمر على كل درس بالفصل، ويراجع السبورة، ويوقع على الكراسات ملاحظا خطوات التقدم التدريجي، فإذا استشعر المدرس محاصر تماما بالرقابة اليقظة أدى واجبه، وأتاح للتلميذ الفقير أن يجد ما يُعينه على المذاكرة حين يتعذر الدرس الخصوصى على أمثاله. أذكر أنى كنت فى الستينيات مدرسا بالمنصورة الثانوية، وكان الناظر من الحزم والجد بحيث يواصل المرور يوميا على الفصول، والمدرسة حينئذ كالجامعة إذ بها اثنان وثمانون فصلا! والعمل برعاية الناظر يؤدى على أحسن ما ينتظر، أذكر أن مدرسا للرياضة كان عند الناس من المقربين للناظر، وقد تلقى هذا الناظر الإدارى الحازم ورقة من طالب مجهول تقول إن المدرس يكتفى بكتابة مسألة حسابية على السبورة، ويتركنا بعد ذلك دون أن يشرح شيئا، فما كان من الناظر الأستاذ مسعد المصرى - رحمه الله - إلا أن جال جولة أولى فى مبدأ الحصة، وشاهد المسألة على السبورة، وظن المدرس أن بعد هذا المرور لا يعقل أن يجيء مرة ثانية ولكنه قبل انتهاء الحصة بثلاث دقائق اتجه إلى الفصل ورأى المسألة الحسابية هى هى دون أن يضع المدرس جديدا فتحقق من صدق الشكوى، وطلب من المدرس أن يعجل بالحضور إليه ليختار مدرسة أخرى إذ أن مثله فى خموله لا يجوز أن يكون من أعوانه! هذه اليقظة الإدارية ذات الإخلاص الصارم تمت بجهود إنسان واحد! فكيف بطابور الإداريين والموجهين؟! رحم الله الأستاذ حسن مسعد المصرى وأكرم مثواه!.

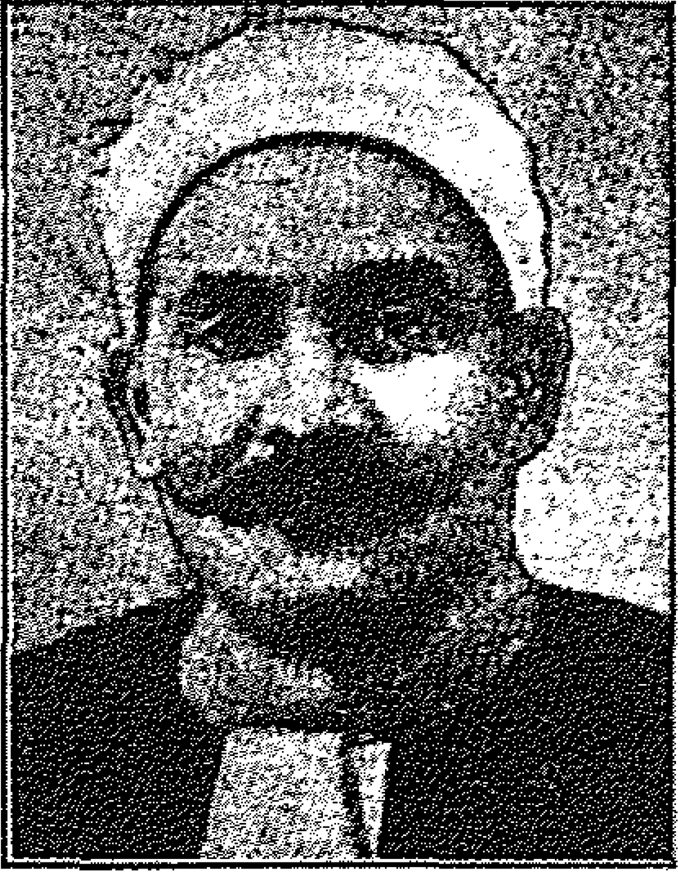
وقد تطالعنا الصحف كثيرا بوكلاء الوزارة فى الإدارات المختلفة يعرضون الكمبيوتر والإنترنت وبعض المستحدثات ويزهون بأنها أصبحت من مستلزمات الطلاب، فكانت دليلا لا يُجحد على التقدم المدرسى، والواقع المرير أن التلميذ لا يستفيد منها شيئا ذا بال، إذ لا يقوم المدرس بجهد ما غير التنبيه على الدرس الخصوصى بالمنزل وهكذا تقدم الأطباق الشهية مليئة باللحم والفاكهة والحلوى وليس لدى التلاميذ أسنان تساعد على الهضم! والصور كل يوم تملأ الصفحات!.

إن مشكلة الطالب الفقير فى عصر الدروس الخصوصية مشكلة قائمة لا سبيل إلى تجاهلها،


المراغى


طه حسين


أحمد أمين


المنفلوطى

لأنه لا يحصّل فى المدرسة قليلا ولا كثيرا، وسيتقهقر فى الامتحان لا محالة، وإذا تكرر رسوبه طرد إلى الشارع لأنه لم يجد المدرس الموجه، بل لأنه تلميذ فاشل! وهو فى أعماقه يعلم أنه ليس أقل جدارة من الناجحين، ولكنهم أخذوا الدروس، وباء بالحرمان.

الحرية التى كانت

إن الفقر المادى لا يَعيب التلميذ، ولكنه يعيب مجتمعه المظلوم، وقد كتب الأستاذ فتحى رضوان فى كتابه «أفكار الكبار» فصلا بارعا عن الدكتور زكى مبارك فأكد فيه أنه نشأ فى الأزهر، والأزهر مدرسة الفقراء، لأن التعليم به بالمجان، لذلك سطع فى مصر بين نجومه من أبناء الفقراء من كانوا من أعلام العصر، وأخذ الأستاذ فتحى رضوان يذكر من هؤلاء النوابع : محمد عبده، والمراغى، وشلتوت، وطه حسين، وأحمد أمين، والمنفلوطى، ودراز، وأبا العيون القاياتى، والهلباوى، ومحمد أبا شادى، الههياوى، وأحمد إبراهيم، وعبدالوهاب خلاف، وأبازهرة، وعبدالله النديم، وآخرين يجدهم القارىء فى ص٥٤ من الكتاب، وأزيد على ما ذكره الأستاذ فتحى رضوان فأقول. إن الأزهر فى هذا العهد كان المعهد الوحيد الذى يخاف فيه الأستاذ من التلميذ! أجل يخاف الأستاذ من التلميذ، إذ لابد أن يوجد فى كل حلقةٍ من حلقات العلم ثلاثة أو أربعة من الطلاب، قد ذاكروا الدرس مذاكرة تامة قبل ميعاده، وتربصوا بالأستاذ فى شرحه، فلا يتركونه دون أن يجيب عن أسئلتهم الدقيقة، وقد يُخطىء المراد فى مسألة فيتصدى له الطلاب فى حرية مكفولة لا تعرف الانزواء، وهنا يكون الدرس أشبه بالحومة! فهل يوجد الآن فى أى معهد مدنى أو دينى هذه الحرية المفرطة فى السؤال والجواب، وتأكيدا لذلك أستشهد بما ذكر الدكتور طه حسين فى الجزء الثانى من «الأيام» حين قال عن حوار قام بينه وبين بعض الأساتذة


دراز

وهو طالب مبتدىء فى الأزهر «لقد أتعب الفتى - يريد نفسه - شيخه حوارا وجدلا حتى سكت الشيخ فجأة أثناء هذا الحوار، ثم قال فى صوت حلو لم ينسه صاحبنا قط : «الله يحكم بينى وبينك يوم القيامة» ! ! ص١٣٠ من «الأيام» لقد كان الأزهر يومئذ متنفسا لأبناء الفقراء ووجدوا فى دروسه ما سبقه بهم إلى التقدّم فى مضمار الحياة ! فأين يجد الآن من تتقاذفهم الطرقات دون نصير ! أين يجدون الدرس المستوفى والمدرس القويم ؟ .

ويح التلميذ الفقير ، حين ينبذ بالعراء وهو مذموم ! لأن والده لا يقوم بنفقات المنزل إلا بشق النفس ! فمن له بمئات الجنيهات تبذل لولد واحد ، ولديه عدة أولاد ! إن أكثر القائمين الآن على شئون البلاد فى جميع مرافقها ، من الذين تعلموا بالمدارس حين لم يكن هناك مجال للدروس الخصوصية ، وبانتظام الدراسة التعليمية آنذاك استطاعوا أن يأخذوا أرقى الشهادات وأن يكونوا من ذوى الشأن فى إدارة البلاد ، ولو كان الأمر حينئذ هو الأمر المشاهد اليوم لما استطاع الكثير منهم مواصلة التعليم ، ولكان حظهم البائس كحظ تلاميذ اليوم ، أفلا ينظرون إلى معاناة الفقير الذى لا يملك نفقات الدروس الخصوصية فى ضوء ما كان يتهددهم لو ووجهوا بهذه الأعباء ؟ !

ولست بذلك أضائل من مكانتهم فى المجتمع ، فالمرء بعمله وجده ، لا بماله ونسبه وقد كان والد إسماعيل صبرى باشا الشاعر العظيم متواضعا فى وظيفته ، وحين بلغ إسماعيل صبرى مبلغه من النبوغ فى الأدب ، والرفعة فى المناصب ، تحدث عنه حاقدوه بما يشى بتواضع أبيه فرد عليهم شوقى ردا مفحما حين قال فى رثائه :

إن فاته نسب الرضى فربما ... جريا لغاية سؤدد وطراف
شرف العصاميين صنع نفوسهم ... من ذا يقيس بهم بنى الأشراف ؟
قل للمشير إلى أبيه وجده ... أعلمت للقمرين من أسلاف ؟

وفى هذا بلاغ ! ! .

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ (١١٠) لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾

(الآيات من ١١٠ إلى ١١١)

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ كُنتُمْ ﴾ يصح أن تكون من كان التامة التى بمعنى وجد وهى لا تحتاج إلى خبر فيكون المعنى وجدتم خير أمة أخرجت للناس، ويكون قوله ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ بمعنى الحال.

وبهذا الرأى قال جمع من المفسرين.

ويصح أن تكون من كان الناقصة التى هى ـ كما يقول الزمخشرى ـ عبارة عن وجود الشيء فى زمان ماض على سبيل الإبهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ فيكون المعنى: قدرتم فى علم الله ـ تعالى ـ خير أمة أخرجت للناس.

ويجوز أن تكون بمعنى صار. أى تحولتم يا معشر المؤمنين الذين عاصرتم النبى ﷺ من

جاهليتكم إلى أن صرتم خير أمة.

وقيل: إن «كان» هنا زائدة، والتقدير: أنتم خير أمة. ورد هذا القول بأن كان لا تزاد فى أول الكلام.

والظاهر أن الرأى الأول الذى يقول إن ﴿ كُنتُمْ ﴾ هنا من كان التامة هو أقرب الأقوال إلى الصواب «ويليه الرأى الثانى الذى يرى أصحابه أن ﴿ كُنتُمْ ﴾ هنا من «كان» الناقصة إلا أنها هنا تدل على تحقق شىء بصفة فى الزمان الماضى من غير دلالة على عدم سابق أو لاحق.

والخطاب فى هذه الآية الكريمة بقوله ـ تعالى ـ ﴿ كُنتُمْ ﴾ للمؤمنين الذين عاصروا النبى ﷺ ولمن أتى بعدهم واتبع تعاليم الإسلام إلى يوم الدين.

ولذا قال ابن كثير: والصحيح أن هذه الآية عامة فى جميع الأمة. كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم، كما قال ـ سبحانه ـ فى الآية الأخرى

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

وقد وردت أحاديث متعددة فى فضل هذه الأمة الإسلامية، منها: ما جاء فى مسند الإمام أحمد وفى سنن الترمذى وابن ماجة من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله ـ تعالى ـ»[1].

والمعنى: وجدتم يا معشر المسلمين العاملين بتعاليم الإسلام وآدابه وسننه وشريعته خير أمة أخرجت وأظهرت للناس، من أجل إعلاء كلمة الحق وإزهاق كلمة الباطل، ونشر الإصلاح والنفع فى الأرض.

وقوله ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ خبر كنتم على أنها من كان الناقصة.

وجملة ﴿ أُخْرِجَتْ ﴾ صفة لأمة، وقوله ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ متعلق بأخرجت، وحذف الفاعل من ﴿ أُخْرِجَتْ ﴾ للعلم به أى: خرجها الله ـ تعالى ـ لنفع الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.

فالجملة الكريمة تنوه بشأن الأمة الإسلامية وتعلى من قدرها، فهل تعى الأمة الإسلامية هذا التنويه من شأنها وذلك الإعلاء من قدرها فتقوم بدورها الذى اختاره الله لها، وهو نشر كلمة التوحيد فى الأرض وإحقاق الحق وإبطال الباطل شكراً لله ـ تعالى ـ على جعله إياها خير أمة أخرجت للناس؟!.

إن واقع المسلمين الملىء بالضعف والهوان، والفسوق والعصيان يدمى قلوب المؤمنين

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص٣٩١

الصادقين، ويحملهم على أن يبلغوا رسالات الله دون أن يخشوا أحداً سواه حتى تكون كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

ثم بين ـ سبحانه ـ الأسباب التى جعلت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس فقال:

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

والمعروف: هو كل قول أو عمل حسنه الشرع، وأيدته العقول السليمة، والمنكر بعكسه.

والمعنى: وجدتم خير أمة أخرجت للناس، لأنكم تأمرون بالمعروف أى بالقول أو الفعل الجميل المستحسن فى الشرائع والعقول.

﴿ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ أى كل قول أو فعل قبيح تستنكره الشرائع ويأباه أهل الإيمان القويم، والعقل السليم.

و﴿ وَتُؤْمِنُونَ ﴾ بالله أى تصدقون وتذعنون بأنه لا معبود بحق سواه، وتخلصون له العبادة والخضوع، وتطيعونه فى كل ما أمركم به أو نهاكم عنه على لسان رسوله محمد ﷺ.

فأنت ترى أن الخيرية للأمة الإسلامية منوطة بتحقيق أصلين أساسيين:

● أولهما: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأنهما سياج الدين، ولا يمكن أن يتحقق بنيان أمة على الخير والفضيلة إلا بالقيام بهما، فهما من الأسباب التى استحق بنو إسرائيل اللعنة من أجل تركهما، فقد أخرج أبو داود فى سننه عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول له: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال ﷺ:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

[المائدة: ٧٩]

ثم قال: «كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذون على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا ـ ولتحملنه على اتباع الحق حملا ـ أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم».

● وثانيهما: الإيمان بالله ـ تعالى ـ وبجميع ما أمر الله ـ تعالى ـ بالإيمان به.

هذان هما الأمران اللذان يجب أن يتحققا لتكون هذه الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس لأن الأمة التى تهمل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا تؤمن بالله لا يمكن أن تكون خير أمة، بل لا توصف بالخيرية قط، لأنه لا خير إلا فى الفضائل والحق والعدل، ولا تقوم هذه الأمور إلا مع وجود الإيمان بالله وكثرة

الدعاة إلى الخير والناهين عن الشر، ويكون لدعوتهم آثارها القوية التى تحيا معها الفضائل وتزول بها الرذائل.

وكأنه ـ سبحانه ـ قد أخر «الإيمان بالله» عن «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» ليكون كالباعث عليهما لأنه لا يصبر على تكاليفهما ومتاعبهما إلا مؤمن يبتغى وجه الله ويركن فى كفاحه إليه. فهذا الإيمان بالله هو الباعث للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، على أن يبلغوا رسالات الله، دون أن يخشوا أحدا سواه.

وقيل: إنما أخر الإيمان على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة كما هو الظاهر، لأن الإيمان مشترك بين جميع الأمم دون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فهما أظهر فى الدلالة على الخيرية للأمة الإسلامية.

وجملة

﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾

يجوز أن تكون حالية من ضمير الخطاب فى ﴿ كُنتُمْ ﴾ ويجوز أن تكون مستأنفة للتعليل، وهذا ما ذهب إليه الفخر الرازى، فقد قال:

«واعلم أن هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية، كما تقول. زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم، وتحقيق الكلام أنه ثبت فى أصول الفقه أن ذكر الحكم مقروناً بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف فههنا حكم الله ـ بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمة. ثم ذكر عقيب هذا الحكم هذه الطاعات أعنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان، فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبارات[٢].

وقال الإمام ابن كثير ـ بعد أن ساق بضعة عشر حديثا فى فضل هذه الأمة: فهذه الأحاديث فى معنى قوله ـ تعالى ـ

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾

فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم فى هذا المدح، كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رأى من الناس دعة فى حجة حجها فقرأ هذه الآية.

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

ثم قال[٣]: من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها»، رواه ابن جرير. ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله:

﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾

وبعد أن مدح ـ سبحانه ـ هذه الأمة على هذه الصفات شرع فى ذم أهل الكتاب

(٢) تفسير الفخر الرازى ج٨ ص١٩١

(٣) تفسير ابن كثير ج١ ص٣٩٦

وتأنيبهم فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

أى بما أنزل على محمد ﷺ

﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾

أى لكان إيمانهم خيراً لهم فى دنياهم وآخرتهم ولنالوا الخيرية التى ظفرت بها الأمة الإسلامية ولكنهم لم يؤمنوا فامتنع الخير فيهم لامتناع الإيمان الصحيح منهم، ولإيثارهم الضلالة على الهداية، فهذه الجملة الكريمة معطوفة على قوله ـ تعالى ـ:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾

.. ومرتبطة بها.

ولم يذكر متعلق ﴿ ءَامَنَ ﴾ هنا لأن المراد لو اتصفوا بالإيمان الذى هو لقب وشعار للإيمان بدين الإسلام الذى أتى به محمد ﷺ، وهو الذى منه أطلقت صفة الذين آمنوا على المسلمين فصار كالعلم بالغلبة.

وقال ـ سبحانه ـ

﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾

أى: لو آمنوا لكان إيمانهم خيراً لهم بدون تفصيل لهذه الخيرية لتذهب نفوسهم كل مذهب فى الرجاء والإشفاق.

ثم أخبر ـ سبحانه ـ بأن قلة من أهل الكتاب اختاروا الإيمان على الكفر فقال ـ تعالى ـ:

﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

أى: من أهل الكتاب أمة آمنت بالله وصدقت رسوله محمد ﷺ واتبعت ما جاء به من الحق وأكثرهم معرضون عن الإيمان بالله وبرسوله ﷺ وخارجون عن الطريق المستقيم الذى أمرت باتباعه الشرائع والعقول السليمة.

فالجملة الكريمة إنصاف للقلة المؤمنة التى آمنت من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره ممن دخل فى الإسلام. وذم لأكثر أهل الكتاب الذين جحدوا الحق. وخرجوا عن الطريق القويم.

وقوله :

﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، فهى جواب للجملة الشرطية التى قبلها. فكأنه قيل: هل منهم من آمن أو كلهم على الكفر؟. فكان الجواب: منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون.

وعبر عن كفرهم بالفسق، للإشعار بأنهم قد فسقوا فى دينهم أيضاً فهم ليسوا عدولاً فيه، وبذلك يكونون قد خرجوا عن الإسلام وعما أوجبته عليهم كتبهم من الإيمان بمحمد ﷺ.

ثم بشر الله ـ تعالى ـ المؤمنين، بأن هذه الكثرة الفاسقة من أهل الكتاب التى عتت عن أمر ربها وناصبت المؤمنين العداء، لن تضرهم ضرراً بليغاً له أثر ما دام أهل الإيمان مستمسكين بدينهم ومنفذين لتعاليمه وآدابه، فقال ـ سبحانه ـ:

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾

أى «لن يضركم أهل الكتاب يا معشر المؤمنين إلا ضررا يسيرا، كأن يؤذوكم بألسنتهم ويلقوا الشبه بينكم ليصدوا من ضَعُفَ إيمانه عن الحق، وفى هذا تثبيت للمؤمنين، وطمأنينة لقلوبهم، إذ الضرر الذى يصيب الأمة الإسلامية من أعدائها على قسمين:

● أولهما: ضرر يؤدى إلى هدم كيان الأمة، وإضعاف قوتها وإهدار كرامتها وجعل أمورها فى أيدى أعدائها تصرفها كيف شاء.

● وثانيهما: ضرر لا يؤثر فى كيان الأمة، ولا يؤدى إلى اضمحلال قوتها كالأذى بالقول، أو محاولة التأثير فى ضعاف الإيمان.

وقد نفى ـ سبحانه ـ أن يلحق المؤمنين ضرر يأتى على كيانهم من جهة أهل الكتاب فقال:

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾

فأوقع الفعل المضارع فى حيز لن المفيدة للنفى ـ للإشارة إلى أن ذلك لا يكون فى المستقبل.

ولكن هذا النفى لهذا النوع من الضرر مشروط بمحافظة الأمة الإسلامية على الأصلين السابقين وهما «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله».

فإذا أرادت أمة الإسلام ألا تصاب من جهة أهل الكتاب بما يأتى على كيانها، فعليها أن تخلص العبادة لربها، وأن تعمل بسنة نبيها، وأن تتقيد بأحكام كتابها، وأن تباشر الأسباب التى شرعها خالقها للنصر على أعدائها.

أما إذا تركت أمة الإسلام ما أمرها الله ـ تعالى ـ به وتجاوزت ما نهاها عنه فإنها فى هذه الحالة قد تصاب من أعدائها بما يؤثر فى كيانها وتكون هى الجانية على نفسها بمخالفتها لأوامر الله ونواهيه.

هذا، وأكثر العلماء على أن الاستثناء فى قوله:

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾

متصل وأنه استثناء مفرغ من المصدر العام كأنه قيل: «لن يضروكم ضررا البتة إلا ضرر أذى لا يبالى به من كلمة سوء ونحوها.

وقيل هو استثناء منقطع لأن الأذى ليس من الضرر: أى لن يضروكم بقتال وغلبة ولكن بكلمة أذى ونحوها.

ورجح الأول، لأن الكلام إذا أمكن حمله على الاستثناء الحقيقى لم يجز صرفه عن ذلك إلى الاستثناء المنقطع وهنا الأذى مهما قل هو نوع من الضرر وإن لم يترك أثرا.

ثم بشر الله ـ تعالى ـ المؤمنين ببشارة أخرى فقال:

﴿ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾

تولية الأدبار: كناية عن الهزيمة لأن المنهزم يحول ظهره ودبره إلى جهة الذى هزمه هربا إلى ملجأ يلجأ إليه ليدفع عن نفسه القتل أو الأسر.

والمعنى، أن أهل الكتاب لن يضروكم يا معشر المؤمنين إلا ضررا يسيرا لا يبقى أثره

فيكم ـ ما دمتم مستمسكين بدينكم ـ، فإن قاتلوكم وأنتم على هذه الحال، أمدكم الله بنصره، وألقى فى قلوبهم الرعب فيولونكم الأدبار انهزاما منكم، ثم لا يُنْصَرون عليكم بل تُنْصرون أنتم عليهم.

والتعبير عن الهزيمة بتولية الأدبار، فيه إشارة إلى جبنهم وأنهم يفرون فرارا شديدا بذعر وهلع.

وهكذا كان الشأن فى قتال المسلمين الأولين لأعداء الله وأعدائهم، فلقد قاتل المؤمنون اليهود من بنى قينقاع والنضير وقريظة وأهل خيبر فانتصر المسلمون عليهم انتصارا باهرا.

وقاتلوا جموع الروم فى بلاد الشام وفى مصر، فكان النصر المؤزر حليفا للمسلمين مع قلتهم وكثرة أعدائهم.

وقوله: ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ احتراس.

أى: يولونكم الأدبار تولية المنهزم، لا تولية المتحرف لقتال أو المتحيز إلى فئة أو المتأمل فى الأمر.

والتعبير بـ﴿ ثُمَّ ﴾ لإفادة التراخى فى المرتبة: لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليهم الأدبار.

وهذه الجملة خبرية وهى معطوفة على جملتى الشرط وجزائه معا، للإشعار بأن هذا ديدنهم، وأنهم لن ينتصروا على المسلمين لا فى قتال ولا فى غيره، مادام المسلمون مستقيمين على الطريقة التى رسمها الله ـ تعالى ـ لهم.

وقد وضح هذا المعنى صاحب الكشاف فقال: فإن قلت: هلا جزم المعطوف فى قوله:

﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾

قلت: عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل أخبركم أنهم لا ينصرون.

فإن قلت: فأى فرق بين رفعه وجزمه فى المعنى؟. قلت: لو جزم لكان النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الأدبار وحين رفع كان نفى النصر وعدا مطلقا كأنه قال: ثم شأنهم وقصتهم التى أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر، وكان كما أخبر من حال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر فإن قلت: فما الذى عطف عليه هذا الخبر؟. قلت: جملة الشرط والجزاء كأنه قيل: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت: فما معنى التراخى فى ثم؟. قلت: التراخى فى المرتبة، لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار فإن قلت: ما موقع الجملتين، أعنى ﴿ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ و﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ ﴾ قلت: هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب، كما يقول القائل: وعلى ذكر فلان فإن من شأنه

كـيـت وكـيـت ولذلك جـاءا من غـيـر عطف »[٤].

فـأنت ترى الآية الكريمة قد بشرت المؤمنين الصادقين ببشارات ثلاث:

● أولها: أنهم فى مأمن من الضرر البليغ الذى يؤثر فى كيانهم وعزتهم وكرامتهم من جهة أهل الكتاب.

● ثانيها: أن أهل الكتاب لو قاتلوهم، فإن المؤمنين سيكون لهم النصر عليهم.

● ثالثها: أنهم بعد نصرهم عليهم لن تكون لأهل الكتاب ـ وعلى رأسهم اليهود ـ شوكة أو قوة للأخذ بثأرهم بعد ذلك.

وقد تحققت هذه البشارات، وكانت كما أخبر الله ـ تعالى ـ فإن المسلمين الأولين الذين كانوا متمسكين بتعاليم دينهم نصرهم الله ـ تعالى ـ على أهل الكتاب وعلى غيرهم من أعدائهم نصرا مؤزرا ـ كما سبق أن أشرنا ـ.

فإن قال قائل: ولكن الذى نراه الآن أن اليهود الذين لا يمارى أحد فى جبنهم وفى حرصهم على الحياة قد انتصروا على المسلمين وأقاموا لهم دولة فى بقعة من أعز بقاع البلاد الإسلامية وهى فلسطين، فهل يخلف وعد الله؟.

والجواب على ذلك. أن وعد الله ـ تعالى ـ لا يخلف ولن يتخلف وقد حققه ـ سبحانه ـ لأسلافنا الصالحين الذين آمنوا به حق الإيمان.

ولكن المسلمين فى هذا العصر هم الذين تغيرت أحوالهم، فقد فرطوا فى دينهم وأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وتفرقوا شيعًا وأحزابًا وتنكبوا الطريق القويم ولم يباشروا الأسباب التى شرعها الله ـ تعالى ـ لبلوغ النصر، ولم يحسنوا الشعور بالمسئولية.

فلما فعلوا ذلك تبدل حالهم من الخير إلى الشر، ومن القوة إلى الضعف. وسلط الله عليهم من لا يخافهم ولا يرحمهم، لأنه ـ سبحانه:

﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

[الرعد: ١١]

وإذا ما عاد المسلمون إلى دينهم فطبقوا أوامره ونواهيه على أنفسهم تطبيقا كاملا، فإن الله ـ تعالى ـ سيعيد لهم كرامتهم وعزتهم وقوتهم

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[الحج ٤٠]

ومن هنا نعلم أن الشرط فى نفى الضرر الذى يؤثر فى الأمة الإسلامية، هو أن تكون مؤمنة بربها حق الإيمان متبعة لهدى رسولها محمد ﷺ.

(٤) تفسير الكشاف ج١ ص٤٠١

السنة:

هدية الإسراء والمعراج

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

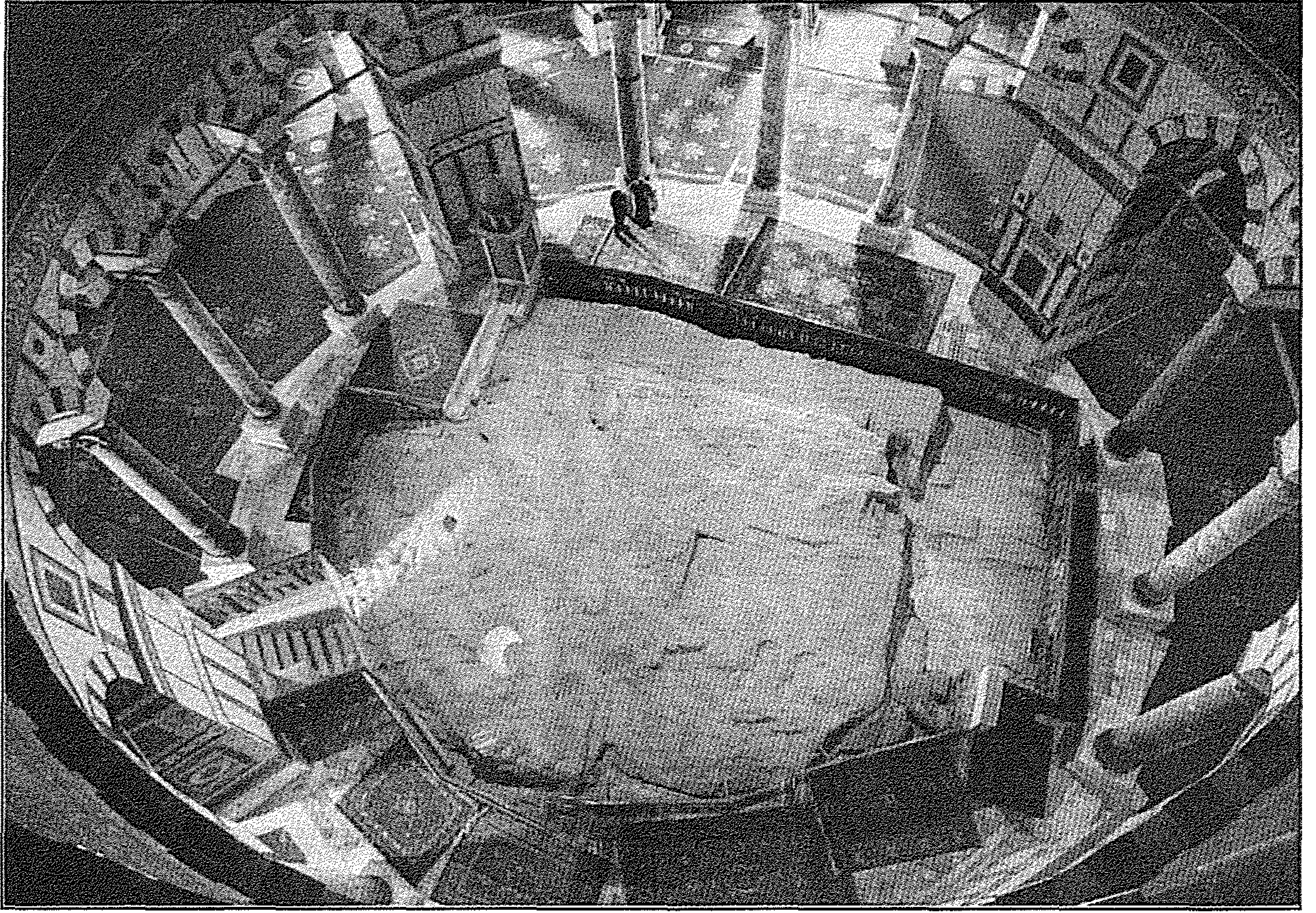
عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: «فرضت على النبى ﷺ» الصلوات ليلة أسرى به خمسين، ثمّ نقصت حتى جُعلت خمساً، ثمّ نودىّ: يا محمد، إنه لا يبدّلُ القول لدىّ، وإنّ لك بهذه الخمس خمسين.

ـ رواه أحمد والنسائى والترمذى وصححه

التعريف بالراوى

هو أنس بن مالك بن النضر الأنصارى الخزرجى النجارى من بنى عدى بن النجار، خادم رسول الله ﷺ، كان يتسمّى به ويفتخر بذلك، وكان يكنى أبا حمزة، كنّاه النبى ﷺ ببقلة كان يجتنيها، وأمه أم سليم بنت ملحان.. وكانت له ذؤابة، فأراد أن يجزها فنهته أمه، وقالت: كان النبى ﷺ يمدّها ويأخذ بها، وداعبه النبى ﷺ فقال له: (ياذا الأذنين) ـ رواه أبو داود، وصححه الألبانى.

وهو من المكثرين فى الرواية عن رسول الله «ﷺ»، روى عنه ابن سيرين وقتادة والحسن البصرى، والزهرى، وخلق كثير، وكان عنده عصية لرسول الله «ﷺ» فلما مات أمر أن تدفن معه، فدفنت معه بين جنبه وقميصه، ودعا له الرسول «ﷺ» بكثرة المال والولد، فولد له من صلبه ثمانون ذكراً وابنتان هما حفصة وأم عمرو، ومات وله من ولده


الصخرة الشريفة

وولد ولده نحو مائة أو يزيد وكان أحد الرماة المصيبين.

وهو آخر من توفى بالبصرة من الصحابة عن عمر ناهز المائة (رضى الله عنه وأرضاه).

اللغويات

● أسرى به: من الإسراء، وهو سير الليل.

● ما يبدّل القول لدىّ: ما يزاد فى القول، ولا ينقص؛ لعلمى بالغيب.

● وإن لك بهذه الخمس خمسين: المراد أنها خمس فى العدد، خمسون فى الأجر والاعتداد.

الشرح والبيان

يستقبل المسلمون فى كل عام ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، وقد شاع بينهم أنها الليلة التى أسرى فيها بالنبى (صلوات الله وسلامه عليه) من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام، ثم عرج به إلى السماوات السبع واحدة فواحدة، إلى الملأ

الأعلى، إلى سدرة المنتهى[1] إلى حيث سمع صريف الأقلام، ورأى البيت المعمور، ومن ثمّ فهم يحتفلون بهذه الليلة من كل عام، ويطيب لهم أن يسمعوا ما يتصل بهذا الحدث العظيم الذى غيَّر وجه التاريخ، وأسعد الإنسانية جمعاء، وكيف لا؟ وهو درس من دروس التربية والتوجيه، له أثره العظيم الفعَّال فى تربية النفوس، وصنع الرجال.

هدية إيمان وجائزة رضوان

فلنذكر به فضل الله (سبحانه) على نبيه «ﷺ» الذى جاهد فى تثبيت هذا الدين ليُسعد الإنسانية به، حتى أنه ضحى فى سبيله بكل ما يملك، واستعمل كل الوسائل الممكنة، ولما أعيته الحيل، وغلبته قريش على أمره، وقعدت له كل مرصد، كرّمه ربه بحادثة الإسراء على صبره، وجزاه خير الجزاء على تحمله، فرفعه إلى درجة لم يصلها أحد من خلقه، لا من النبيين، ولا الملائكة المقربين، وقدّم له أرض الشام أرض فلسطين هدية إيمان، وجائزة رضوان، فأسرى به ليلاً من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بفلسطين، وقد سجل القرآن الكريم ذلك قال تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

[الإسراء: ١]

ووصل الرسول «ﷺ» إلى المسجد الأقصى تكلؤه العناية الربانية، وتشمله الرعاية الإلهية، وفى المسجد الأقصى جمع الله له الأنبياء من لدن آدم ـ عليه السلام إلى عيسى بن مريم (عليه السلام)؛ ليكونوا فى استقبال خاتم الأنبياء والمرسلين، كذلك جمع الله له الملائكة للترحيب بإمام النبيين، وسيد المرسلين، ومن ثمّ تسلمّ النبى محمد «ﷺ» الراية، وأعطى الزعامة والإمامة؛ إذ قدمه جبريل (عليه السلام) فصلى بهم إماماً، ورحب به الأنبياء؛ آدم (عليه السلام). ثم (عيسى) عليه السلام، وبادلهم رسول الله «ﷺ»، فوقف وقال: «الحمد لله الذى شرح لى صدرى، ووضع عنى وزرى، ورفع لى ذكرى، وجعلنى مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، وجعلنى خاتماً للنبيين، فقام خليل الله إبراهيم (عليه السلام) فقال: (بهذا فضلكم محمد) ﷺ، وقد تناول هذا المعنى الشاعر وأنشد:

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكة
والرسل فى المسجد الأقصى على قدم

---

(١) شجرة ينتهى عندها علم الملائكة.



واحدة من شهداء العدوان الإسرائيلى الهمجى على فلسطين

لما خطرت به التفوا بسيدهم
كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذى خطر
ومن يفز بحبيب الله يأتمم

أرض الإسراء تستغيث

وبهذا الموكب العظيم تمّ الاحتفاء بالنبى الكريم، والرسول العظيم «ﷺ» فى المسجد الأقصى، ولن يكون للذكرى أثرها الفعّال، ووحيها العطر، ووجهها المشرق والمسجد الأقصى تحت سيطرة الصهيونية الغاشمة، التى استحلت حرماته، واستبدت بأهله، واستباحت مقدساته، واجتاحت فى الأيام الأخيرة قطاع غزة، وروّعت الآمنين، وهدّمت كثيراً من البنيان، وقضت على معظم البنية التحتية، وقوضت أركان الجسور التى تربط المدينة، وأحالت المدينة إلى ظلام حالك بضرب مولدات الكهرباء، وكلّ ذلك مقابل أسر جندى، واحد من جنود إسرائيل، وقد أسرت فى المقابل عدداً من الوزراء والنوّاب، وأخذ الفلسطينيون يستغيثون فلا مغيث، ويطلبون الحماية والدعم فلا مجيب، فهل يتكاتف المسلمون عامّة فى مشارق الأرض ومغاربها والعرب خاصة لتحرير أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى رسول الله «ﷺ»؛ إذا حدث ذلك (وما ذلك على الله بعزيز) عاد للذكرى جلالها فى الاحتفال بها.

ثمّ عرج به « ﷺ » إلى السماوات وظل يرقى من سماء إلى سماء وبهذا انفرد عن سائر الأنبياء، وقد أنشد الشاعر :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
ياسماء ماطاولتها سماء؟
لم يساووك فى علاك
وقد حال سناً منك دونهم وسناء
إنما مثّلوا صفاتك للناس
كما مثل النجوم الماء

وهكذا كرّم الله (سبحانه) نبيّه « ﷺ » بما لم يكرّم به نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً :

حتى بلغت سماء لا يطار لها
بجناح ولا يسعى على قدم
وقيل : كلّ نبيّ عند رتبته
ويا محمد، هذا العرش فاستلم

ووقف جبريل (عليه السلام) عند هذا الحد، وقال «تقدم يا محمد، فقال النبى ﷺ : أفى هذا المكان يترك الحبيب حبيبه؟! فقال : تقدم، فليس لى أن أتقدم، فلو تقدمتُ احترقت، ولو تقدمتَ اخترقت فتقدم النبى « ﷺ »، وما زال يرتقى، ويرتفع، ويزج به فى الأنوار، ومكامن الأسرار بين صلوات الملائكة، وفى هالة من الإشراق، والأضواء حتى أدناه ربه من الحضرة القدسية (فكان قاب قوسين و أدنى).

التشهد

ـ عندها قال النبى « ﷺ » : (التحيات لله والصلوات الطيبات)، فقال ربّ العزّة (عزّ وجلّ) : (السلام عليك أيّها النبى ورحمة الله وبركاته)، قال النبى « ﷺ » : (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)، فقالت الملائكة : (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله).

هذا ولما قال أصحاب النبى (رضوان الله عليهم) للنبى « ﷺ » : (لقد علمتنا كيف نسلّم عليك، فكيف نصلى عليك؟) قال « ﷺ » : (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد)»[٢].

ومن يومها ونحن نصلي بهذا التشهد فى كلّ صلاة ـ فرضاً أو نفلاً ـ ولا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السير أن الصلاة إنما فرضت بمكة ليلة الإسراء حين عُرج بالنبى « ﷺ » إلى السماء، وذلك منصوص فى

(٢) موطأ مالك - رواية يحيى الليثى ج١/ ١٦٥.

الصحيح وغيره، وقد هبط جبريل (عليه السلام) صبيحة ليلة الإسراء والمعراج على النبى «ﷺ» فعلمه الصلاة ومواقيتها وعدد ركعاتها وكيفية أدائها، وبأدائها فى أوقاتها نحيى هذه الذكرى فى كل وقت.

مكانة الصلاة

فالصلاة هى الهدية التى عاد بها النبى «ﷺ» من رحلة المعراج إلى الأمة فكانت الفريضة الوحيدة التى فرضها ربّ العزة (عزّ وجلّ) فى أحلى لحظات التجلى، وفى كوكبة من الملأ الأعلى، وفى جذوة من النور والإشراق، تنويهاً بشأنها، ورمزاً لمكانتها، وإنه لمن الملاحظ أنّ رحلة الإسراء بدأت بالمسجد الحرام، وانتهت بالمسجد الأقصى، وأنّ الهدية التى عاد بها النبى «ﷺ» من رحلة المعراج للأمة هى الصلاة، والتى من أجلها تبنى المساجد التى قال فيها رب العالمين:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[النور: ٣٦ ـ ٣٨]

فمن شاء من الناس أن يُسرى به ربه، وأن تعرج به ملائكة الرحمة، وأن يتقبل الله منه ما يقدمه من عمل صالح، وعلم نافع ـ فليحافظ على الصلوات الخمس فى مواقيتها، مستكملة الأركان مستوفاة الشروط، وأن يؤديها فى خشوع كامل، وخضوع تام، لأن روح الصلاة خشوعها، قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

[المؤمنون: ٢١١]

وليدم مناجاة ربه بها، إذ هى الصلة التى تصل الخلق بالخالق، وتصلح الأرض مع السماء، وتجلب من الله القرب والرضوان، قال «ﷺ»: (إذا كان أحدكم يصلى فإنما يناجى ربّه، وربُّه بينه وبين القبلة)«٣»، وقال: (إنّ الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ما لم يلتفت)«٤».

وكيف لا؟ وللصلوات على سائر الشرائع ميزات عظيمة: منها أنها فرضت فى السماء دون سائر الفرائض.. وفرضت من الله ـ تعالى ـ لرسوله بلا واسطة، بينما غيرها بواسطة الملك.. كما أنها فرضت خمسين صلاة، ثمّ حصل التخفيف فى عددها إلى خمس، وبقى

(٣) صحيح البخارى ج١/١٤١

(٤) مسند الإمام أحمد ج٤/٢٠٢.

ثواب الخمسين فى الخمس.. أضف إلى هذا وذاك أنها الركن الثانى من أركان الإسلام، فلا يقوم الدين إلا عليها، ولا يكتمل إلا بها بعد التوحيد.. كما أنها تجب على كل مكلف، فلا تسقط، حتى عن المريض، والخائف، والمحارب إلخ. وهى ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وقد قال «ﷺ»: (عُرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم؛ شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان)«٥».

نور ونجاة

وتارك الصلاة على خطر عظيم؛ فقد جاء فى الحديث الشريف عن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) أن رسول الله «ﷺ» ذكر الصلاة فقال: (من حافظ عليها كانت له نوراً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف) ـ رواه أحمد وقال معلقاً عليه: من تركها بسبب جمع المال حشر مع قارون، ومن تركها بسبب السلطان حشر مع فرعون، ومن تركها بسبب السياسة حشر مع هامان، ومن تركها بسبب الجدل والخصام حشر مع أبى بن خلف؛ لأنه كان يجادل رسول الله «ﷺ» فى شأن البعث، فلم يكن عجباً والحال هذا أن يتوقف قبول العمل عند الله على قبول الصلاة، قال «ﷺ»: (أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله)(٦)، وما ذلك إلا لكونها وضعت على أكمل وجوه العبادة وأحسنها، ولجمعها ما تفرّق من العبودية، وتضمينها أقسامها وأنواعها، فهى تكبير لله، وتحميد له، وثناء عليه، وفيها يتلو المصلى كتاب الله، ويصلى ويسلم على رسول الله «ﷺ» وعلى آله، كما أن فيها دعاء للحاضرين، وجميع عباد الله الصالحين، وهى قيام وركوع وسجود وجلوس وخفض ورفع، فكل عضو فى البدن، وكل مفصل فيه له من هذه العبادة حظه، ورأس ذلك كله القلب الحاضر.

فرضها الله ـ تعالى ـ على عباده؛ ليذكرّهم بحقه، وليستعينوا بها على تخفيف ما يلقونه من مشاق هذه الحياة الدنيا، والمجتمع الإنسانى بحاجة ماسة ملحة إلى قوة إيمان ترفع نفسية أفراده على وجه الاستمرار إلى المثل العليا، لئلا يرتبط المجتمع بالحاجات المادية، والمصالح

---

(٥) مجمع الزوائد ح١/٤٧

(٦) سند أبى داود ٨٦٤ بلفظ مختلف

الشخصية التى تؤدى إلى الفساد، والإفساد، كما أن الصلاة طمأنينة فى القلب عند المصائب، وراحة للضمير عند النوائب، وقد دعانا الله (عزّ وجل) إلى أن نستعين بها عند الملمات والمصائب ومشاق الحياة، فقال تعالى:

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾

[البقرة :٤٥]

وقال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾

[البقرة :١٥٣]

ـ كما أن الصلاة تحول بين المصلى، وبين ارتكاب ما حرّم الله (عز وجل)، فالمصلى الخاشع دائماً أبداً يستحضر عظمة ربه، وسلطان خالقه، فلا يجرؤ على مخالفته، ولا يدخر وسعاً فى تقديم ما يرضيه (سبحانه)، فلا يراه ربه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره وهو دائماً أبداً فى صفوف المخبتين الطائعين بعيد كل البعد عن اللاهين العابثين، لا يرضى لنفسه أن يتواجد فى موضع شبهة ولا يقبل على نفسه أن يقع فى معصية. قال تعالى:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾

[العنكبوت :٤٥]

كفارة للذنوب

كما أن الصلاة كفارة للذنوب، ومحو للخطايا:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾

[هود :١١٤]

ولقد روى البخارى عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: كنت عند النبى «ﷺ» فجاءه رجل، فقال: يا رسول الله، إنى أصبت حداً فأقمه على، ولم يسأله عنه ـ أى لم يستفسره ـ قال: وحضرت الصلاة، فصلى مع النبى «ﷺ»، فلما قضى النبى «ﷺ» الصلاة قام إليه الرجل، فقال: يا رسول الله، إنى أصبت حداً فأقم فى كتاب الله، قال: أليس قد صليت معنا؟ قال: نعم، قال: فإن الله قد غفر لك ذنبك، أو قال: حدك).. ألستم معى والحال هذا ـ أنّ تكرار الصلاة فى اليوم والليلة خمس مرات تطهير روحى للمسلم من غفلات قلبه، وزلات لسانه، ومقترفات جوارحه..

وفقنا الله لأدائها كما يحبّ ويرضى.

***

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

مشاهد من رحلة الإسراء والمعراج

لفضيلة الشيخ/
عمر الديب محمود
وكيل الأزهر الشريف

إن الله سبحانه وتعالى حينما أرسل رسوله محمداً ﷺ إلى الأنام برسالة تكمل الرسالات السماوية السابقة، لتكون هذه الرسالة هى آخر الرسالات السماوية الصالحة لكل زمان ومكان، فيها ما يصلح شأن البشرية ويحقق الأمن والسلام العالمى لجميع البشر، وجعل نبيه ورسوله محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ليقوم بتلك المهمة التى شرفه الله تعالى بالقيام بأعبائها مهمة تبليغ تلك الرسالة ليقول لهم:

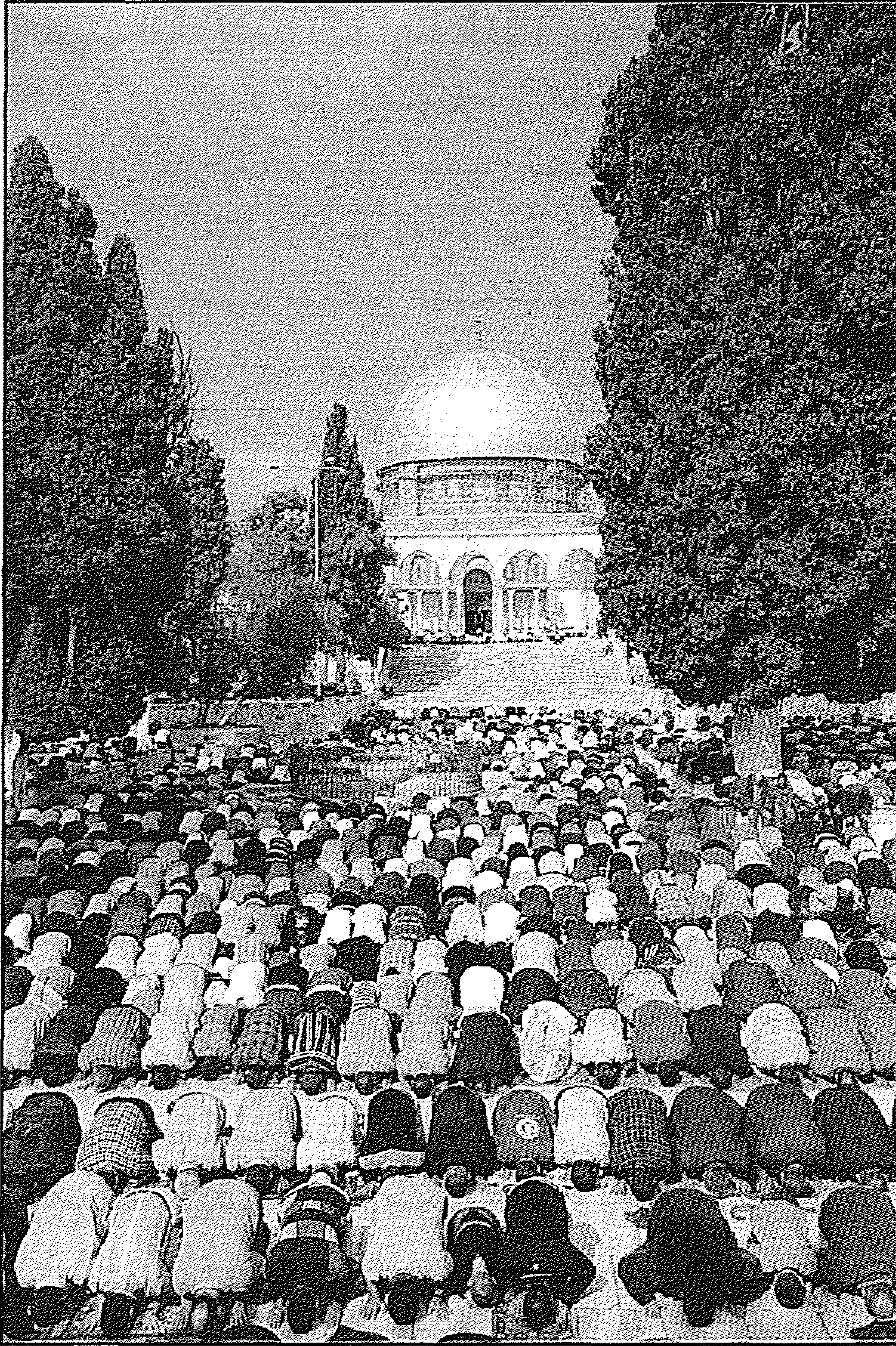
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

[الأعراف: ١٥٨]

وقد أيده الله ـ سبحانه وتعالى ـ بكثير من المعجزات المادية والمعنوية، وكانت معجزة الإسراء والمعراج بين تلك المعجزات المادية الخالدة أبد الدهر، لتشهد على صدق تلك الرسالة ولتعلن للبشرية جمعاء أن محمداً رسول الله، وأن الدين الذى جاء به هو الدين الحق.

ولو نظرنا إلى معجزة الإسراء والمعراج لوجدنا فيها مشاهد كثيرة منها: -

- المشهد الزمانى.
- المشهد المكانى.
- المشهد الإيمانى.



• مشهد انطلاق الدعوة.
• مشهد الحفاوة والتكريم.
• مشهد العبرة والعظات.

المشهد الزمانى

فقد كان زمانها فى عام سمى بعام الحزن فقد فيه الرسول ﷺ زوجه السيدة خديجة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ وعمه أبا طالب، فقد مات أبو طالب هذا السند القوى وذلك الركن العظيم فنالت منه قريش ما نالت، ويقول الرسول (ﷺ): «ما نالت منى قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب» كذلك ماتت خديجة التى آمنت به حين كذبه الناس وواسته بنفسها ومالها ووقفت بمثاليتها الإيمانية تناصر الرسول وتنتصر لدعوته الحبيبة، ماتت بحنانها ومواساتها ومناصرتها.. ماتت التى أيدته فى أحلك الأوقات وكانت تعينه على تبليغ دعوته وتشاطره همومه، وانتهزت قريش الفرصة فضاعفت من إيذائها واضطهادها للرسول وللمسلمين.

المشهد المكانى

عندما اشتد أذى المشركين لم يجد ﷺ بداً من أن يرتحل إلى الطائف لعله يلتمس فيها عوناً، أو لعله يجد من أهلها ناصراً ومعيناً ولم تكن الأحوال فيها بأيسر مما كانت فى مكة، وكأنه قد استجار من الرمضاء بالنار وكان قد لجأ إلى الطائف

وثقيف لعله يجد فيها متنفساً، ولكنه ما لقى من عدوه قبل الإسراء مثل ما لقيه من أهل الطائف، حتى لقد اعترف (ﷺ) بأن أشد يوم مر به هو يوم عودته من ثقيف حيث سلطوا عليه غلمانهم وسفهاءهم وعبيدهم يقذفونه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان.

مشهد إيماني

عندما اشتد الأذى برسول الله ﷺ أثناء عودته من ثقيف لجأ إلى ظل شجرة في يوم قائظ واسترجع تاريخ الدعوة ثم لجأ إلى ربه رافعاً أكف الضراعة قائلاً: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب العالمين، وأنت ربى إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك، أو يحل علىَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»[1].

وقد استجاب الله لرسوله هذا الدعاء فانتقل تاريخ الدعوة بهذا الدعاء الذى وصل الأرض بالسماء انتقل من مصاعب ومشاق إلى بُشريات تتوالى واحدة بعد الأخرى.

مشهد انطلاق الدعوة

من تلك البُشريات التى بشرت بانطلاق تلك الدعوة وانتشارها لتعم المعمورة كلها كانت معجزة الإسراء والمعراج فكانت تطييباً لقلب النبى (ﷺ) وتعزية لمشاعره وتحقيقاً لرجائه فى ربه وكأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أراد أن يقول لرسوله (ﷺ) لئن ضيق عليك قومك الأرض بما رحبت فها نحن نفتح لك أقطار السماوات والأرض نفتح أمامك أقطار الأرض فى مسراك ونخترق بك طبقات الأفق فى معراجك.

والدعوة لم تنتكس بعد الإسراء والمعراج وإنما كانت تحقق نصراً بعد نصر بلقاء القبائل العربية فى موسم الحج والتمهيد للهجرة الكبرى بلقائه (ﷺ) بالأنصار سنتين متتاليتين ثم كانت الهجرة النبوية الشريفة التى شطرت تاريخ الدعوة شطرين كبيرين إن كان أولهما بمثابة الحرث والزرع فإن ثانيهما كان بمثابة الحصاد والجنى وتلك سنة الله فى خلقه:

---

(١) مجمع الزوائد ج ٦/٣٥

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾

[فاطر : ٤٣]

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

[الروم : ٤٧]

مشهد الحفاوة والتكريم

كانت رحلة الإسراء إلى بيت المقدس إيذاناً ببدء مرحلة جديدة من مراحل الدعوة، فقد أسرى بالرسول (ﷺ) من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بفلسطين في بيت المقدس، وكانت صلاته بالأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى السلام إماماً، مبايعة له وإعلاناً لهيمنة الإسلام على هذه البقاع الطاهرة التى يدنسها اليهود الآن ويحاولون أن يهدموا هذا المسجد الذى يعده المسلمون من أقدس مقدساتهم فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وهم يزعمون أن هذا المسجد أقيم فوق هيكل سليمان وفى زعمهم أنه لابد من إزالة هذا المسجد وإقامة الهيكل فى مكانه ومن العجب أن بعض الأفاقين والمنافقين دعاة السلام المزعوم، وهم أشد ما يكونون بعداً عنه ينادون ببناء الهيكل فى مكانه الأصلى حتى يعود الوفاق والسلام، وهذه دعوة خبيثة مقصود بها هدم المسجد الأقصى وإن كانوا لا يصرحون فى دعوتهم بذلك ولكن يقولون: نبنى هيكل سليمان فى مكانه الأصلى..

﴿ كَبُرَتۡ كَلِمَةً تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ ﴾

[الكهف : ٥]

إن المسجد الأقصى أصبح ملكاً للمسلمين وعلى جميع المسلمين اتخاذ كافة الوسائل للحفاظ على هذا المسجد وعمارته، لأنه مسرى نبيهم ﷺ وقد صلى فيه بجميع الأنبياء والمرسلين.

ثم يصعد الرسول ﷺ إلى سدرة المنتهى ليشهد أعظم تكريم إلهى لم يشهده بشر، وفى عالمنا المعاصر عندما يأتى رئيس دولة أو شخص مهم يكون معه رئيس بعثة الشرف ولقد كان رئيس بعثة الشرف مع سيدنا محمد ﷺ هو جبريل عليه السلام، لقد صاحب الأمين جبريل الأمين محمد فى رحلته ومعراجه إلى السماوات العلا فكان يستفتح له كل سماء ويسلم على أهلها حتى رفع إلى سدرة المنتهى حيث توقف جبريل أمين الوحى وقال يا رسول الله" «هنا يفارق الحبيب حبيبه وما منا إلا له مقام معلوم. لو تقدمت خطوة لاحترقت.. تقدم يا محمد فتقدم ﷺ فدنا من ربه ـ سبحانه وتعالى ـ حتى كان قاب قوسين أو أدنى حيث سمع صرير الأقلام فأوحى إلى عبده ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة فى اليوم والليلة، ثم



أطفال فلسطين ضحايا الوحشية الإسرائيلية

خففت إلى خمس في العمل خمسين في الأجر، وفى هذا تكريم للنبى ﷺ ما بعده تكريم، فبينما كلم موسى عليه السلام ربه من فوق جبل الطور دون أن يراه نجد أن الرسول ﷺ يقربه ربه ويرفعه إلى سدرة المنتهى حيث المكان الذى لم يصل إليه ملك مقرب ولا نبى مرسل ولأول مرة يجتمع جميع الأنبياء ليبايعوا نبياً مثلهم ويصلوا خلفه ولأول مرة تكشف الحجب لبشر ويرفع إلى السماوات العلا ويرى من آيات ربه الكبرى ولم يكن ذلك لأحد قبل أو بعد رسول الله ﷺ .

مشهد العبرة والعظات

إن معجزة الإسراء والمعراج بجانب أنها كانت تسرية للنبى ﷺ وتكريماً له، كانت بمثابة إعلان لهيمنة الإسلام علي هذه الأرض المقدسة، مهبط الوحى ومهد الرسالات، ومنذ هذا التاريخ كانت تلك الأرض تحت رعاية المسلمين، يعمرها الإسلام ويعلى فيها شأن الوحدانية، حتى كانت النكبة على يد هذا الجيل من المسلمين، حيث احتل اليهود فلسطين ووقع المسجد الأقصى أسيراً فى يد اليهود تعبث به معاولهم بحجج كثيرة

باطلة يريدون تبرير ما يقومون به من نهب وسلب لأراضى وأموال المسلمين!! ولكن هذا الصراع القائم بين إسرائيل والعرب هو صراع بين الحق والباطل وقد بدأ قديماً منذ أيام الرسول ﷺ فهم ينقضون العهود والمواثيق وهذا هو شأنهم وديدنهم ويصمون المسلمين بالإرهاب والعنف وهم قتلة الأنبياء ومصاصو الدماء، ولهذا يجب على المسلمين اتباع كافة الوسائل التى تكفل إعادة الأقصى إلى حوزتهم وكذلك تلك الأرض المقدسة التى أسرى إليها برسول الله ﷺ، ولا ينبغى أن يسود هذه الأرض غير شريعة الله ويجب على الأمة الإسلامية جمعاء أن تجتمع على كلمة سواء وتطالب الشرفاء في العالم الذين ينادون بالسلام والمحبة والعدالة أن يضعوا الأمور فى نصابها ويعود السلام إلي أرض السلام، فلسطين، ويتم تحرير المسجد الأقصى وفك أسره ليتنسم عبير الحرية ويتنفس الهواء الطيب الطاهر من خلال إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى وهذا وعد الله الذى لا يتخلف.

الإسراء آية صاحبتها آيات

لقد كان الإسراء نقلة تقتضى العجب بالقياس بالأمور التى يألفها البشر وبخاصة أن ذلك الزمان لم تكن فيه وسائل الاتصالات السريعة أو الأقمار الصناعية، بل كان المسافرون يستخدمون الدواب فى أسفارهم، وكان المسجد الأقصى طرف تلك الرحلة، وبدايتها كانت من المسجد الحرام، وقد تمت الرحلة فى برهة وجيزة لم يبرد فيها فراش النبى ﷺ. كل ذلك يكشف عن الطاقات المخبوءة فى كيان هذا المخلوق البشرى والاستعدادات اللدنية التى يتهيأ لها لاستقبال فيض القدرة فى أشخاص المختارين من هذا الجنس الذى كرمه الله وفضله على كثير من خلقه وأودع فيه الأسرار اللطيفة ولهذا يذكر الله تلك القصة فى القرآن الكريم فى سورة يسميها باسمها وهى سورة الإسراء يقول تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

[الإسراء: ١]

والله نسأل أن يوحد كلمة المسلمين وأن يرد المسجد الأقصى إلي حوزة المسلمين وأن يفك أسره من يد اليهود والمعتدين إنه سميع بصير مجيب الداعين.

***

خطبة الجمعة :

آيـــة الإســـراء

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، رفع المخلصين من عباده إلى أعلى عليين، ووضع الأشرار الأخساء إلى أسفل سافلين، وربك يخلق ما يشاء ويختار. أشهد أن لا إله إلا الله، بديع السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، جاء بالحكمة، وهدى الأمة:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم ٣، ٤]

فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه:

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة ٨]

يا أتباع محمد ﷺ . . .

نحن الآن فى شهر رجب، وفيه وقع حادث الإسراء والمعراج، ومن الخير أن نتنسم روائح هذا الحادث الإلهى العظيم، قبل أن تمر علينا ذكراه، لعل الله يوفقنا لحسن العظة وجميل الاعتبار، أو لعلنا نكون من الموفقين الذين قال لهم رسولهم ﷺ: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها» (١). وقصة الإسراء والمعراج معروفة الوقائع والتفاصيل، وقد أعيد فيها الحديث وأعيد، فحسبنا اليوم وقفة أمام آية واحدة من الآيات الكريمة التى جاءت فى شأن الذكرى، وهى قول الله عز من قائل:

(١) ٢١ رجب سنة ١٣٨٦ هـ - ٤ نوفمبر سنة ١٩٦٦م.

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

[الإسراء: ١]

فهذه الآية قد جعلها الله تعالى فى سورة سميت باسم «سورة الإسراء»، تمجيداً للمعجزة، وتنويهاً بها، ولفتاً للأبصار والبصائر إليها، وجعلها الله فى مفتتح السورة كأنها شعار لها وهامة فوقها، مع أن هناك سورة سميت باسم «البقرة»، ولم تأت قصة البقرة فى أولها، وسورة سميت باسم آل عمران، ولم يأت حديث آل عمران فى أولها، وسورة سميت باسم المائدة، ولم يأت حديث المائدة فى أولها، وكذلك يقال فى سورة الأنعام والأعراف والتوبة والكهف وغيرها.

وبدأت الآية بكلمة ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ وهى تفيد معنى التسبيح والتنزيه والتقديس، فالله جل جلاله منزه عن أن يكون عاجزاً أو غير قادر على فعل ما سيقصه علينا من الحادث العجيب حادث الإسراء، وها هو ذا سبحانه يمجد ذاته، ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره ولا رب سواه: وهذا الإله العلى القدير هو

﴿ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾

وكلمة ﴿ أَسْرَىٰ ﴾ تدل على الارتحال فى أثناء الليل، وكأن الله تعالى قد اختار الليل زمناً للإسراء بنبيه ليشير إلى أنه الكوكب الدرى الساطع الذى يبدد بفضل ربه ظلمات الإنسانية، وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر، وأنه هو النجم الذى يعلو ولو تهاوت الكواكب والنجوم:

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾

[النجم ١ : ٤]

والمراد بعبده هو سيد العباد وإمام البلاد محمد ﷺ، وقد اختار الله لنبيه صفة العبودية فى مواطن التكريم والتشريف، ولذلك قال عنه هنا:

﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾

وقال عنه فى حديث المعراج:

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾

[النجم: ١٠]

وقال عنه فى موطن تبليغ الرسالة:

﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾

[الجن ١٩]

فدلنا هذا على أن صفة العبودية لله هى أشرف الصفات وأكرم النعوت، ومن هنا قال القائل المؤمن:

ومما زادنى شرفاً وتيهاً
وكدت بإخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى
وأن صيرت أحمد لى نبياً

كما أن كلمة ﴿ بِعَبْدِهِۦ ﴾ تؤكد لنا أن الإسراء كان بالروح والجسد، لا بالروح فقط كما يزعم الذين يضيقون عن إدراك كمال القدرة الإلهية، فكلمة «عبده» لا تطلق على الروح

وحدها، كما أن حرف الباء فى كلمة «بعبده» يشير إلى أن الله جل جلاله كان مصاحباً لعبده حين إسرائه، لا مصاحبة حس لحس، فالله تعالى لا يشبه الحوادث.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾

[الشورى: ١١]

بل مصاحبة العناية والرعاية من تكريم وتعظيم لمحمد الموصوف بصفة العبد، فهو يجوز ما يجوز من رضا الله ورضوانه، ومع ذلك هو عبدالله، وليس بإله، فلا تجوز فى شأنه المغالاة:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾

[الكهف: ١١٠]

وقالت الآية الكريمة: ﴿ لَيْلًا ﴾ أى فى جزء من الليل أو فى بعضه، فقد بدأ الإسراء بعد العشاء وتم قبل الفجر، وإن الله الذى يقول للشئ كن فيكون هو الذى أمكن عفريت سليمان من إحضار عرش بلقيس من المكان القاصى قبل ارتداد البصر، فهو سبحانه قادر على أن يفعل ما يشاء.
ومن أين كان الإسراء وإلى أين؟: كان

﴿ مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾

فجاء التحديد المكانى بعد التحديد الزمانى، وكانت الرحلة بين مسجدين، والمسجدان معبدان، وهما مكانان للصلاة والمفاجأة، والاتصال بالله، وأفضل الأماكن فى الأرض هى بيوت الله، وأفضل بيوت الله فيها ثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجد سيد الخلق محمد ﷺ، وهناك في هذا التحديد إشارة سياسية، وهى أن فلسطين، وعاصمتها بيت المقدس التى تضم المسجد الأقصى، قد جعلها الله واسطة العقد فى حادث الإسراء والمعراج، فهى نهاية الرحلة المحمدية فى الأرض، وهي بدايتها فى الرحلة السماوية حيث دنا محمد

﴿ فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾

[النجم ٨، ٩]

وإذن ففلسطين يجب أن تبقى طاهرة مطهرة، تعلوها كلمة الإسلام، ولا تترك فى أيدى الأوغاد اللئام.

ثم قالت الآية عن ذلك المسجد الأقصى:

﴿ ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾

أى بارك حوله بالدين، حيث تنزلت من حوله آيات وانبعثت دعوات، فهو مهبط قديم للوحى ومتعبد للأنبياء، وبارك حوله بالدنيا، حيث زانه بالأشجار والثمار، وإنما اقتصرت الآية هنا على مدح المسجد الأقصى دون المسجد الحرام، لأن المسجد الحرام قد استوفى حظه من الثناء والتكريم فى آيات كثيرات، مثل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ﴾

[آل عمران – ٩٦، ٩٧]

وقوله:

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾

[المائدة ٩٧]

وقوله:

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾

[البقرة آية ١٤٤]

ولم يذكر المسجد الأقصى فى غير آية الإسراء.

ثم قالت الآية الكريمة:

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ ﴾

فالله صاحب العظمة والجلالة هو الذى يرى رسوله، وهو الذى يريه آيات لا آية واحدة، هو يريه من الآيات سرعة الراحلة فى الإسراء، وسموها الفريد في المعراج، وهو يريه من مشاهد الأرض ومشاهد السماء، وإبداع الخالق القادر ما يريه، وكأن هذه الكلمة هنا في سورة الإسراء تمهيد فى سورة النجم للإخبار بتحقق الرؤية لعظيم الآيات، حيث قال هناك:

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾

[النجم ١٧، ١٨]

ولم لا والله هو المحيط بكل شىء، القادر على كل شىء، أنه هو السميع البصير الذى لا يغيب عن علمه وسلطانه ومراقبته صغير في هذا الوجودأو كبير،

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

[الملك ١٤]

يا لروعة التعبير، ويا لدقة التصوير. إن هذه الآية الوجيزة المعجزة حددت كل شىء نحتاج إليه، فالله ذاته هو الذى أسرى، والذى أسرى به هو عبده محمد بكيانه وجثمانه، ووقت الإسراء هو جانب من الليل، وبداية الرحلة هى المسجد الحرام، ونهايتها في الأرض هى المسجد الأقصى. والحكمة موجودة هى رؤية الآيات ومشاهدة الدلالات، والدليل على إمكان الإسراء موجود، لأن فاعله هو الله، وهو السميع البصير، فماذا بعد هذا من جدال أو مراء عند أهل الجحود والنكران؟

﴿ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾

[الأنعام ٩١]

يا أتباع محمد ﷺ...

إن لله فى أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها، كذلك قال لكم صاحب الإسراء والمعراج، وقد سبق التذكير قبل حلول الذكرى بأيام، لعل الله يأخذ بالنواصى المستجيبة له إلى مواطن الرشاد، وهو ولى الهداية والتوفيق،

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾

[المائدة: ٨٨]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

[النحل: ١٢٨]

(٢) كشف الخفا جـ ١ – ص ٢٦٩.

الإسراء

للشاعر السورى الكبير:
الأستاذ أمجد الطرابلسى

رقدتْ ملء عينها البيداء ... واحتوتها فى سرِّها الظلماءُ
وأوى موكبُ الطيورِ إلى النَّخلِ ... وحَنَّتْ لزُغْبِها الورقاءُ
والمها أطبقتْ على الصَّفو عينيها ... ، ومالت إلى الكِناسِ الظِّباءُ
سكنَ اللّيلُ، لا هتافٌ ولا عَزفٌ ولا آهةٌ ولا ضوضاء
ليس إلاّ النجومُ تهمسُ فرحى ... فى الرِّحابِ العُلى فَتُصغى الجِواء
وسَجَتْ مكّةٌ، فلا اللهْوُ لهوٌ ... فى حِماها، ولا الغِناءُ غناء
أطفأَتْ فى الخيام كلَّ سِراج ... رَقَصتْ فوقَ ثغرهِ الأَضواء
وانقضى كلُّ سامرٍ أثملته ... بالفنونِ الرُّواةُ والشُّعراء
وتهادى النسيمُ بين الرَّوابى ... كلما هبّ هدّه الإعياء
ملءُ أعطافه أريج الخزامى ... وبقايا الكؤوس والأنداء
نامت البيد! هل رأيت سريراً ... رقدتْ فوق صدره عَذراء؟
الطُّيوفُ الفرحى تطوف حَواليهِ كما طافَ بالقلوبِ الهناء

والمنى الضاحكات تلثم خديها فيفتر ثغرها الوضاء
يا جمال البيداء! ماذا ينال الوصف منه، وما يصيب الثناء؟!
كلها السحر والرحيق المصفى كلها الشعر والهوى والبهاء
كلها المجد والبطولة والسؤ دد والعز والندى والإباء!

** **

إيه يا منبع الصناديد يا بيد إذا رج جانبيك نداء!
يا مهب الفرسان إن صرخ المجد يناديهم وهز اللواء!
نام يا بيد في سكونك ندب حفظته وهدهدته السماء
سهرت حوله العناية ترعا ه وحامت من فوقه الآلاء
من ذؤابات هاشم كله طهر ونبل ورحمة ووفاء
أروع أين من عزيمته السيف ومن جود كفه الأنواء!
عربي تهلل الكون لما كرمته النبوة الغراء
شع منه الهدى فهاجت وماجت حنقا - جاهلية رعناء
دينها البغي والتناحر والثا رات والبطش والأذى والدماء
فاحفظيه يا بيد فهو رجاء الكون وسط الظلام وهو الضياء
ما يدوم العمى إذا أسفر الحق ولا النور والظلام سواء!!

** **

إيه يا نائما تداعب جفنيه الخيالات والرؤى الشماء!
يا نبيا في صدره خفق الكو ن جميعا، جراحه والدواء!!
يا رسولا ترنو لطلعته الأملاء حيرى قد عمها الإدجاء!
أيها النائم انتبه! قد أتاك الروح يحدوه من علاه القضاء
والبراق السعيد حمحم في البا ب اشتياقا فاهتزت الصحراء

طِرْ عليه تَمْض القفارُ سِراعاً ... تحتَ وَثباتِه ويُطْوَ الفضاءُ
طِرْ عليه إنّ العوالم نَشوى ... مُذْ أتَتْها عن سعيكَ الأنباءُ
والسموات تستعدُّ لمسرا ... كَ وقد زغردتْ بها البُشَراء
تتغنَّى فيها الملائكُ فرحى ... وتهادى البشائرَ الأنبياءُ
رفرفا فى سماءِ مكةَ فالريح ذَلولٌ تحتَ البراقِ رُخاءُ
وامضيا تَمَّحِ الفَلا والمسافا ... تُ كأنَّ ابتداءَهنّ انتهاءُ
فإذا شِمتُما على البُعدِ سَينا ... ءَ ولاحت كُثبانُها السَّمراءُ
فاهبطا، طَرْفَةَ العُيونِ، إليها ... يالَربّى لما رأَتْ سيناء!!
يومَ ناجى الكليمُ فى جانبيها ... ربَّهُ، ملءُ أَصغريه الرّجاءُ
فهوى مُرْعشاً وقد هاله النّو ... رُ وأعشى عيونه اللألاءُ
ثمّ سَيرا حتّى إذا (بَيْتُ لَحْمٍ) ... دَوَّمَتْ من بُروجِها الأَصْداءُ
فاهبطا تُريَها الذّكيَّ فمنه ... «أسفرَ الرِّفقُ والهدى والحياء[1]»
وأتيا المسجد الذى بارك اللهُ حَواليه منذ كان البناءُ
فاسجدا فيه للّذى غمَرَ الكو ... نَ نَداهُ وعطفُهُ والرضاء
صلِّيا يَبْسمِ المُصلّى ابتهاجاً ... لكما فى الدُّجى ويَشْدُ الفِناء
واعرجا صاعدَيْن سبعاً طباقاً ... لا حِجابٌ، لا دُجْيَةٌ، لا عماء
أَلَقٌ باهرٌ، وبحرٌ من النّو ... رِ خِضَمٌ، ورَوْعَةٌ، وصَفاء
ليس إلا ملائكٌ تحمل البشرى ورسْلٌ أَحِبَّةٌ أصفياء
اصعدا فى الجمال حتىّ تجلّى ... لكما سِدْرةُ العُلى العَصماءُ
وانظرا من عَلٍ إلى هذه الأَجْرامِ طُرّاً، يَجِلُّ عنها الهباءُ

---

(١) قال شوقى:

ولد الرفق يوم مولد عيسى .. والمروءات والهدى والحياء

نظرةً تُنْظَمُ العوالمُ والآ بادُ فيها وتلتقى الأملاء
اسموا، اسموا فما أعظم الأنفس تَفْنى من دونِها العلياء!
ما أجلَّ الأرواحَ تَعلو وتَعلو ثم تعلو، وإن تناهى العَلاء!
ما أحبَّ الفَناءَ فى النُّور إمّا كُرِهَ اللَّبثُ فى الثرى والفَناء!

** **

إيه مسرى النبيِّ! قد تُنكر الأَنْوارَ والفجرَ مقلةٌ عمياءُ
ما على جاحديك لومٌ إذا ضَلُّوا، هلِ الناسُ كلُّهم أنبياء؟!

** **

معرجَ المصطفى! إليكَ التَّحايا شَعشَعتها دموعُنا والدّماء
بوركتْ أرضُكِ النَّديَّةُ يا قُدسُ ووشَّتْ رياضَك النعَّماء!
أنتِ أمُّ الدُّنى، ومهدُ النُّبُوّاتِ ومنكِ استفاءت الآناء
فيكِ موسى ألقى عصاهُ ارتياحاً بعد أن طوّحتْ بهِ الأرزاء
والمسيحُ العظيمُ فيك تجلى يملأ الأرضَ من هُداه السَّناء
علمَ الكونَ رحمةَ العبدِ للعبدِ، فلا قسوةٌ ولا إيذاءُ
وغذاه الحبَّ الطَّهورَ فلا بغضُ، ولا نَفْرَةٌ، ولا أَعداء
يا حماةَ المسيحِ فى القدسِ! ما فى دينِه أن يعذِّبَ الضُّعفاء!
ليس فيه طردُ الهزارِ من الأيكِ لتَحْتلَّ وَكْرَهُ رقطاء!
يا جيوش الصليب فى القدسِ! ما فى شرعِه أن تُقَتَّلُ الأبرياء!
ليس فى شرعِه هوانُ المواثيقِ، إذا ما تواثقَ الشُّرفَاء!
ليس فيه أن يبذلَ العَربُ الأَنْفُسَ كى تسترقَّها «الحلفاء»!
يا لدمع المسيح ما كان أصفاه! ولكنَّ روحَكم كدراء!
سائلوا مهدَهُ المُطَهَّرَ هل صانته إلا العُروبةُ العَرْباء؟!

سائلوه يا ناسُ عن عُمَرَ الفاروق: «ما كانَ عدله والوفاء؟»
سائلوه عن ابنِ أيُّوبَ لما عصفتْ جُنَّةٌ بكم هَوجاء
يومَ جاءتْ جُيوشُكم مثلَما انحطَّت على المنهَلِ النُّسُور الظِّماء
تُغرقُ المهدَ مثلَما تُغرقُ المجدَ منها الدِّماء والأَشْلاء
يوم ضاقت عنها الأباطح فى البرِّ وناءتْ بحملها الدَّأْماء
يُلهِبُ الحقدُ والعِداء مآقيها، وتَنْزو فى صَدْرِها الأدْواء
وابنُ أيُّوبَ يُطفىء النَّارَ بالحِلمِ وتجرى بنصرِهِ الأنباء
ويفكُّ المُلوكَ صَفْحاً ومَنًّا بعدَ أسْرٍ يعزُّ فيه الفِداء
أنّتمُ تَعرفونَ عدلَ صلاح الدين وسْطَ العجاجِ يا طُلقاء؟
لم يهجكم للنّار دينٌ، ولكنْ جَشَعُ الذّئبِ أتملَتْهُ الدّماء
أى دينٍ يُحلُّ ذبحَ اليتامى أىُّ شرعٍ تُبادُ فيه النساء
الأحابيشُ دينُهم مثلكم سَمْحٌ كريمٌ، لكنَّهمْ ضُعفاء
وجلودُ الغُزاةِ بيضٌ لطافٌ أين منهنَّ جِلْدَةٌ سَوداء؟!
إنما العُربُ نعمةُ اللّه فى الأرْضِ وهمْ فى ظَلامِها الأضْواء
حملوا مشعلَ الحضارةِ والكونُ ظلامٌ وحيرة وعَماء
هم شموسُ الورى وصَفْوَةُ خلقِ اللّه والمُخلَصونَ والحُنَفاء
كلُّ مجدٍ لمجدِهم يخفضُ الرأسَ خشوعاً ولو نَمته السَّماء!!

** **

دمتِ قُدسَ العُلى ودام لكِ العِزُّ وذلّتْ فى غابكَ الدُّخَلاء
دمتِ فوقَ السُّها ودامَ لكِ العُرْبُ فداءً، وطابَ هذا الفِداء!

***

الإسراء والمعراج مقياس الإيمان

للأستاذ/ عادل خفاجة

إن الحديث عن الإسراء والمعراج هو فى المقام الأول حديث عن الإيمان والمؤمنين ألسنا نرى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه حين سمع تكذيب الكفار للنبى بما حدثهم عن الإسراء قال: «إن كان قال فقد صدق».

فالمؤمن سليم الفطرة لا يحتاج إلى دلائل لتصديق خبر جاء به الرسول الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه.

أما من لجوا فى عتو ونفور ومن لم يخالط الإيمان قلوبهم فمنهم من وضع يده على رأسه ومنهم من صفق ومنهم من ضرب كفا بكف ومنهم من ارتد حين سمع ما قاله النبى من حديث عن الإسراء!!

إنه حقاً مقياس الإيمان والمؤمنين منذ نزول الوحى إلى قيام الساعة.

والحديث عن الإسراء حديث ذو شعب كثيرة فيه العبرة وفيه الوقوف على أقوال السلف الصالح فمن السلف الصالح من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة بروح النبى ﷺ وجسده.

ومنهم من ذهب إلى أن الاسراء كان فى اليقظة والمعراج فى المنام.

وتعريفاً، بالإسراء والمعراج نقول:

الإسراء: هى الرحلة الأرضية التى بدأت

من مكة إلى بيت المقدس وهى التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم فى قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء: ١)

أما المعراج: فهى الرحلة السماوية من بيت المقدس إلى السماوات العلا ثم إلى سدرة المنتهى حيث اللقاء بالخالق جل وعلا.

وقد ورد ذكر المعراج فيما رواه أبو سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لما فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئاً قط أحسن منه، وهو الذى يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر فأصعدنى صاحبى حتى انتهى على باب من الأبواب يقال له باب الحفظة»[1]..

أما فى القرآن فقوله تعالى:

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾

(النجم / ١: ١٨)

البـــراق

عن عبد الله بن مسعود قال: «أتى رسول الله ﷺ بالبراق وهى الدابة التى كانت تحمل عليها الأنبياء قبله تضع حافرها فى منتهى طرفها»[2].

وهذه الدابة بهذا الوصف أسرع من أى وسيلة مواصلات حديثة عرفها الإنسان فى العصر الحديث، حيث تضع حافرها عند منتهى بصرها، ونتساءل: إلى كم كيلو متر ينتهى بصرها على حدته؟! وكم خطوة يخطوها البراق فى الساعة؟! ان حاصل ضرب هذين العاملين يعطى سرعة البراق.. وهى بلاشك أمور غيبية لم نذكرها إلا للتقريب فإذا علمنا أن طائرة نفاثة لوكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» حققت رقما قياسيا جديدا فى سرعة الطيران عندما اقتربت من تجاوز سرعة الصوت بعشر مرات وقال المهندس راندى فورلاند أن الطائرة النفاثة حققت ٩,٦ أمثال سرعة الصوت خلال تجربة

---

(١) تفسير الطبرى: ج٨ /١٢ وانظر مسند الحارث زوائد الهيثمى ج١/ ١٧٠ بلفظ مختلف.

(٢) سيرة ابن هشام ج٢/٢٤٨.

الطيران أى أن الطائرة اقتربت من الطيران بسرعة ١١ ألف كيلو مترا / ساعة (سرعة الصوت ١٢٢٥ كيلو متر / ساعة) نقول : اذا علمنا هذا الذى صنعه الانسان فما بالنا بصنعة الله القادر على كل شيء.

بعض من العبرة

● والمتأمل لهذا القول لابن مسعود يعرف ان هذا السفر بهذه الدابة لم ينفرد به النبى محمد ﷺ إنما سافر بهذه الدابة غيره من الأنبياء وهو ما يعلم أيضا من قوله ﷺ «فربطت الدابة فى الحلقة التى كانت تربط بها الأنبياء»[٣] ففى ذلك ما يدل على أنه كان يسرى بهم صلوات الله عليهم أجمعين.

ويبقى السؤال.. لماذا كان إنكار المشركين للإسراء مادام هذا الأمر قد حدث للأنبياء قبله ﷺ ؟

نقول ما قاله الحق تبارك وتعالى :

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

(الأنعام: ٣٣)

● لقد اجتمع الأنبياء وصلى بهم رسول الله إماما.. أى أنهم جمعتهم صلاة واحدة لا نسأل عن كيفيتها بل نذهب إلى مغزاها وهو أنهم جميعا جاءوا برسالات متعددة المناهج متحدة المبدأ والهدف فالجميع ينادون بالتوحيد وعدم الشرك بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد.

ألم يقل سيدنا محمد ﷺ «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد..»[٤].

أليس فى كتاب ربنا العزيز :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾

الأنبياء / ٢٥

● هذا بعض ما نستخلصه من صلاة النبى ﷺ بالأنبياء إماماً فإذا تأملنا ما قالته السيدة أم هانىء «ما أسرى برسول الله ﷺ إلا وهو فى بيتى نام عندى تلك الليلة بعدها صلى العشاء الآخرة فلما كان قبيل الصبح أهبنا رسول الله ﷺ فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : «يا أم هانىء لقد صليت العشاء الآخرة فى هذا الوادى كما رأيت ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة

(٣) الفصول فى السيرة ص ١ ص ٢٨١.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ص ٢.

الغداة معكم كما ترين ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه فقلت: يا نبى الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك، قال: والله لأحدثنهموه، فأخبرهم فكذبوه».(٥) أقول: إذا تأملنا مدى حرص السيدة أم هانىء على ألا يحدث النبى الناس بهذا الحديث حتى إنها تعلقت بردائه الشريف ثم هذا الإصرار منه ﷺ، والتأكيد الذى يحمله قوله «لأحدثنهموه» نعلم أن رحلة الإسراء والمعراج بقدر ما فيها من تسرية للنبى ﷺ إلا أنها أيضا كانت المقياس لإيمان أقوام ارتدوا ممن آمن بالنبى ﷺ، ولعل فى ذلك الخير كل الخير للدعوة الوليدة إذ الأمر يحتاج إلى يقين بقدرة الله تعالى، ويقين بصدق النبى ﷺ، إن الناس الذين ارتدوا نسيهم التاريخ أما من آمنوا أمثال أبى بكر الصديق فهم الرجال الذين اعتمدت عليهم الدعوة وقام على أكتافهم عبء نشر الإسلام فى ربوع الأرض.

أقوال السلف عن الإسراء

تتلخص أقوال السلف الصالح فى: كيفية هذا الإسراء وهل كان يقظة وهل كان سيراً حقيقيا، وحركة مادية؟! وهل شاهد الرسول الآيات الكونية التى أراه الله إياها بالمشاهدة العينية؟! أو كان رؤيا منام على نحو ما يرى النائم أنه سافر إلى مكان بعيد؟! يقول الأستاذ الكبير عبد الرحمن تاج إجابة عن هذه التساؤلات: يدل على أن الإسراء كان فى اليقظة بالجسم والروح معا جملة أمور نقتصر هنا على أهمها:

أولا - قول الله تعالى:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء: ١)

فإنه يدل دلالة واضحة على أن الإسراء بالرسول ﷺ كان بجسمه وروحه جميعا، وأنه كان سيرا حقيقيا وانتقالا بحركة مادية: وذلك أن الإسراء كالسرى، معناه فى اللغة السير ليلا، والسير حقيقة فى الحركة المادية التى ينتقل بها الإنسان من مكان إلى مكان، فلو كان الحديث عن الإسراء حديثا عن رؤيا منامية، لكان يسيرا على القرآن أن يقول: سبحانه الذى أرى عبده فى المنام كيت وكيت.

(٥) البداية والنهاية ج ٢/ ١١٠.

هذا إلى أن الآية الكريمة - كما هو واضح منها - فيها تنويه بشأن الرسول ﷺ وإشعار برفعته وسمو مكانته، وتنويه بشأن ما أجراه الله على يديه من الأمر العظيم، وعظم هذا الأمر ليس إلا لأنه كان شيئا مما لا يجرى على أيدى الناس ولا يعهدونه، لابد أن يكون شيئا يستحق أن يبدأ القول فيه والحديث عنه بالتسبيح الذى لا يكون إلا فى المقامات الجليلة، والآيات العظيمة، والأمور الهائلة العجيبة، وذلك كله يدل دلالة واضحة على أن الإسراء لم يكن رؤيا منامية، ومجرد انكشاف روحى، وإنما كان سيرا حقيقيا بالروح والجسم معا.

ثانيا: إنه إذا كان أمر الإسراء مجرد رؤيا منامية لم يكن حينئذ شيئا غريبا، ولم يكن فيه ما يثير العجب والدهشة، ولا يستوجب الإنكار والتهكم والسخرية، كالذى كان من أبى جهل ومشركى مكة، حينما سمعوا من الرسول ﷺ حديث هذا الإسراء.

إن كثيرا من الناس يرى فى منامه عظائم وأعجايب، ويرى حقائق وكائنات لم يسبق له علم بها، ولم يرها قط فى حياته رأى العين ولكن حين يقص قصصها ويحدث عنها، وحين يعلم أنها إنما كانت رؤيا فى المنام، لا يرى فى ذلك ما يوجب الدهشة، ويدعو إلى الاستنكار والاستهزاء.

***

ومن هنا استفاض النقل عن الصحابة والتابعين وسائر علماء المسلمين، أن الإسراء بالرسول ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، كان سيرا حقيقيا ماديا فى اليقظة، بروحه وجسمه جميعا، ولم يرد عن الصحابة نقل يخالف ذلك، إلا ما روى برواية ضعيفة عن السيدة عائشة - رضى الله عنها أنها قالت فى شأن هذا الإسراء: «ما فقدت جسد رسول الله ﷺ» وفى رواية أخرى ليست أقل ضعفا من هذه أنها قالت: «ما فقد جسد رسول الله ﷺ» بالبناء للمجهول.

وقد أخذ من هاتين الروايتين على ضعفهما أن السيدة عائشة كانت تنكر أن الإسراء بالرسول كان فى حالة اليقظة، وأنها كانت تذهب إلى أنه رؤيا منامية، وهوما كان يذهب إليه معاوية بن أبى سفيان، على ما روى عنه.

لكن الصحيح المحفوظ فى النقل عن السيدة عائشة أنها كانت تقول فى مسألة الإسراء بما كان يقول به جمهور الصحابة، من أن هذا الإسراء كان يقظة بالروح والجسم معا.

وفى الحق أن العبارة التى رويت عن السيدة عائشة فى الرواية الأولى تحمل

بنفسها الدليل على ضعف الرواية وعدم صحتها (٦).

وذلك أن هذه العبارة: «ما فقدت جسد رسول الله ﷺ» تفيد أن السيدة عائشة كانت زوجا للرسول ﷺ حينئذ، وأنها كانت معه في الليلة التى كان فيها الإسراء، وأنه ﷺ لم يبرح المكان الذى كانا فيه فى تلك الليلة.

وهذا شيء لا يستقيم بحال، ولا يصح قبوله، فإنها - رضى الله عنها - لم تك زوجا للرسول حينئذ، ولم تكن حيث كان عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء، فكيف تحدث عن نفسها أنها لم تفقد جسده الشريف فى تلك الليلة؟

إن فى هذه العبارة خطأ واضحا، ولابد أن تكون محرفة عما ورد فى الرواية الأخرى الضعيفة أيضا من أنها قالت: «ما فقد جسد رسول الله ﷺ» بالبناء للمجهول، وإذا كانت مقالتها هذه تحديثا ترويه عن شخص آخر يقول: إنه لم يفقد جسد رسول الله ﷺ ورواية كهذه يتحدث فيها عن مجهول لا يعرف شخصه ولا حاله، ولم تثبت ملازمته للرسول عليه الصلاة والسلام فى ليلة الإسراء، لا يمكن أن تعارض أو تقاوم ما رواه الثقات الأثبات، من الصحابة المعروفين بأشخاصهم، المسمين بأسمائهم، من أن الرسول ﷺ قد انتقل بشخصه، وسار كما أراد الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، على دابة تسمى البراق، وأنه صحبته ملائكة الله فى سيره، كما حدث بذلك ﷺ ، حتى بلغوا المسجد فى بيت المقدس. هذا فضلا عن أن العلماء أهل الشأن فى روايات الأحاديث ونقدها، والتمييز بين صحيحها وضعيفها، قد أثبتوا ضعف ما روى عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - من العبارتين السابقتين، كما أثبتوا أن الصحيح الملحوظ عنها أنها لم تخالف سائر الصحابة فيما ذهبوا إليه فى موضوع الإسراء، من أنه كان بالروح والجسد جميعا.(٧)

إن العلم فى العصر الحديث قد توصل إلى إنجاز مخترعات كثيرة عجيبة مثل هذه الطائرة التى بلغت سرعتها ما يقرب من عشرة أمثال سرعة الصوت.

ولذلك نجد بعض الناس يؤمنون بالمعجزة

(٦) الأمر فى تضعيف هاتين الروايتين هو من ناحيتى السند والمتن، شأن ما صنعه العلماء بكثير من الأحاديث الضعيفة التى نظروا فيها واثبتوا عدم صحتها فى الناحيتين جميعا.. فهم لم يقصروا فى نقد الأحاديث على ناحية السند وحدها كما يدعيه بعض المستشرقين المفترين مما جاراهم فيه بغير وعى ولا علم بعض المؤلفين المعاصرين من المسلمين.

(٧) عبد الرحمن تاج: الإسراء والمعراج هدية مجلة الأزهر (لشهر رجب ١٤٢٢ هـ ص ٢٥ : ٢٩.

التى حدثت للرسول الكريم قياسا لما وصل إليه العلم فكان العلم هو مقياس التصديق عندهم وليس الإيمان ونقول لهؤلاء: إذا استقام لكم القياس فى مسألة الإسراء فكيف لكم القياس فى مسألة المعراج وهل تنتظرون العلم ومخترعاته حتى تؤمنوا؟!

إن من يقدس عقله ويسير وراء ما يمليه عليه العلم القاصر ويزن ما جاء به الرسول بميزان الفكر أو ميزان العلم، قلما يؤمن إيمانا صادقا صحيحاً.

ورحم الله الشيخ يوسف الدجوى حيث قال: «إن كل من لم يصدق إلا بما وصل إليه عقله وبلغته حدود علمه فليس مؤمناً بالرسول على الحقيقة، وإنما هو مؤمن بعقله (لا بالرسول)»(٨).

وعن هذا الفريق الذى يتمسك بالشبه العقلية يقول فضيلة الشيخ الدجوى: «هذا الفريق يقول: إنه يستحيل العروج إلى السماء لأن بيننا وبينها كرة نارية كما يقرره الفلاسفة الأقدمون، ونقول له: إن ذلك خيال لم يقم عليه برهان، والفلاسفة العصريون ينفون ذلك بتاتا، فهذا كاف فى إسقاط ذلك الزعم.

ويقول العصريون فى استحالة ذلك: إن الهواء، يرتفع عن الأرض مقدار بضعة آلاف من الأمتار، فإذا وصل الانسان إلى ذلك الحد لم يمكنه أن يعيش، لأنه لا يجد من الهواء ما يتنفس به، فلابد أن يموت، وقد وصلوا بطائراتهم إلى ما يقرب من ذلك فخرج الدم منهم بهيئة منكرة لفقد الضغط الجوى.

ونقول فى دفع هذه الشبهة: إن ذلك مسلم ولا نمارى فيه، ولكن هناك قوانين أخرى لا يعرفها الماديون، ومحال أن يصل إليها الطبيعيون، ذلك أن الأرواح الإنسانية من عالم آخر لا تسرى عليه قوانين هذا العالم، فإذا غلبت على الإنسان روحانيته كان الحكم للروح لا للجسد، فكان السائد عليه هو النواميس الروحانية لا الجسمانية، ومتى ساد سلطان الروح سلطان البدن كان الحكم للروح لا للبدن، فيمكنه أن يطوى المسافات البعيدة فى لحظة قصيرة، ويمكنه أن يرى المغيبات على حد محدود، ويمكنه أن يخترق الجدران ويقتحم المهالك من غير أن يحصل له ضرر أو يلحقه ألم، ومن هنا جاءت كرامات الأولياء، وإذا كنا نصدق بذلك فى الجن، وأرواح النوع الإنسانى أعظم لطافة وأقوى نفوذا وأشد قربا من الملأ الأعلى، فلماذا نستبعد ذلك فى خواص البشر الذين غلبت عليهم

(٨) الشيخ يوسف الدجوى: مجلة الازهر (السنة ١٣٥٣هـ) ص٥٩٣.

الروحـانيـة حـتى صـاروا كـأنهم من الملأ الأعلى، وبذلك تنخـرق لهم العـادات ولا تحكم عليهم نواميس المادة؟

ومـا لنا نذكـر كـرامـات الأوليـاء أو معـجزات الأنبيـاء وبعض العصـريين لا يقـتنعـون بذلك، ولعلهم يعـدونهـا من الخرافـات والتـرهات. فلنسق لك مـا هو أقرب الى إقناعـهم وأليق باسـتعـدادهم، فنقول:

قد ثبت ثبوتا لاشك فيه ان المنوم تنويما مغناطيسيا يسأل عما فى البلاد البعيدة فيجيب عنها بأجوبة صحيحة، فهل يمكن تعليل ذلك بالتعاليل المادية.

ويمكننا أن نستشهد على ذلك بما أصبح معـروفـا لا ينكر، وهو أن بعض الهنود يوضع فى صندوق باختـيـاره أو يدفن فى موضع من الأرض عشرين يوما وثلاثين يوما وأكثر من ذلك، ثم يخرج ويعمل له ما يرجعه إلى حسه ولا تفارقه الحياة مع أنه كـان لايتنفس أصـلا فى تلك المدة. فكيف ينكر مثل ذلك على رسول الله ﷺ وهو سيد الروحانيين وأفضل الخلق أجمعين.

وهذا تنزل يقـتـضـيـه الحـال وقـوانين الجدال، وإلافلست أدرى كيف يقيسون عـالم الملكوت على عـالم الملك، وأحكام الأرواح على أحكام الأشبـاح، مع أنهم لم يتقنوا علومهم المادية، وكثيرا ما تخبطوا فيـهـا فنقـضـوا مـا أبرمـوا. وهو شأن هذا النوع الضعيف منذ خلق الله الكون إلى أن تقوم الساعة[٩].

وبعـد فـإن الحـديث عن الإسـراء كـمـا أسلفنا إنما هو حديث عن الإيمان والمؤمنين، الإيمان بقـدرة الله خـالق كل شئ الذى تتدخل عنايته لينصر عباده فى الأوقات التى تتخلى عنهم الأسباب.

وحـديث عن المؤمنين الذين وقـر فى قلوبهم أن الله ناصرهم إن هم آمنو به وأنه ممدهم بالقـوه الروحـيـة التى هى فـوق كل القوى المادية.

فـهل آن لهـذه الأمـة أن تعى الموقف وقـد خرج إلينا أمين عام جامعة الدول العربية ليعلن أننا قد خدعنا، وأن علينا أن نذهب بقـضـيـة فلسطين والقـدس إلى مـجلس الأمن.. فـإن لم يكن حـلاً فليس أمـامنا إلا السلاح؟

وأى سلاح سيتكلم؟ هل المستورد من أوروبا أو من أمريكا؟

وهل آن لهـذه الأمـة أن تهـتـم بالجـانب الروحى؟! حـتى إذا تكلم السـلاح وجـد ناصراً له؟!

(٩) الشيخ يوسف الدجوى.. المرجع السابق ص ٥٩٩: ٦٠٠

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

الإسـراء والمعـراج

حمل بريد المجلة لهذا الشهر العديد من الرسائل عن الإسراء والمعراج، لذا، وإتماما للفائدة نورد أولاً حديث الإسراء والمعراج. وقد رويت روايات مختلفة تتعلق بالإسراء والمعراج، نختار منها رواية البخاري.

روى البخارى بسنده عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، أن النبى ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال:

«بينما أنا فى الحطيم، وربما قال فى الحجر -مضطجعا إذ أتانى آت، وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه، فقلت (أى الراوى) للجارود وهو إلى جنبى ماذا يعنى به، قال من نقرة شعره إلى شعرته، وسمعته يقول من قصه إلى شعرته. فاستخرج قلبى، ثم أتيت بطشت من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبى، ثم حشى، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، فقال له الجارود، وهو البراق يا أبا حمزة. قال أنس: نعم. يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بى جبريل، حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح قيل من هذا؟ قال جبريل. قال ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل مرحبا به. فنعم المجىء جاء. ففتح، فلما خلصت فإذا آدم، قال: هذا أبوك آدم، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، فقال: مرحبا بالابن الصالح، والنبى الصالح، ثم صعد بى إلى السماء الثانية، فاستفتح، قيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قال: مرحبا به، فنعم المجىء جاء. ففتح، فلما خلصت، إذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت عليهما، فردا ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بى إلى السماء الثالثة. فاستفتح جبريل، قيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل أوقد

أرسل إليه ! قال : نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف . قال : هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه . فرد ، ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى إلى السماء الرابعة فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت إذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحبا ، بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل ومن معك . قال : محمد ، قيل أوقد أرسل إليه ! قال : نعم ، قيل مرحبا به ، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت إذا بهارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه ، ثم قال مرحبا بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد . قيل أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت إذا موسى ، قال هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ، فلما تجاوزت بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى ، لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن دخلها من أمتى .

ثم صعد بى إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل أوقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت ، إذا إبراهيم . قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ، ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح .

ثم رفعت إلى سدرة المنتهى نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال : هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران ، فالنيل والفرات ، ثم رفع لى البيت المعمور ، ثم أتيت بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل ، فأخذت اللبن . قال : هى الفطرة أنت عليها وأمتك .

ثم فرض علىَّ الصلوات ، خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى ، قال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإنى والله قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك ، فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عنى عشرا ، فرجعت إلى موسى . فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرا ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى ، فقال بم أمرت ، فقلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، قال : سألت ربى حتى استحييت ، ولكنى أرضى وأسلم ، قال : فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى» .

الإسراء والمعراج بالجسد أم بالروح

وكتب القارئ سعد عبدالله ـ قفط ـ قنا.. يقول: إنه قرأ فى بعض الكتب أن الإسراء والمعراج لم يكن جسديًا، وإنما أُسْرِىَ به ﷺ روحيًا بمعنى أن روح الرسول ﷺ هى التى أُسْرِىَ بها من مكة إلى المسجد الأقصى ثم عُرِجَ بها إلى السماوات العلا إلى سدْرَة المُنْتَهَى، وأن جسده ﷺ لم يغادر مكة مطلقًا. وفى نفس المعنى جاءت رسالة القارئ أحمد عيد من الاسكندرية - والقارئ على عبدالوهاب من المنصورة.

ونجيب على قرائنا الأعزاء بما كتبه فضيلة الشيخ رشيد رضا فى كتابه (محمد رسول الله ﷺ) ص ١١٤ إلى ١١٧، حيث قال رحمه الله:

كان الإسراء قبل الهجرة بسنة، وبه جزم ابن حزم فى ليلة سبع وعشرين من شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس وكان ليلة الاثنين. وكان بعد خروجه ﷺ إلى الطائف.

كان الإسراء إلى بيت المقدس والمعراج إلى السماوات، وفرضت عليه فى تلك الليلة الصلوات الخمس، وقد ذكر الإسراء فى القرآن. قال ـ تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء: ١)

واختلف فى كيفية الإسراء، فالأكثرون من طوائف المسلمين اتفقوا على أنه أُسْرِىَ بجسد رسول الله ﷺ[(١)]. والأقلون قالوا إنه ما أُسْرِىَ إلا بروحه. حكى عن محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة أنه قال: ذلك رؤيا وأنه ما فقد جسد رسول الله ﷺ وإنما أُسْرِىَ بروحه. حكى هذا القول أيضًا عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ وعن معاوية ـ رضى الله عنه ـ وحديث عائشة ليس بالثابت لأنها لم تكن حينئذٍ زوجته. قال النسفى وكان الإسراء فى اليقظة. وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت: والله ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن

(١) وفى الشفا للقاضى عياض: ذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفى اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبى هريرة ومالك بن صعصعة وأبى حبة البدرى وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج.

عُرِجَ بروحه. وعن معاوية مثله، وعلى الأول الجمهور إذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنائم.

واتفق الأكثرون من طوائف المسلمين على أنه أُسْرِىَ بجسد رسول الله ﷺ وهو الصحيح. جاء فى زاد المعاد لابن قَيِّم الجوزية:

«وقد نقل ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنهما قالا: إنما كان الإسراء بروحه ولم يفقد جسده، ونقل عن الحسن البصرى نحو ذلك. ولكن ينبغى أن يعلم الفرق بين أن يقال كان الإسراء منامًا وبين أن يقال كان بروحه دون جسده وبينهما فرق عظيم. وعائشة ومعاوية لم يقولا كان منامًا وإنما قالا أُسْرِىَ بروحه ولم يفقد جسده وفرق بين الأمرين، فإن ما يراه النائم قد يكون أمثالاً مضروبة للمعلوم فى الصور المحسوسة فيرى كأنه عُرِجَ به إلى السماء أو ذهب به إلى مكة وأقطار الأرض وروحه لم تصعد ولم تذهب، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال. والذين قالوا: عُرِجَ برسولِ الله ﷺ طائفتان: طائفة قالت عُرِجَ بروحه وبدنه، وطائفة قالت عُرِجَ بروحه ولم يفقد بدنه، وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان منامًا وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أُسْرِىَ بها وعُرِجَ بها حقيقة وباشرت من جنس ما تباشر به بعد المفارقة، وكان حالها فى ذلك كحالها بعد المفارقة فى صعودها إلى السماوات سماءً سماء، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فتقف بين يدى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيأمرها بما يشاء ثم تنزل إلى الأرض، فالذى كان لرسول الله ﷺ ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة. ومعلوم أن هذا الأمر فوق ما يراه النائم» إلخ.... فالإسراء ما كان منامًا قطعًا لأنه لو كان منامًا لما كذبه المشركون، فإن من الناس مَنْ يرى أنه صعد إلى السماء أو قطع مسافات شاسعة لا يتصورها العقل، وليس المنام معجزة خارقة للعادة، والروح فى المنام لا تفارق الجسم كذلك لو كان الإسراء منامًا لَصَرَّحَ به رسول الله ﷺ(٢).

والطبرى فى تفسيره ينكر أن الإسراء كان بالروح فقط وقد ردّ على مَن قال بذلك فقال:

«والصواب مِنَ القول فى ذلك عندنا أن يُقال: إنَّ الله أَسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما أخبر الله عباده وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أن الله حمله على البراق حتى أتاه به وصلَّى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل فأراه ما أراه من الآيات، ولا معنى لقول من قال أُسْرِىَ بروحه دون

(٢) ذهب فريق المعتزلة إلى القول بأنه أسرى به فى النوم لا فى اليقظة، خلافاً لأهل السُنَّة والجماعة.

جسده؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون دليلاً على نبوته ولا حُجَّة على رسالته ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن مُنكراً عندهم ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم أن يرى الرائى منهم فى المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟.
إلى أن قال: ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام إلا أن يقول قائل: إن معنى قولنا أُسْرِىَ بجسده على البراق فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التى رُويَّت عن رسول الله ﷺ أن جبريلٍ حمله على البراق لأن ذلك إذا كان مناما على رأى صاحب هذا القول ولم تكن الروح عنده مما يركب الدواب ولم يحمل على البراق جسم النبى ﷺ لم يكن النبى ﷺ على قوله حُملَ على البراق لا جسمه ولا شيء منه وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين وذلك دفع لظاهر التنزيل وما تتابعت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين».

ومما قاله الفخر الرازى فى تفسيره: قال أهل التحقيق: إن الذى يدل على أنه ـ تعالى ـ أُسْرِىَ بروح محمد وجسده من مكة إلى المسجد الأقصى القرآن والخبر. أما القرآن فهذه الآية. وتقرير الدليل أن العبد اسم لمجموع الجسد والروح فوجب أن يكون الإسراء حاصلاً لمجموع الجسد والروح إلخ... وأما الخبر فهو الحديث المروى فى الصحاح وهو مشهور وهو يدل على الذهاب من مكة إلى بيت المقدس ثم منه إلى السماوات ا.هـ.

والمعراج به ﷺ إلى السماوات ليطلع على عجائب الملكوت كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾

وإلا فالله ـ تعالى ـ لا يحويه زمان ولا مكان ورأى ربه تلك الليلة وأوحى إلى عبده ما أوحى وفرض عليه خمس صلوات وجمع له الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم فى بيت المقدس ثم استقبلوه فى السماوات ورجع ﷺ من ليلته إلى مكة.

وقد أنكر المسيحيون إسراء رسول الله ﷺ ومعراجه وليس ذلك بمستغرب منهم، إنما الغريب أنهم يؤمنون بقيام المسيح وصعوده إلى السماء، ففى آخر إنجيل مرقص:

(ثم إن الرب بعدما كلمهم، ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله).

وجاء فى آخر إنجيل لوقا:

(وفيما هو «المسيح» يباركهم، انفرد عنهم وأصعد إلى السماء).

انتهى ما كتبه فضيلة الشيخ رشيد رضا رحمه الله

أبو حامد الغزالى.. حجة الإسلام

ومن القارئ الأستاذ / فرج مجاهد عبدالوهاب ـ عضو اتحاد الكتاب ـ شبين ـ دقهلية كانت هذه الكلمة عن حجة الإسلام الإمام «أبو حامد الغزالى».

ولد أبو حامد محمد بن محمد الغزالى المعروف بحجة الإسلام، بمدينة طوس، وهى واحدة من مدن خراسان المعروفة عام ٤٥٠هـ، مات والده وتركه طفلا ولكن بعد أن كان قد وضع ابنه على طريق حب العلم والفقه وأصول الدين، وسرعان ما ظهرت عبقرية الغزالى بعد رحلته الأولى إلى مدينة نيسابور واتصاله بالعالم الكبير الجوينى، ثم انتقل الغزالى إلى العراق بعد أن ملأ اسمه الآفاق، فتقلد مهمة التدريس بالمدرسة النظامية بمدينة بغداد (وهى التى كان قد أسسها الوزير السلجوقى نظام الملك) وبعد أربعة أعوام غادر بغداد إلى الحجاز ثم سافر إلى القدس الشريف ثم زار مصر (الاسكندرية) ثم عاد إلى مدينة دمشق حيث أخذ يتعمق فى التصوف بالمسجد الأموى لمدة عشرة أعوام، ثم عاد إلى مدينة طوس حيث مات رحمه الله عام ٥٠٥ هـ - ١١١١م ودفن بمقابر الطابران.

والإمام الغزالى بلا جدال واحد من أكبر العقول الإسلامية فى العالم الإسلامى قديمه وجديده على حد سواء.. حتى إن بعض كبار العلماء وصفوا كتبه بأنها أقيم ما كتب فى علوم الدين، وأنه لو ضاعت كتب العلماء كافة، وبقيت كتب الغزالى لكفت المسلمين.

والإمام الغزالى له منهج عقلى واضح كل الوضوح وضعه فى كتابه القيم «المنقذ من الضلال» فى تقرير الإيمان فى قلوب الناس، فقد قسم الحقائق إلى: حقائق تدركها الحواس، وهى أضعف من الحقائق التى يدركها العقل، وحقائق العقل ـ مع قوتها ـ أضعف من الحقائق التى يصل إليها القلب وهى أعلى مراتب اليقين. فالقلب يستطيع عن طريق التصوف والزهد تكرار التفكر فى صفات الله تعالى ومخلوقاته والابتعاد عن كل مغريات الدنيا، أن يتلقى لمحات «تجليات» من آيات الله فى داخله.. وهى أعلى مراتب الصلة بالله والتى لا يمكن الوصول إليها عن طريق العقل أو الحواس.

ولقد تعمق الغزالى فى دراسة الفلسفة بكل درجاتها وانتقد بعين بصيرة وعقل قوى الكثير من الفلاسفة لأنهم توقفوا عند الفلسفة العقلية التى تعد أقل منزلة من صفات القلب. واستمر يهاجم كل الفرق الإسلامية المتطرفة كالشيعة والمعتزلة والخوارج وسدد إليهم جميعا ضربات قاضية فى كتبه العديدة حتى دحروا.. وإليه يرجع الفضل فى إحياء مذهب أهل السنة لأنه يراه المذهب الوسطى الذى نادى به رسول الله ﷺ.

ومن أهم كتب الغزالى التى يصعب حصرها كتاب: (إحياء علوم الدين) و(المنقذ من الضلال) و(أيها الولد) و(ميزان العمل) و(الأربعين فى أصول الدين) و(سر العالمين).

كلمة أخيرة

مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ

لماذا يُمَكِّن الله للكافرين والملحدين ولا يُمَكِّن لنا ونحن نعبُد الله ولا نشرك به أحدا؟.

أسئلة كثيرة حملها البريد تدور حول هذه التساؤلات وأشباهها.

والإجابة هي:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد: ١١)

فأهل القرون الأولى منذ عهد النبى ﷺ وصحابته الكرام، ومن سار على هديهم، لم يتوفر لهم أبداً العدد والعدة والعتاد المتفوق على العدو، والأمثلة كثيرة من بدر إلى عين جالوت.. دائماً كانت الهوة شاسعة.. دائماً كانت كفة العدو من الوجهة النظرية هى الأرجح. ولكن كانت صيحة الإيمان التى تخرج من القلب بكل الصدق والخشوع (اللهُ أكبر) هى سلاح الردع الفعَّال.. وبه استحقوا نصر الله.

فماذا قدمنا نحن لنستحق نصر الله؟.

نحن لم نصبر حتى على ابتلاء الله بالزلزال والجراد وأنفلونزا الطيور، رغم أن المولى كان رفيقاً بنا، ولو شاء لجعلها قاعاً صفصفاً.

عندما حل بالمسلمين طاعون (عمواس) فى الشام منذ نحو ألف وأربعمائة عام أراد الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن يستخلص أبا عبيدة بن الجراح عامله على الشام.. أراد أن يستخلصه لأنه سمع رسول الله ﷺ يقول عنه «أنه أمين الأمة»، ولكن ابن الجراح أبى إلا أن يموت وسط رجاله ورعيته فى ولايته، ورفض أن يفر من قدر الله، وبهذا استحق أن يكون أمين الأمة.

وكعادتنا فى كل شهر نحتفل بمناسبة عزيزة علينا، حيث تحل علينا بعد أيام ذكرى الإسراء والمعراج، تلك المنحة الإلهية التى منحها الله نبيه الكريم لقاء صبره على الأذى، ولقاء إصراره على

تبليغ رسالة ربه رغم ما ناله هو وأصحابه من هوان وعذاب.. حتى وقف ﷺ يدعو إلى الله يلتمس منه العون: «اللهم إليكَ أشكُو ضعف قوتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربُ المُسْتَضْعَفين وأنت ربى، إلى مَنْ تكلُني، إلى بعيد يتجهمنى، أم إلى عدو ملَّكْتَهُ أمرى، إن لم يكُنْ بكَ غضَبٌ علَيَّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذُ بنُور وجهكَ الذى أشرقت له الظُلُمات، وصَلُحَ عليه أمر الدنيا، والآخرة، منْ أنْ تنزل بى غضبك أو تحل عليَّ سخطك، لك العُتْبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوَّة إلا بك».

ومضى ﷺ إلى أن وصل إلى موضع يُقال له «قرن الثعالب» فرفع رأسه فإذا بسحابة تظلله، وإذا فيها جبريل ـ عليه السلام ـ فناداه فقال: «إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث لك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم» وإذا بمَلَك الجبال يقول: «يا محمد قد بعثنى الله، إن الله قد سمع قول قومك، وأنا مَلَك الجبال قد بعثنى إليك ربُكَ لتأمرنى ما شئت، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين».

ورفض رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ أن ينهى مهمته فى دعوة قومه وهدايتهم، فقال لمَلَك الجبال: «أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم مَنْ يَعْبُد الله لا يشرك به شيئًا».

عندها كان القرار الإلهى بتقديم كل الدعم للنبى الكريم لرفع معنوياته وإزالة آثار الأضرار التى أحدثها ظلم وعناد مشركى العرب وسفهائهم، فكان الإسراء والمعراج دعمًا وتمكينًا للنبى الكريم وردْعًا لأعدائه من مشركى العرب وسفائهم.. فكانت الرحلة السماوية التى خلدها الله تعالى فى كتابه الكريم:

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ
عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾
إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾

(النجم من ١ : ١٨)

أجل لقد أُوذى نبىّ الله محمد ﷺ وتحمل ما لا طاقة لبشر بتحمله من أذى، ونُكِّلَ بأصحابه ومن آمن به تنكيلاً تشيب من هوله الولدان، ولكنه ما خضع وما استسلم، فكان قدوة ومثلاً لأتباعه من المسلمين ومعظمهم كانوا من المستضعفين، وقصص تعذيبهم والتنكيل بهم وقتلهم تملأ كتب السيرة والتاريخ.

وبهذا الابتلاء استحق جيل الرعيل

الأول جنة عرضها السماوات والأرض بشر بها رسول الله ﷺ كل مَن صبر على المحنة، مؤمنًا بأن النصر آت ولا ريب، وبأن المولى ـ عز وجل ـ ناصر دينه، بل إنه عندما اشتد الأذى هرع نفر من المسلمين إلى رسول الله ﷺ يشكون له حالهم كما جاء فى الحديث عن خبَّاب بن الأَرت قال: [قُلنا يا رسول الله: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟. فقال لهم: لِيُهَوِّن لهم ما هم فيه من كرب وضيق: «إنّ مَن كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه، لا يصرفه ذلك عن دينه، ويُمشَط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه، لا يصرفه ذلك عن دينه» ثم قال: «والله لَيُتمَّنَ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون»] (أخرجه البخارى).

قوم تستعجلون؟!

هذا الكلام قاله رسول الله ﷺ لقوم فيهم: الصديق، والفاروق، وذو النورين، وعلى بن أبى طالب... وغيرهم من الصحابة البررة على ما كانوا عليه من ورع وتُقَى وزهد فى الدنيا، وحب للموت فى سبيل الله، فهل من حقنا أن نقيس أنفسنا عليهم، ونسأل نفس السؤال الذى وجهه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لرسول الله ﷺ كما جاء فى قوله تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

(البقرة :٢١٤)

وعدَ الله ـ سبحانه ـ نبيه وصحبه بالنصر لقاء ما قدموه من تضحيات وفى مقدمتهم نبى الرحمة الذى صبر على الأذى صبراً لم يصبره أى من الأنبياء من ذوى العزم، وأنجزهم الله وعده.

ولكنهم مع ما هم عليه استبطأوا نصر الله ورسول الله ﷺ يعاتبهم لأنهم يستعجلون!.

أناس قدموا الغالى والنفيس حبًا ورغبة فى نيل رضوان الله، واستبطأوا النصر لا سخطًا ولكن خوفًا من أن يكون قد بدر منهم تقصير.. إنهم يستعجلون النصر للإحساس برضوان الله عليهم لأنهم يعلمون أن النصر من عند الله يمنحه لمن يشاء من عباده المخلصين.

فماذا قدمنا نحن حتى نقول: متى نصر الله؟!.

أحمد تقى الدين

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

من الانفعال إلى الفعل

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

عاش العالم الإسلامى فى الفترة السابقة - ولايزال يعيش حتى تاريخ كتابة هذه السطور - حالة من الغليان الشديد، شملت كل أمة، وكل بيت، وكل فرد: صغيراً كان أو كبيراً، واهتزت المنابر داخل المساجد، وهاج العلماء والكتاب، واستاء كل مسلم على وجه المعمورة بسبب ما طالعتنا به إحدى الصحف الدانماركية من رسوم «كاريكاتورية» لا تحمل إلا الدليل القاطع على انحطاط خلق ذلك «الفنان» الذى رسمها بريشته، وسوء تقدير من وقفوا وراءه يحمونه ويصفقون له، زاعمين أن ذلك داخل فى إطار «حرية التعبير». ولقد كانت هذه الرسوم تهدف إلى النيل من الإسلام ورسوله الكريم - ﷺ - الذى قال الله عز وجل فى حقه:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

[الأنبياء ١٠٧]

ويقول - ﷺ - عن نفسه ذاكراً نعمة الله عليه: «إنما أنا رحمة مهداة» (١)

هذا النبى الكريم المبارك، الذى بدّل الله به خوف البشرية أمنا، ومهانتهم عزا وشرفا، وذلهم رفعة وكرامة، وضلالهم هداية ونورا، قال الله -عز وجل- فى حقه:

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ

(١) تفسير ابن كثير ٥/٣٨١

سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾

[المائدة ١٥، ١٦]

حرية التعبير؟!!

عاش العالم الإسلامى حالة من الغليان والثورة لن ينساها التاريخ، ولا نعتقد أنها ستكون الأخيرة، لأن الحملات الظالمة التى يشنها الغرب على الإسلام ونبى الإسلام ﷺ ذات جذور سوداء فى أعماق التاريخ؟ ولذا فهى لم تتوقف ولن تتوقف وما حدث اليوم إن هو إلا «حملة صليبية» بأسلوب جديد، وبطريقة مبتكرة، تحت ستار «حرية التعبير»، بغية صرف الناس عن هذا الدين، بعد أن رأوه يسرى فى بلادهم سريان الماء العذب الرقراق فى الأرض الجدباء، ليحيلها إلى جنات خضراء وارفة الظلال.

فطالما كان هناك إسلام، وطالما كان هناك مسلمون، هناك أيضا كفر، وهناك كافرون، فتلك طبيعة الدنيا التى نحياها: صراع دائم بين الحق والباطل قال الحق سبحانه:

﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ ﴾

[البقرة ١٢٠]

وقال عز من قائل:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴾

[البقرة ٢١٧]

وبما أنهم لن يستطيعوا بمقتضى قول الحق - تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾

[غافر ٥١]

فلن يهدأ ذلك الصراع أبدا، ولن يتوقف عند حد، تلك سنة الله فى خلقه:

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾

[فاطر ٤٣]

كل ما هنالك من متغيرات، إنما هو فى أسلوب المكيدة ووسائلها، لكن الهدف هو هو، لن يتغير، وهو صرف الناس عن هذا الدين، ولكن ذلك - والحمد لله - لن يزيد المسلمين إلا استمساكا بدينهم، ولن يوقف الزحف الإسلامى الكبير عن أن يكسب كل يوم وكل ساعة أرضاً جديدة داخل حدودهم، وفى عقر دارهم، ليبرهن بما لاشك فيه على أنه هو الدين الحق الخالد:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾

[آل عمران ١٩]

﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾

[آل عمران ٨٥]

وما على المسلمين إلا أن يصبروا:

﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

[الأنفال ٤٦]

قوة الشعور الدينى

ولا أدل على أن الإيمان لايزال غضاً يانعا فى نفوس المسلمين، من هذه الثورة العارمة، التى شهد لها العدو قبل الصديق، والتى زلزلت الأرض من تحت أقدامهم، وطافت أرجاء المعمورة، حتى بكت النساء المسلمات فى خدورهن، ولقد شهدتها - والله - بعينى رأسى..!! ولكن العجيب فى هذا الأمر، الذى يجدر ذكره هنا، أن هذا البكاء كان مدفوعاً بعاملين اثنين، يبدوان للوهلة الأولى غاية فى التناقض، ولكن المتأمل يرى أنهما يرجعان إلى عامل قوى واحد سيطر وبقوة ليعلن عن نفسه فى ساحة الأزمة الشديدة. فما هما العاملان؟

لقد كان العامل الأول، الحزن الشديد، وخيبة الأمل، لما نراه من سخرية واستهزاء بهذا النبى الكريم، الذى فتح الله به أعينا عميا، وآذاناً صماً، وقلوبا غلفا، وشهد العالم كله، وشهد التاريخ لفضله وعظمته. ومما زاد من هذا الحزن، أنه كان تحت سمع وبصر الدول التى تزعم لنفسها أنها أم الحضارات والأخلاق، وتحت حمايتها بزعم «حرية التعبير»..!! يا سبحان الله..!! أتلك حرية التعبير، أم حرية الخوض فى أعراض الأديان، وانتهاك حرمة المرسلين الكرام الذين اصطفاهم الله لهداية الناس، وإخراجهم من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان بالله رب العالمين..؟!، ولكن، صبرا.. إنه الحقد الدفين..!!

﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

(الأنفال: ٤٦)

وإن غداً لناظره قريب..!!

أما العامل الثانى، فهو الفرح والسرور لما بدا فى الساحة الإسلامية من حب أتباع هذا الدين لله ولرسوله، هذا الحب الذى يغمر القلوب العامرة بالإيمان فى كافة أقطار الأرض، حتى قلوب أولئك المسلمين الذين يعيشون فى صورة جاليات إسلامية بعيداً عن رقعة العالم الإسلامى.

والذى يتأمل هذين العاملين يراهما راجعين لسبب واحد، هو قوة الشعور الدينى فى نفوس المسلمين فى كافة أقطار الأرض، والاستعداد التام للتضحية بكل مرتخص وغالٍ فى سبيل الله وفى سبيل افتداء رسول الله ﷺ.

حق الرد مصون

والحق، أن هذا الانفعال الشديد، الذى عاشته الأمة الإسلامية فى بداية الصدمة، من الأمور الطبيعية، التى لا يلام عليها المسلمون، ولا تشكل أى رد فعل سلبى، فالمفاجأة ضخمة، والخطب جلل، والمصيبة شديدة لا تحتمل، ولا يقابل مثلها من جانب المسلمين كما لو كانت شيئا هينا لا يستحق الثورة والانفعال.

ولكن آن الأوان، بعد أن مرت الصدمة فى غلوائها، أن يثوب المسلمون إلى رشدهم، وأن يأخذوا زمام الرد بأيديهم وبخاصة الكتاب والمحللون، ليكيلوا الصاع صاعين، ويردوا اللطمة لطمتين زيادة فى التأديب، ووضعا للحق فى نصابه الصحيح، فحق الرد مصون، وإنها «لحرية التعبير» كما أقرها الأعداء أنفسهم، ولا يحق لأحد كائنا من كان، أن يلوم

المسلمين على هذا الرد، أو يتهمهم بالتعصب الدينى، ليوقفهم عند حد الانفعال السلبى، الذى لا يأخذ بيده زمام المبادأة، تحت زعم التسامح، والمحافظة على حق الجوار لإخواننا النصارى الشرقيين، فنحن ـ والله ـ أول من يتمسك بعلاقات التسامح والود مع إخواننا المسيحيين. ولكن هل معنى ذلك أن يسكت المسلمون عن الرد على هذه السخرية والاستهتزاء بهذا الدين ورسوله الكريم؟ لا.. لا.. وألف لا.. يقول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[الشورى ٤١، ٤٢]

فعلى أولئك الذين قاموا بهذا العمل الصبيانى غير المسئول، وعلى من وقفوا من ورائهم يدافعون عنهم بدعوى «حرية التعبير» تقع المسئولية.

لسنا مثلهم

غير أننا لن نقوم بمثل هذا العمل الوضيع، ونتعرض للسيد المسيح بكلمة واحدة تحط من شأنه، أو تنسب إليه ماينال من كرامته - عليه السلام - فهو عبدالله ورسوله الذى أرسله إلى بنى إسرائيل، وهو واحد من أولى العزم من الرسل، الذين امتدحهم الله عز وجل فى كتابه الكريم من خلال قوله تعالى مخاطباً نبيه محمدا - ﷺ -:

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾

[الأحقاف ٣٥]

وإيماننا به وبطهارته وطهارة أمه البتول وجميع الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام - جزء من إيماننا بالله - عز وجل - الذى أرسلهم إلى البشرية لهدايتها وإخراجها من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والهدى. قال الحق - تبارك وتعالى - فى كتابه الكريم فى حقهم جميعا:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

[البقرة ٢٨٥]

وقال فى حق عيسى - عليه السلام -:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾

[الصف: ٦]

وقال:

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [المائدة ٧٥]

سفهاء الغرب

وغير ذلك من الآيات البينات، مما لا يتسع المقام لذكره، وجميعها تقرر حقيقة أن المسيح - عليه السلام - واحد من رسل الله وأنبيائه الذين أرسلهم لعباده، فحاشانا أن نتفوه

بكلمة واحدة، أو نخط خطا واحدا يسيء إلى هذا الرسول الكريم، على غرار ما فعل السفهاء من نصارى الغرب فى حق نبى الإسلام، ورسول البشرية كلها محمد بن عبدالله - صلوات ربى وسلامه عليه وعلى جميع إخوانه الأنبياء - وحاشانا أن نتفوه بكلمة واحدة فى حق أمه البتول الطاهرة النقية التقية، التى كانت موضع اختيار الله لتكون طريقاً لخروج هذا النبى المبارك إلى الدنيا، ومعبرا كريما لظهور هذه المعجزة الباهرة بدون أب :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾

[آل عمران ٤٢، ٤٣]

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾

[آل عمران ٤٥]

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾

[التحريم ١٢]

هذا هو نبى الله عيسى، وهذه هى أمه البتول - عليهما السلام - من خلال بعض الآيات التى تحدثت عنهما، ولذا فهما يحتلان من عقيدتنا ونفوسنا نحن المسلمين مكانا لايطاول، لذا فإننا لن نلجأ فى ردنا على هؤلاء الصبيان، ومن وقفوا وراءهم إلى مثل ما فعلوا.

ولكم رادتنا نفوسنا عن أن نتعرض لعقيدتهم ونعذبهم فى «الصميم» كما تعرضوا لعقيدتنا بالاستهزاء والسخرية من رسول الله - ﷺ ولكن ديننا يمنعنا من ذلك، ويحول بيننا وبين أن نؤذى جيراننا الذين يساكنوننا الديار، ولابد من أن نطيع الله فيهم، وإن هم عصوا الله فينا، فنحن أكرم منهم، والعقائد يحاسب عليها الله - عز وجل، يوم يُعرض الناس عليه فى ساحة العرض الأكبر.

أعظم شخصية إنسانية

ولكن، ألا يدرى هؤلاء الآفاقون الكذابون، الذين مردوا على الافتراء والاستهزاء بالديانات السماوية، أن حضارتهم هذه التى يتمتعون بمزاياها، وأن صناعاتهم، وتقدمهم العلمى، الذى بلغ بهم شأوا كبيرا من الرفاهية وارتفاع مستوى المعيشة لم يكن فى حسبان أسلافهم.. ألا يدرى هؤلاء أن هذا كله وغيره إنما هو من أيدى العرب والمسلمين أتباع هذا النبى الذى يسخرون منه برسوماتهم الفاجرة؟!

ألا يدرى هؤلاء الآفاقون الكذابون، الذين مردوا على الكفر، والافتراء، والسخرية بالرسل فى شخص سيدهم وإمامهم، أنهم برسوماتهم الفاجرة إنما يصطدمون هذه المرة بأعظم شخصية إنسانية عرفها التاريخ البشرى كله؟ ألا وهى «الشخصية المحمدية» التى أتاحت عظمتها نمو شخصيات تاريخية كبرى حولها، كانت كل شخصية منها «أمة» بأسرها.

إن النبوة المحمدية - كما يقول العقاد - صفة «إلهية» تولى صاحبها من القداسة ما يوحيه الإيمان، وتوحيه طاعة الإله، وهى بعد ذلك عظمة إنسانية راسخة القرار، رفيعة الذروة.

تلك عظمة «الذات المحمدية»: عظمة «الشخصية» التى استحقت من الله أن يجعل فيها رسالته كما جاء فى الكتاب المبين [٢] فى قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾

[الأنعام ١٢٤]

وحينما امتدحه بقوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[القلم ٤]

وقوله:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾

(آل عمران ١٥٩)

ثم نقول لأحبائنا العرب والمسلمين: شعوبا وحكومات. الذين يوالون دول الغرب، ويرتمون فى أحضانها، ويجعلون من بلادهم سوقا رائجة لبضائع من يقفون وراء هؤلاء الذين يسبون ديننا ويسخرون من رسول الله - ﷺ - بدعوى «حرية التعبير».. نقول لهم: ألا تغارون على هذا النبى الكريم، الذى جاءكم بأعظم دين سماوى عرفته الأرض؟ ألم تقرأوا قول الحق - تبارك وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾

[الممتحنة ١]

وقوله جل وعلا:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

[المائدة ٥١]

(٢) اقرأ فصل «الذات المحمدية» من كتاب «ما يقال عن الإسلام» للأستاذ عباس محمود العقاد.

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر - المقيد برقم ١٥٧٤ لسنة ٢٠٠٥ المتضمن الأسئلة الآتية:

العقد صحيح

● السؤال الأول: ورد من السيد س.م.ع. يقول فيه: أنا سعودى الجنسية وأثناء وجودى بمصر تزوجت من فتاة مغربية بعقد عرفى مع وجود شهود وكانت بكراً، وبعد عدة سنوات استصدرت زوجتى حكماً من محكمة مصرية بإثبات العلاقة الزوجية بإقرارى، وتم توثيق الحكم من الجهات المختصة، مع العلم أن الزوجة قد باشرت العقد بنفسها لبعدها عن والدها، وقد أجاز الوالد هذا العقد بعد ذلك، والمجتمع حولى على علم به. وقد قمت من شهرين بالحصول على موافقة السلطات المختصة بالمملكة على زواجى من غير سعودية.

أرجو التفضل بإبداء حكم الشرع فى هذا الزواج، حيث إننى أثناء حديثى مع بعض الأصدقاء علمت أن عقد الزواج لابد أن يباشره الولى عن البكر ولا يحق لها أن تباشره هى عن نفسها.

الجواب:

■■ مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه وأرضاه عدم جعل الولى ركناً من أركان العقد، فإذا تم العقد بين كفئين عاقلين خاليين من الموانع الشرعية بقبول وإيجاب صَحّ العقد وترتب عليه آثاره، وهذا المذهب هو المعمول به فى الديار المصرية منذ زمن بعيد.

وعليه وفى واقعة السؤال: فالعقد المسئول عنه صحيح، وتترتب عليه آثاره الشرعية.

من غشنا فليس منا

● السؤال الثانى: ورد من السيد ع.م.م. من الزقازيق ـ شرقية، يقول:

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور على جمعة مفتي جمهورية مصر العربية

تقدمت زوجة ابنى للحصول على عقد عمل بإحدى الدول العربية، وكان من شروط الحصول على هذا العقد أن يكون المتقدم حاصلاً على شهادة «الماجستير»، وهى لم تكن حاصلة على هذه الشهادة، فقامت عن طريق بعض الأشخاص بالتحايل واستخراج شهادة «ماجستير» مزورة وقدمتها إلى الجهة الطالبة، وبالفعل حصلت على العقد وسافرت إلى تلك الدولة، وهى تعمل بها منذ ثلاث سنوات.

فهل ما قامت به حلال؟. وما حكم المال الذى حصلت عليه نظير عملها فى هذا البلد؟.

الجـــــواب:

■■ أمر الله ـ تعالى ـ بالصدق والأمانة، ونهى عن الغش والتدليس والخيانة؛ فقال ـ تعالى ـ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾

(التوبة: ١١٩)

وقال النبى: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» رواه مسلم من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه.

كما نهى ـ سبحانه وتعالى ـ عن أكل أموال الناس بالباطل، وهذا متحقق فيمن حصل على مال من الغش والخداع؛ فقال ـ تعالى ـ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

(النساء: ٢٩)

وعن أبى بَكْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ قال: كنا عند رسول الله فقال: «ألاَ أُنَبِّئُكُمْ بأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ ـ ثلاثًا ـ الإِشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الْوالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَوْ قَوْلُ الزُّورِ» وكَانَ رسولُ الله مُتَّكِئا فَجلَس، فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. متفق عليه.

وعليه فما فعلته السائلة من الحصول على شهادة الماجستير بطريق الغش والزور والتدليس حرام لا يجوز شرعًا، فإذا انضاف إلى ذلك انخراطها فى وظيفة تعتمد على هذه الشهادة

فإن ذلك يكون أشد حرمة، ولا حق لها فى هذه الوظيفة شرعًا، وعليها أن تسعى لإنهاء عقدها؛ حتى يكون عملها مبنيًا على الصدق والأمانة.

وأما عن المال الذى جمعته من جراء هذا العمل فلها أن تأخذه؛ لأنه أجر فى مقابل عمل قامت به، ولها أن تأخذ أجرها على الرغم من أنها لا تستحق هذه الوظيفة؛ لأن النهى هنا ليس منصبًا على ذات العمل، والحرمة هنا ليست متعلقة بالأجر نفسه وإنما طرأت فى طريق الحصول على الوظيفة.

خطأ الطبيب

● السؤال الثالث: ورد من الدكتور ج.م.د والذى يتضمن سؤاله عدة أسئلة خاصة بالحالات التى تموت بالمستشفى نتيجة لبعض الأخطاء غير المقصودة سواء أكانت أخطاء مهنية أو أخطاء فنية فى الأجهزة المستخدمة فى علاج هذه الحالات، وهذه الحالات هى:

١- إحدى السيدات حضرت لعمل غسيل كلوى وقمنا بتركيب الجهاز المستخدم لسحب المياه من جسم المريضة وإخراجها، فحدث أن سحب كمية لترين فحدث لها هبوط حاد وتوفيت بالرغم من عمل الإسعافات الأولية من نقل دم ومحاليل وخلافه.

٢- حالات أخرى جاءت للغسيل وهى فى غيبوبة تامة والبولينا مرتفعة جداً فقمنا بعمل غسيل كلوى لها لعل ذلك يُفيقها، ولكن حالتها ساءت وتوفيت بعد ذلك.

٣- حالات أخرى يتم توقيع الكشف عليها ويكون التشخيص خطأ فتموت المريضة ليس من العلاج ولكنها لم تأخذ العلاج المناسب لها.

٤- حالات أخرى تموت أثناء البنج مع العلم أنها أخذت نفس الكمية التى تأخذها الحالات الأخرى والتى تفيق من البنج.

٥- يحدث أن تموت بعض الحالات بعد العمليات لنزيف داخلى غير متوقع حدوثه أو وقته أو كميته ويموت المريض قبل تدارك خطورة الحالة.

ويقول السائل: نرجو معرفة ما إذا كانت وفاة هذه الحالات قتل خطأ أم لا؟.

الجواب:

■■ الطبيب مستأمن على حياة الناس وصحتهم؛ فخطؤه ليس كخطأ غيره، وهذا يوجب عليه ألا يقصر فيما يعرفه وألا يباشر ما لا يعرفه، بل ينتهى إلى ما يعلم.

والخطأ الذى يقع فيه الطبيب المختص على نوعين:

● خطأ يُعتاد وقوعه من مثله ولا يكاد يسلم منه طبيب، ولا يكون ناجمًا عن جهل أو تقصير، فهذا فى حكم العفو ولا يضمنه الطبيب ولا يعد قتلاً خطأ، ولو قيل بضمان مثل ذلك لأحجم الأطباء عن علاج المرضى، وفيه يقول الإمام الشافعى فى «الأم»: «والوجه الثانى: الذى يسقط فيه العقل؛ أن يأمر الرجُل به الداءُ الطبيبَ أن يَبُطَّ جرحَه، أو الآكلةُ أن يقطع عضواً يخاف مَشْيها إليه، أو يفجر له عرقًا، أو الحجام أن يحجمه، أو الكاوى أن يكويه، أو يأمر أبو الصبى أو سيدُ المملوك الحجامَ أن يختنه: فيموت

من شىء من هذا ـ ولم يتعد المأمورُ ما أمره به ـ فلا عقل ولا مأخوذية إن حسنت نيته إن شاء الله ـ تعالى ـ؛ وذلك أن الطبيب والحجام إنما فعلاه للصلاح بأمر المفعول به أو والد الصبى أو سيد المملوك الذى يجوز عليهما أمره فى كل نظر لهما كما يجوز عليهما أمر أنفسهما لو كانا بالغَيْن»أهـ.

وقال ابن المنذر: «وأجمعوا على الطبيب إذ لم يتعد لم يضمن»أهـ، وكذلك ذكر الشافعية فى كتبهم عن ابن سُرَيجٍ أنه لو سَرَى من فِعْلِ الطبيب هلاكٌ وهو من أهل الحِذْقِ فى صنعته لم يضمن إجماعًا.

وقال الدسوقى فى حاشيته على الشرح الكبير: «فإذا ختن الخاتنُ صبيًا أو سقى الطبيب مريضًا دواء أو قطع له شيئًا أو كواه فمات من ذلك فلا ضمان على واحد منهما لا فى ماله، ولا على عاقِلَته؛ لأنه مما فيه تَغْرِيرٌ؛ فكان صاحبه هو الذى عَرَّضَهُ لما أصابه، وهذا إذا كان الخاتنُ أو الطبيب من أهل المعرفة»أهـ.

● وخطأ ينتج عن مباشرة الطبيب لما لا يعلم أو تقصيره فى علاج ما يعلم، وهذا هو الخطأ الذى يضمنه الطبيب؛ لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله «مَنْ تَطَبَّبَ ولَم يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذلكَ فَهُوَ ضَامِنٌ». رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة وصححه الحاكم.

وهذا يُرجَع فى تحديده إلى أهلِ الخبرة والاختصاص الذين يقررون بناءً على ذلك ضمان الطبيب للخطأ من عدمه.

مواريث

● السؤال الرابع: ورد من السيد و.ج.ع. يقول توفى عن:

١- أخ شقيق.

٢- أولاد إخوة أشقاء توفى آباؤهم فى حياة المتوفى.

٣- أولاد أخوات شقيقات توفيت أمهاتهم فى حياة المتوفى.

٤- أولاد عم شقيق.

٥- أولاد عمة شقيقة.

٦- بنات خال شقيق.

فمن يرث؟.

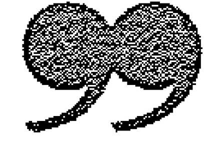
الجواب:

■■ بوفاة المسئول عن ميراثه عن المذكورين فقط تكون التركة كاملة للأخ الشقيق؛ لعدم وجود صاحب فرض ولا عاصب أقرب منه، ولا شىء لأبناء الإخوة الأشقاء؛ وذلك لحجبهم بالأخ الشقيق الأقرب درجة منهم، ولا شىء لأبناء العم الشقيق؛ لحجبهم بالأخ الشقيق الأقرب منهم حجة، ولا شىء لبنات الإخوة الأشقاء، ولا لأولاد الأخوات الشقيقات ذكورًا وإناثًا، ولا لبنات العم الشقيق، ولا لأولاد العمة الشقيقة ذكورًا وإناثًا، ولا لبنات الخال الشقيق؛ لكونهم جميعًا من ذوى الأرحام المؤَخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات.. هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال وإذا لم يكن للمتوفى وارث آخر غير مَن ذُكِر.

والله سبحانه وتعالى أعلم

عبدالله بن رواحة

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى



ذلكم هو ثالث قواد مؤته العظام أسلم قديما وحضر بيعة العقبة وقد اختاره رسول الله ﷺ نقيبا على قومه وكان ذلك بإشارة من سيدنا جبريل عليه السلام روى البيهقى عن الإمام مالك رضى الله عنه قال حدثنى شيخ من الأنصار أن جبريل كان يشير إلى رسول الله ﷺ إلى من يجعله نقيبا ليلة العقبة، قال مالك وكنت قبل أن أسمع هذا الحديث أعجب كيف جاء هذا؟ رجلان من قبيله ورجل من أخرى حتى حدثت بهذا الحديث أن جبريل هو الذى ولاهم وأنه أشار إلى النبى ﷺ. وروى أبونعيم عن ابن عمر قال: (لما أخذ رسول الله ﷺ النقباء قال: لا يجد امرؤ فى نفسه شيئا إنما أخذ من أشار إليه جبريل)(١).



وكان - رضى الله عنه - شاعرا دافع عن الإسلام مع شاعرين آخرين هما حسان بن ثابت وكعب بن مالك فهو فارس شاعر شجاع قوى الإيمان ولولا شجاعته ما اختاره النبى ﷺ ضمن قواد مؤته. ولولا إيمانه ما قبل هذه المهمة وهو يعلم أنه سوف يستشهد. لكن شجاعته وقوة إيمانه جعلاه يقبل المهمة عن قناعة ورضا يروى ابن إسحاق فيما يرويه عنه ابن كثير قال (فلما حضر خروجهم - يعنى حان وقت خروج القواد الثلاثة - ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم فلما ودع عبدالله بن رواحة مع من ودع بكى فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة؟ - ظنا منهم أنه بكى جزعا - فقال والله ما بى من حب للدنيا ولا صبابة بكم ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار - هى قوله تعالى :

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ (مريم: ٧١)

فلست أدرى كيف يكون الصدر؟ - يعنى أن الآية ذكرت أن الناس سوف يردون جميعا على النار وابن رواحة يتسائل فى إشفاق كيف يكون الرجوع فهو يخاف من ذلك؟ - ليت شعرى من يأمن إن كان ابن رواحة يخاف؟ فلما عرف الناس أن بكاءه خشية من عذاب الله وليس جزعا ولا صبابة ولا حب دنيا لما عرفوا ذلك - قالوا صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين.

---

(١) سبل الهدى والرشاد جـ٣ بيعة العقبة الثانية

ولا يمكن لهذا الموقف بما فيه من شجن وظن وجسارة شاعر يطلب الشهادة لابد لهذا الموقف أن يتمخض عن شعر يرد فيه الشاعر الفارس عما يتوهمه بعضهم فى بكائه، ورغم أن الشهيد أفصح عن سبب بكائه فبان أنه معنى عميق وفهم لا يصل إليه إلا الذين يخافون الله تعالى ولا يأمنون مكره، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون، حقا كيف الصدر بعد الورود؟ كيف الرجوع بعد التوجه إلى النار؟ نسأل الله السلامة والعافية، لا ليس حبا للدنيا ولا خوفا من الموت إنما هو الخوف من الجليل والتأمل فى آيات التنزيل.

فأنشد يقول فى شعر معبر صادق يرد على الذين لم يفهموا بكاءه وفسروه على معنى لا يحبه ولا يرضاه ولم يقصده قال:

لكننى أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرع تقذف الذبدا
أو طعنة.. بيدى حران مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثى
أرشده الله من غاز وقد رشدا

وعبدالله بن رواحة مثل صاحبيه كان يعرف قبل خروجه مع الجيش أنه سوف يستشهد فى هذه المعركة، مع ذلك يقدم ولا يتردد ويقول شعرا كله بسالة وفداء وترحيب بالشهادة وفرح بالموت فى سبيل الله.

يروى زيد بن أرقم يقول: «كنت يتما لعبد اله بن رواحة فى حجره» ومن هذا نعرف أن ابن رواحة إلى جانب فروسيته وشجاعته وشاعريته كان ذا قلب رحيم يعطف على المساكين واليتامى فها هو ابن أرقم يعيش معه فى كنفه - يقول ابن أرقمك «وخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحل. فوالله إنه ليسير ليلتئذ سمعته وهو ينشد أبياته ويقول:

إذا ادنيتنى وحملت رحلى
مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك أنعمٌ وخلاك ذم
ولا أرجع إلى أهلى ورائى
وجاء المسلمون وغادرونى
بأرض الشام مستنهى الثواء
وردك كل ذى نسب قريب
إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالى طلع بعل
ولا نخل أسافلها رواء

قال زيد بن أرقم فلما سمعته يقول ذلك بكيت فخفقنى بالدرة، وقال: «ما عليك يالكع أن يرزقنى الله الشهادة وترجع بين شعبتى الرحل!!» فعبدالله بن رواحة كان يعرف من تعيين النبى ﷺ للقواد الثلاثة أنهم شهداء، ومع هذا كان حريصا على الشهادة كما كان حريصا دائما على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فى كل أمر حتى إنه أقبل ذات يوم إلى رسول الله ﷺ فوجده يخطب فسمعه يقول: اجسلوا»، فما كان منه إلا أن جلس مكانه - مع أن الخطاب لم يكن موجها إليه فليس هو المقصود بالكلام لأنه لم يكن حاضرا من أول الكلام لكنه لشدة حرصه على الخير وعلى امتثال أمر الله وأمر رسول الله صلى

عليه وسلم لم يسعه إلا أن يجلس لما سمع كلمة: «اجلسوا»

يروى عبدالرحمن بن أبى ليله أن عبدالله ابن رواحة أتى رسول الله ﷺ وهو يخطب فى المسجد فسمعه يقول اجلسوا فجلس مكانه ـ خارج المسجد ـ حتى فرغ الناس فبلغ النبى ﷺ ذلك فقال له: «زادك الله حرصا على طواعية الله وعلى طواعية رسوله ﷺ».

وكما كان حريصا على طاعة الله وطاعة رسوله دفعه ذلك الحرص على الإيمان وعلى زيادة الإيمان، يروى عن أنس بن مالك إنه قال: كان عبدالله بن رواحة إذا لقى الرجل من أصحابه يقول له: تعال نؤمن بربنا ساعة. قال ذلك لرجل ذات يوم فغضب الرجل وذهب مغاضبا إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة فقال النبى ﷺ: «رحم الله بن رواحة. إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة». وفى رواية أخرى عن شيخ من أهل المدينة. أن عبدالله بن رواحة قال لصاحبه: تعالى نؤمن ساعة قال: أولسنا بمؤمنين؟ قال: بلى لكننا نذكر الله فنزداد إيمانا وهذا هو مذهب أهل السنة الأشاعرة الذين قالوا إن الإيمان يزيد وينقص وهذا الرأى هو الذى يوافق الطبيعة فإن الممارسات الإيمانية تزيد اليقين بلا شك وبعمل الطاعات يربو الإيمان فى القلوب ويزداد ولذلك طالبنا الشارع الحكيم بتكثير الطاعات وأعمال البر. كما أن التقصير فى الطاعات وارتكاب المعاصى يقسى القلب. فذكر الله مع الجماعة وحضور مجالس الذكر مما يزيد الإيمان مصداقا لقول ابن رواحة: (نذكر الله فنزداد إيمانا) وشاهد ذلك كله قوله تعالى فى صفات المؤمنين:

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

(الأنفال: ٢)

ويؤيد ذلك آيات أخرى من الكتاب العزيز تؤكد أن الإيمان يزيد بالذكر والتفكر وعمل الطاعات وينقص بنقيض ذلك.

ويبدو أن ابن رواحة كان مقاتلا مشهورا وقائدا معروفا يحسن القيادة ومهارة القتال وأنه دائما يخرج بجيشه قائدا منتصرا، عرف النبى ﷺ فيه ذلك فكثيرا ما كان يرسله فى مهمات عدة كما إن تعيينه واحدا من النقباء يوم العقبة بترشيح من جبريل يدل على حسن القيادة وكمال التدبير فى السلم والحرب، ومع هذا كان حريصا أيضا على الطاعات ومجالس الذكر التى تزيده إيمانا، وكان حريصا على الصوم والصلاة، يروى أنه كان فى سفر مع رسول الله ﷺ فى يوم شديد الحر ولم يكن صائما إلا رسول الله ﷺ وابن رواحة، كما يروى أن رسول الله ﷺ بعث ابن رواحة فى سرية فوافق ذلك يوم جمعة فقدم أصحابه وقال أتخلف فأصلى مع رسول الله ﷺ الجمعة ثم ألحقهم. قال: فلما صلى رسول الله ﷺ رآه فقال: ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟ قال أردت أن أصلى معك الجمعة. فقال رسول الله ﷺ لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما أدركت غدوتهم. فهذا يدل على شدة حرصه على الإكثار من عمل الطاعات بدليل أنه أراد أن يجمع بين خروجه للجهاد وبين الصلاة خلف رسول الله

ﷺ، ونحسب أن الموقف الذى يذكر لابن رواحة وينبغى للذين يكتبون عنه أن يضعوه فى مكانه المناسب فى سيرة الرجل وتاريخه.

وحرى بهذا الموقف أن يسمو بصاحبه ابن رواحة فيجعله فى قمة الرجال لأن الرجال تقيم بالمواقف التى يكون لها أثر فى مسيره التاريخ. من هذه المواقف التى نحسب أنها كانت ذات خطر بالغ فى تاريخ الرجل ومسيرة غزوة مؤتة، ما فعله ابن رواحة حيث إنه لما نزل المسلمون بلدة معان القريبة من مؤتة وبلغهم أن هرقل جمع لهم من الروم مائة ألف. ومن أشياعهم مائة ألف. فأقام المسلمون ينظرون فى أمرهم كيف يواجهون هذا العدد المهول وهم ثلاثة آلاف فقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمر نمضى له؟ كان من الممكن لهذا التردد أن يثنى عزم المسلمين عن القتال وأن يكون سببا لتسرب الوهن إلى قلوبهم خصوصا وأنهم يقاتلون خارج حدود بلدهم على أطراف الجزيرة وأن مدد العدو بالعدة والعتاد أقرب من مددهم إن كان ثمة مدد، وأحسب أن مسار التاريخ كان يمكن أن يتغير لو لم يمض المسلمون لقتال العدو فى هذه الغزوة، وما ندرى كيف كان يمكن أن يتغير مساره؟ هنا يقف ابن رواحة موقف الرجال يصوب مسيرة التاريخ إلى المنهج القويم ويذكر الناس بأهم موازين النصر والقوة فى ميزان الحرب والسلام عند المسلمين، وقف ابن رواحة يقول: «والله إن التى تكرهون هى التى خرجتم تطلبون. الشهادة. وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به» إنه يقول ويعلن موازين القتال فى الإسلام وأن جيش المسلمين هو جيش هداية وتبليغ لا جيش طمع وجشع - ثم نادى فى الناس انطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة! بهذه الكلمات الواعية المستنيرة رد ابن رواحة إلى الناس صوابهم فقالوا صدق والله ابن رواحة ومضوا إلى القتال.

هذا موقف لا نقول إنه يحسب لابن رواحة فى مسيرة جيش لكنه يحسب له فى أهداف ومثل دعوة الإسلام ومن عجيب أمر هؤلاء الناس المسلمين الأوائل أنهم فى نبلهم ومثلهم وطاعتهم لله ورسوله كأنهم ملائكة. وفى حياتهم ومعاشهم بساطة وسهولة ويسر كأنهم بشر. فإلى جانب هذا الموقف العصيب نرى لابن رواحة موقف تمتزج فيه رجولة الرجال وفحولتهم بالدعابة التى لا يخلو منها إنسان كريم عفيف فهى تضاف إلى سجل مواهبه فى الخصال الحميدة كما تضاف إلى سجل كل رجل شجاع فإن النفس البشرية تألف الدعابة وتحن إليها حينا حتى تروح بها عن تبعات المسئولية وثقل المهمات. فلا ينقصها ذلك. ولا يعيب الرجل الكريم أن يجنح إليها كلما دعته ظروف الحياة إلى ذلك يروى أنه كانت لابن رواحة امرأه وكان يتقيها - أى أنه كانت فيها حدة وغيرة، كان ابن رواحة يعرفها منها لكنه كان يؤثر صيانة البيت وحماية الأسرة فهو يتجنبها بقدر ما يستطيع وبما يحفظ له توازنه فى بيته.

رحم الله ابن رواحة وألحقنا به فى جنات الخلد وصلى الله وسلم على رسول الله الذى أدب وعلم ابن رواحة وصحبه.

قصة العدد

عمار بن ياسر

للأستاذ/ كامل محمود حبيب

«صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»
«حديث شريف»

وقف بباب دار الأرقم رجل آدم طوال أصلع أشهل العينين بعيد ما بين المنكبين.. وقف يردد بصره فيما حوله وإن الشيطان ليوسوس له يريد أن يثنيه عن عزمه، وإنما قلبه لينتفض مما استولى عليه من الرعب، وكيف لا يستلبه الفزع من بعض عقله وهو فى هذا البلد وحيد، فما من عشيرة تحميه، وما من أهل يدفعون عنه الأذى؛ وقريش من ورائه فى الصولة والسلطان أشداء على صحابة محمد ورفاقه، يصبون عليهم فنونا من القسوة والعذاب فى غير رحمة ولا شفقة؟ واصطرع فى رأس الرجل عاملان: هنا النبى الكريم يشرق النور الإلهى من جبينه فيسطع متألقاً يجذب إليه جماعة ممن رضى الله عنهم، وهناك قريش لا تستطيع أن تنزل عن كبريائها فى هوان وذلة وهم سادة القوم وأمراؤهم فكيف يلقون السَّلم فى ضعة؟ كلا، بل أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

أفينكص الرجل على عقبيه ليتردى فى الغواية مرة أخرى ويعكف على أصنام من حجارة لا حول لها ولا طول، أم يندفع فيلج باب دار الأرقم ليلقى محمداً.. ثم يتلظى - بعد حين - بنار يؤج سعيرها وتنبعث من قلوب عليها أقفالها.. قلوب قريش المغيظة المحنقة؟ وأطرق يفكر ما يطمئن إلى أمر.

وجذبه من أخيلته صوت أقدام تسير إليه فى وناء وثبات.. فإذا صهيب بن سنان أمامه، فاندفع يحدثه:

● «ما تريد يا صهيب؟»

●● قال صهيب «بل ماذا تريد أنت يا عمّار»

● قال: «أريد أن أدخل على محمد فأسمع كلامه»

●● قال صهيب: «وأنا أيضا، فوربى لقد دفعنى قلبى إليه وإن خواطرى لتضطرب فى خيالى خشية مما ألاقى بعد».

ثم انطلقا جنباً إلى جنب إلى حيث النبى فأسلما معاً، وما استطاعا أن يبرحا الدار حتى خيم الظلام على الأرض، فخرجا يتسللان.

وأشرق نور الإيمان فى قلب عمار بن ياسر فما استطاع أن يكتم نزوات الفرح والغبطة فى قلبه، فراح إلى أبيه «ياسر» وأمه «سمية» يحبّب إليهما الإسلام فأسلما، وانطلق هو يعلن عن إسلامه فى جرأة لا يرهب القوة الثائرة، ولا يخاف العذاب الأليم.

وافتنّ آل حذيفة فى تعذيب آل ياسر - وما آل ياسر سوى عمّار وأمه وأبيه - لا يتورّعون من شر.. لقد مات ياسر فى العذاب، وماتت سمية إثر طعنة من يد أبى جهل؛ وعمار يشهد فما وهن وما استكان، فأغلظوا عليه وفى قلوبهم مراجل من الغيظ يُحمى عليها بنار من الصلف كلما خبت زادها الشيطان سعيراً.

وفى ذات مرة أخذوا يغطونه فى الماء المرة بعد المرة فما تركوه حتى نزل عند رأيهم وقد بلغ به الجهد مبلغه، وهم يقولون له: «اللات والعزى إلهك من دون الله» فيقول هو: «نعم» ويقولون له: «هذا الجعل إلهك» فيقول: «نعم» وحين انفلت من بين أيديهم استشعر وبال أمره فراح يكفر عن خطيئته بعبرات الأسى والندم، ويستغفر الله أن زلّ لسانه، وفى قلبه حسرات وحسرات، ولقيه رسول الله ﷺ وهو فى أحزانه ما يستطيع أن يكفكف بعض عبراته فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول:

● «ما وراءك؟»

●● قال عمّار: «شر يا رسول الله، والله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير»

● فقال: «وكيف تجد قلبك؟»

●● قال: «مطمئن بالإيمان»

● قال: «فإن عادوا فعد» فانطلق عمار وقد مسحت كلمات النبى ﷺ على أحزانه.

وانطلق الفوج الأول من المسلمين إلى الحبشة فرارا من أذى قريش وخوفا من الهوان والفتنة، وعلى أثره الفوج الثانى وفى أكبادهم حرق أن نأوا عن وطنهم وأولادهم وعشيرتهم، وعمار صابر على أذى الكفار يتحمله فى جلد وصمت على

حين لا يستطيع أن يصبر عن مشرق النور والرحمة من وجه النبى ﷺ ، وما يزيده العذاب إلا إيمانا بمحمد ﷺ ودين محمد.

وهاجر عمار - فيمن هاجر - مع النبى ﷺ إلى المدينة فهبطها ضُحى، فما تلبث حتى أخذ يشيد للرسول مسجدا يقيم فيه الصلاة فى غير حذر ولا رقبة، وفى نفسه اللذة والطرب وهو ينشد: «نحن المسلمون نبتنى المساجدا» ورسول الله يردد: «المساجدا» واندفع القوم يشد بعضهم أزر بعض يحمل كل واحد منهم لبنة لبنة غير عمار فهو يحمل لبنتين لبنتين، وراع القوم أن يجهد عمار نفسه فتنقل الحديث فى همس: «إن عمارا يريد أن يقتل نفسه فهو يحملها فوق طاقتها!» وسمع النبى ﷺ الحديث فراح ينفض التراب عن رأس عمار وهو يقول: «ويحك ابن سمية! تقتلك الفئة الباغية!».

ولصق هو بالنبى ما ينأى عنه فى سلم ولا حرب لأن قلبه وإيمانه لا يطاوعانه على أن يفعل.



ولحق النبى الكريم بالرفيق الأعلى فبكاه عمار - فيمن بكى - سحا وتسكابا وفى قلبه - من أثر الفراق - جرح ما يندمل إلا أن يلحق بسيده، ثم هو لم يستشعر الوهن ولا الضعف فى دينه.

وارتد مسيلمة وقومه حين انفرجت الثغرة بموت الرسول فاندفع إليهم عمار - فيمن اندفع - ثائرا هائجا يهدر يريد أن يؤدب قوما على عصيانهم، وحين وجد فى المسلمين هوادة وفتورا ارتقى هو شرفا عاليا ثم أخذ ينادى وقد قطعت أذنه: «إلىّ، إلىّ يا معشر المسلمين، أنا عمار بن ياسر، أمن الجنة تفرون؟ هلموا إلىّ!» ثم اندفع إلى الصفوف يفرق ما اجتمع منها كأنه فتى فى الثلاثين، وهو قد شارف السبعين من سنى حياته.



رحم الله عمر بن الخطاب فلقد كان بصيراً بأقدار الرجال حين أمّر عمار بن ياسر على الكوفة وكتب إلى أهلها: «.. أما بعد، فإنى بعثت إليكم عمار بن ياسر أميرا وعبدالله بن مسعود وزيرا ومعلما، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر فاسمعوا لهما وأطيعوا واقتدوا بهما..».

لقد تأمر عمار على الكوفة فما أخذته كبرياء المنصب، ولا روعة الإمارة؛ ثم عزله عمر فما استولى عليه اليأس، وما حمل لأمير المؤمنين فى قلبه حفيظة ولا حقداً، بل قال: «والله لقد ساءتنى الولاية بقدر ما ساءنى العزل» واندفع على سننه لا يجد الخور ولا الفتور إلى نفسه سبيلاً.

يا عجباً! يا عجباً! يتغلغل الإيمان فى القلب فيحجب الإنسان عن لذاذات الحياة ومباهجها لينقله إلى لذاذات ومباهج أخرى هى لذاذات قلبه ومباهج دينه؛ ثم

ينزع عنه أطماع الدنيا وشهواتها فإذا سواء لديه أن يكون له ملك لا ينبغي لأحد من بعده، أو يكون فقيراً لا يستطيع السبيل إلى اللقمة يقيم بها صلبه إلا بشق الأنفس.



ووقعت الفتنة الكبرى بين المسلمين، فانشقت العصا، وغدا كل حزب يزعمون أن الحق إلى جانبهم، فانضم عمار إلى عليّ وأصحابه وهو يقول: «تالله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت أنَّا على حق وأنهم على باطل» وراح يدفع عن الحق فما يهن ولا يستكين، وإنه في يوم صفين لعلى رأس رجال من أصحاب النبي كأنه علم، إن تيامن تبعوه وإن تياسر تبعوه، وهو يحرضهم بقوله: «أتفرون من الجنة والجنة تحت البارقة، اليوم ألقى الأحبة: محمدا وحزبه» وفي يده حربة ترعد وهو ينادي: «ألا من يبارز؟ ألا من يبارز؟»

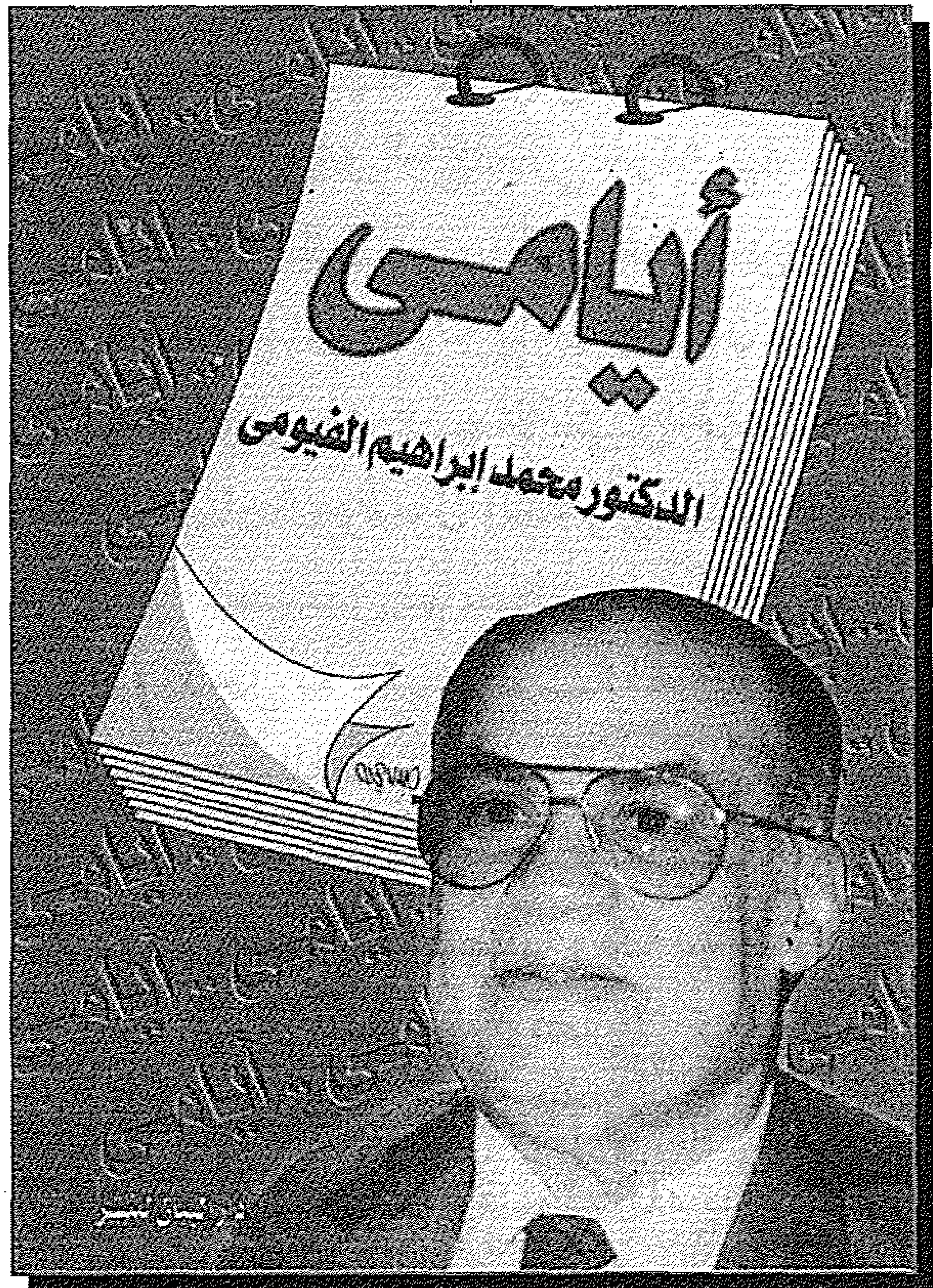
ويحك ابن سمية! تقتلك الفئة الباغية!

وشهد هذا اليوم مشهداً مروعاً من مشاهد الحرب تنفطر له الأكباد، هو قتل عمار بن ياسر! لقد رماه أبوالعادية المزني بالرمح على حين غفلة منه فهوى إلى الأرض.. ثم أكب عليه آخر فاحتز رأسه في غلظة وجفاء.. وانطلقا يختصمان لدى معاوية في رأس عمار وكل واحد منهما يقول: «أنا قتلته» علّهما يصيبان أجراً، وعند معاوية عمرو بن العاص وابنه عبدالله ورجال من خاصته والمقربين إليه، فقال عبدالله: «ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية» وقال عمرو بن العاص: «والله إنهما ما يختصمان إلا في النار، ووالله لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة» فأربدّ وجه معاوية وهو ما يستطيع أن يدفع عن نفسه بعض ما أصابها، وفي قرارة نفسه أن جيشاً من أقوياء المسلمين وأشدائهم ما يقدر على أن ينال منه بعض ما يناله حديث عمرو بن العاص وابنه إن هو شاع بين جنوده.

وهناك في العراء وقف عليّ بن أبي طالب - عليه السلام - بإزاء جثمان عمار بن ياسر يقول وفي قلبه الأسى والحزن على أن فقد صاحب رسول الله وحبيبه: «إن امرءا من المسلمين لم يعظم عليه قتل ابن ياسر، وتدخل به عليه المصيبة الموجعة لغير رشيد، رحم الله عماراً يوم أسلم، ورحم الله عماراً يوم قُتل، ورحم الله عماراً يوم يبعث؛ لقد رأيت عماراً وما يذكر من أصحاب رسول الله ﷺ أربعة إلا كان رابعاً ولا خمسة إلا كان خامساً، وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله يشك أن عماراً قد وجبت له الجنة في غير موطن ولا اثنين، فهنيئاً لعمار بالجنة..».

وانطوت صفحة بيضاء ناصعة من صفحات الإسلام وانقض ركن من أركان الإيمان الثابت.. فرحم الله عماراً.

انتقل إلى رحمة الله الأستاذ الكبير الدكتور محمد إبراهيم الفيومى أحد أعلام الأزهر الشريف والمحرر اللامع للأبحاث العلمية الرصينة بمجلة الأزهر، وقد كتب الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى كلمة تحليلية عن حياته المثمرة حين تعرض للحديث عن كتابه «أيامى» الذى يتضمن خلاصة تجاربه، ويهمنا أن ننشر كلمة الدكتور محمد رجب البيومى ليعرف القارىء مناحى طيبة من حياة الفقيد الكبير رحمه الله وأجزل له الثواب.



عرض وتحليل/

د. / محمد رجب البيومى

لم يكن اختيار الدكتور محمد إبراهيم الفيومى موضوع «القلق الإنسانى» مجالاً لدراسته الفلسفية فى رسالة الدكتوراة حدثاً طارئاً على نفسه، حين أخذ يفكر فى موضوعات شتى حتى اهتدى إلى (القلق) إذ تأكد لى بعد قراءة كتابه «أيامى» أن هذا القلق قد صحبه منذ بدأ يعى ما حوله من مظاهر الوجود، طفلاً فصبياً فشاباً، إذ كان لا يفتأ يفكر فيما يُشاهد، مُحاولاً أن يجد له سبباً يطمئن إليه، فإذا لم يجد التعليل المقبول بعد السؤال الملح، والنظر المتطاول، تقاذفته الحيرة الفكرية: فأرق أرق الباحث عن جوهر ثمين ضاع منه، لقد تأكد لى ذلك وأنا أقرأ الفصول الأولى من أيامه، فعجبتُ لهذا الفيلسوف الصغير حين اندفع بحسه قبل أن يندفع بعقله إلى بيان التأمل المتصل، تأكد لى ذلك قبل أن أصل إلى باب (حياة قلقة) الذى قدم الدليل على ما أحسستُه، ثم تولى بعد ذلك حديثُه المتأمل الراضى قليلاً، والناقم كثيراً على ما حوله ومن حوله من الأشياء والأناسى، وهى نقمةُ الراحم الشفيق، لا نقمةُ الجبّار الغليظ، فنقمةُ الراحم نتيجة لإحساس دافق بالحق والخير والجمال، وأسف على ضياع المُثل الرقيقة التى يجب أن تسود، مع إشفاق على هؤلاء الذين يتخبطون فى الدياجير، دون أن يجدوا شمعة تضىء، أما نقمةُ الجبار الغليظ فنقمةُ المتكبر المترفع عمن حوله، مع ازدراء لمظاهر الضعف الإنسانى، وكأنها ليست

نتائج لمقدمات أليمة لا مفر منها، وهنا تكونُ النقمةُ ضرباً من الشذوذ الخلقى، يجبُ أن ينأى عنه من يتخذون المعرفة باباً لاستكناه الدوافع، وفتحِ المغاليق، وقد دفع هذا القلق الثائرُ طالبَ القسم الابتدائى بالأزهر إلى قراءة كُتب الفلسفة قبل أن يدرك الهدف الحقيقى لهذه المادة، دفعه لأن يقرأ كتاب الفلسفة الإغريقية للدكتور محمد غلاب، وأن يُطالع آثار العلامة الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى فى آفاقه العالية، وكان الموقف صعباً عليه إذ تكنفهُ غموض مبهم لم يكد يفهم عنه شيئا فى هذا السن الباكرة، ومع ذلك فقد كان يُصغى إلي هاتف ملح يدفعه إلى القراءة من جديد.. ويُغريه باكتشاف الألغاز، كمن يقفُ أمام صندوق حديدى لا يعلم شيئا عما بداخله، وليس له إلا أن يُحاول فتحه بأظفاره الرقيقة وحدها، فإذا عجز لم يترك الصندوق لشأنه، ولكنه يحتضنه مترقباً ساعة آتية فيما بعد، وقد لطف الله به فكان الصندوق الحديدى هذا موضع تخصصه فى مُقبل أيامه، فكتب وحاضر وألف فى الفلسفة حين ألقت إليه بالمقاليد، ولم يهدأ القلق فى نفسه، لأن الفلسفة لا تُفضى إلى الجزم الأكيد، بل تدفعُ بالحيرة مرة ثانية أمام الأدلة المتكافئة، وهى حيرة محببة، لأنها ليست تخبطاً، بل هى عرض متشعب لتيارات متقابلة، والعقل يرتاح لسبحه المتصل فى بحار يعرف أغوارها، ويشعرُ بارتياح حين يعلُو به الموج ويهبط، وكأنه يلهو بأرجوحة تميل به، وإذا جزم نفر بمقررات الفلسفة، فلهم أن يهنئوا بما انتهوا إليه من يقين، ولكنهم ليسوا أفضل ممن يتشككون.

على أن من عجائب هذا القلق، أنه وُلد فى نفس الناشىء، وهو تلميذ بالمدرسة الأولية قبل أن يلتحق بالأزهر، فقد جعل يقفُ بعقله الغض أمام كل ظاهرة يراها، ورفاقُه فى المكتب يرون هذه الظواهر دون أن تترك صدى ما فى نفوسهم، ولعلهم ضاقُوا به حين يرونه يتطلع صامتاً، وكأنه يخفى سراً يحرص على كتمانه، وقد يُشاركهم فى اللعب وصيد السمك، وقطف ثمار التوت والجميز، ولكنه يجعل من ذلك كله باباً لأسئلة لا حصر لها، فقد صمم فى إصرار على أن يفهم ما حوله، ثم هو فى الوقت نفسه يتجرأ على السؤال محسناً الظن بمن يكبرونه فى السن، فلا يجد غير الاستنكار، وكأنه يسأل عما لا يليق وقد كان صادقاً حين تحدث عن نفسه فى هذه الفترة فقال ص٤٣ :

«قادنى التأمل إلى أن أُطيل النظر.. وجعلنى أطوف بالقرية لأقف مستوضحاً عن أشياء صغيرة، حتى عُرفت من الأصدقاء بأنى كثيرُ الأسئلة، وكأن للتأمل أثر فى حياتى. إذ حَبب إلى التأنى وكرهنى فى التهور والتسرع حتى فى مشيتى وكلامى».

وإذا كانَ خطّ التفكير قد بدَا واضحاً

فى اتجاه الناشىء المتطلع، فقد واكبه خط الوجدان، إذ بدت رُوحه الشاعرة تثب وثباً من خلال تأملاته النظرية فهو من هذه الناحية أفلاطونى لا أرسطى، وقد يُنكر ذلك من يقرأ بحوث الفيومى فى الفلسفة وعلم الكلام إذ يظنه يقعدُ مقاعد ذوى الفكر الخالص، والمنطق الصارم، ولكن من يتأمل شجونه الرقيقة يعرفُ أنه ذُو روح خفاق، إنه يتحدث عن صياح الديكة فى مشرق الفجر مُجاوباً صوت المؤذن، فيشعرك بنشوة الطفل الغرير حين تهزّه موسيقى الوجود فينفعلُ بها انفعالاً لا يخلص من تأثيره الخالب، وقد عبرّ عن بعض ذلك حين قال ص٣٩ :

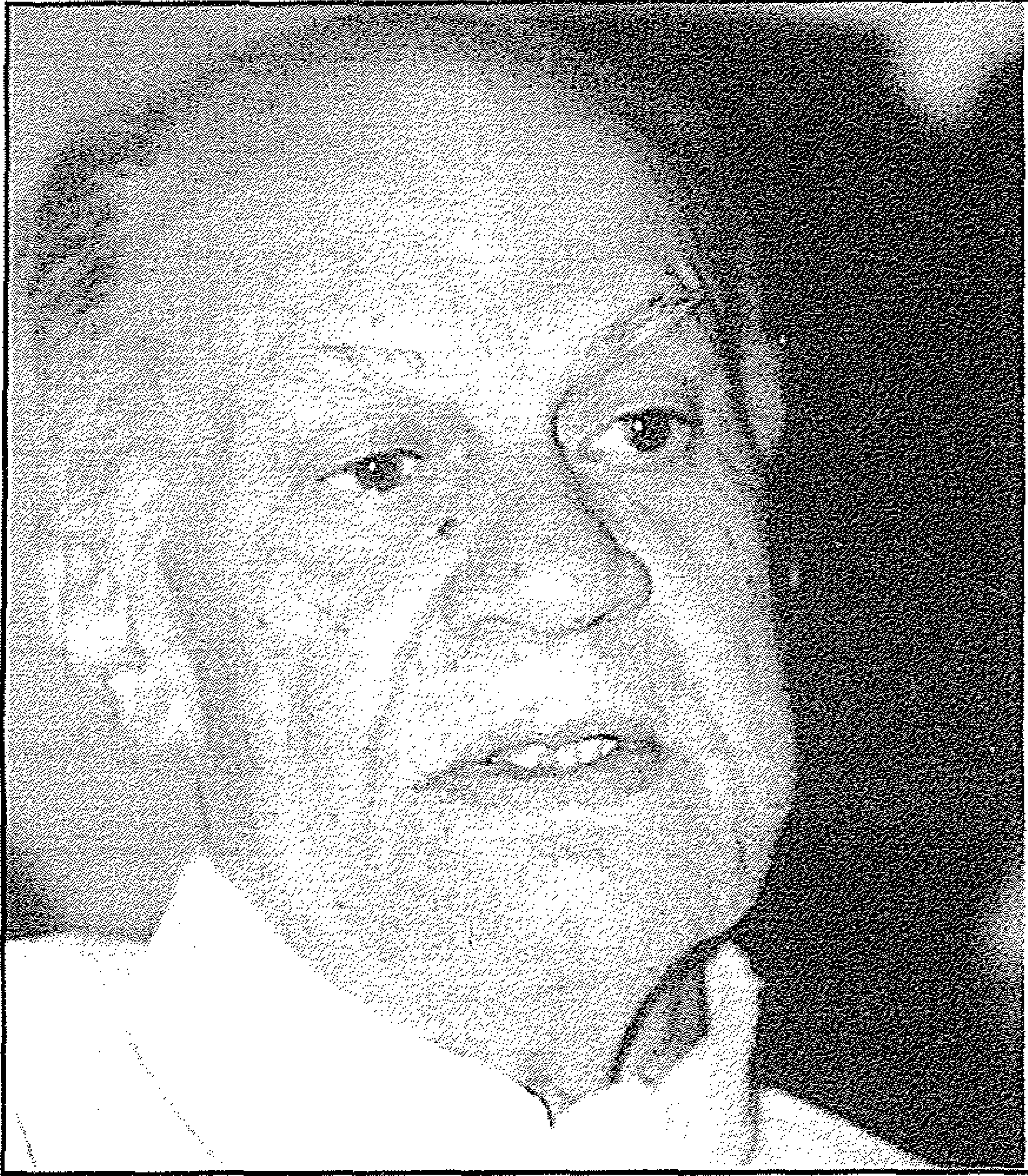
«تصادقت أذناى مع هذه الأصوات فكنتُ أصحو معها مبكراً، وأُصلى مع جدتي وأجلس بجانبها أقرأ القرآن، ثم مع شروق الشمس أصعد إلى البيت لأرى الحمام وهو يقفُ علي الجدار، وقد زها شكله، يهدلُ مداعباً أليفته أو منافراً عنها، أو مواكلاً صغيرة، ثم يطير محلقاً فى سموه ويحط فى نفس المكان وكأنه يتربص، كان يعجبنى نشاطه المبكر فكنت أسمع صوته بعد الفجر، بعد سماع صوت الديكة مُوذناً بيوم جديد، وكان هديله يلبسنى ثوب العافية فأقومُ وأصلى، وأصعدُ لأشاهده فى شكل أسرةٍ نظامية لها نظامها، كل زوج بعضُه مع بعض، تعلمتُ منه الاستقلال فى الشخصية حين رأيته يربى صغيره حتى يكبر ويعلمه الطيران ويقسُو عليه حتى يجبره على الاستقلال فوقر في نفسي منذُ حداثة سنى أن أستقل بعد مرحلة مُعينة طوعاً أوكرهاً، فأتحمل مسئوليتى».

لقد نشأ الفيومى بالأزهر كما نشأتُ من قبله بسنوات، وعرض أحداثاً مواقف مرت بى تماماً، ولكنى نسيتها حتى ذكرنى بها، لأن ذكراته الواعية قد ساعدته على تمثل أكثر ما مر به، وهو فى ما يذكرُ لا يقف موقف السارد المردد، بل يجعل لكل موقف تعليلاً، ولكل حادثة تفسيراً، وهو يذكرنى بما كتبه الأستاذ الدكتور أحمد أمين فى كتابه الرائع «حياتى»، حيثُ جعل من كتابه صورة صادقة لبعض ملامح عصره اجتماعياً وثقافياً وسياسياً، مع فرق واضح هو أن الدكتور أحمد أمين قد لزم القضية، فلم يفصح عن كثير مما ظنه يسيء أقواماً لهم كلمتهم المسموعة، أما الفيومى فكان أصدق من كتب عن مرحلة من حياتنا السياسية بالغة الخطورة فى أثرها الاجتماعى والخلقى، مرحلة تكتلت الجهود على الثناء عليها بالباطل لا بالحق، حتى غُم الأمر على كثير من الأغرار، وجاء الفيومى فكشف الستار عن مخازٍ دنيئة، عرفها قوم فحاولوا إخفاءها، ورأوا من الكياسة أن يسيُروا فى ركب الهتاف الوصولى، واقتناص المنافع المرتقبة، وإن

شوهوا وجه الحقيقة، وكان من العجب أن ترى الواحد من هؤلاء يصطنع الرزانة والتعقل، وهو يختلقُ من التبريرات ما يعتقدُ بطلانه الأكيد، ثم يدّعى حياد النظرة، واستقلال الفكرة، وقد فضح الزمن هؤلاء حين مضى عهد وجاء عهد، فلبسُوا لكل زمن لَبوسه، وواصلُوا النفاق من جديد، لقد كتب الفيومى صفحات موجعة عن حقيقة مُظلمة غمرها الخزى والتوقح والاستخفاف، وكان ملهماً كل الإلهام فى اختيار ما ليس معهُ خلاف من فظائع الأحداث، حين رأى أن المنتفعين من ذوى الغرض الكسبى يلجئون إلى المُشتبهات ليُلبسُوا الحق بالباطل، فترك هذه المشتبهات إلى ما لا خلافَ عليه مما يفقأ عين المُمارى فلا يستطيعُ الإبصار.

لقد خُدع الفتى عند قيام الثورة بما يُسمى «منظمة الشباب وظن أحلامه الوردية ستتحقق فى أسرة مثالية ذات أهداف راقية تكونُ بمثيلاتها صورة لمجتمع خلقي نظيف، وتقدم بأمانيه شادياً مغرداً يكادُ يقفز فى طريقه من الفرحة، فرحة الظامىء المحرور وقد تخيل على البعد جنة ذات ظل وثمر وغدير، ووصل الشاب الحالم إلى مقر حُلمه فماذا وجد؟ وجد ما تحدث عنه بمرارة حين قال ص١٠٥:

«دفعتنا تلك المشاعرُ إلى الانتظام فى «منظمة الشباب» و«هيئة التحرير» فوجدنا مكاتب رسمية يجلس عليها أناس



د. محمد إبراهيم الفيومى

رسميون لا يمتون إلى الشباب بصلة، ولا يعرفون عن التنظيمات الشبابية شيئاً، وإذا أردت أن تحادثهم كان عليك ان تنتقل من مكتب إلى مكتب، وإذا استجابت لك السماء وكتبت لك سعادة لقاء ذلك المسئول، وجدت شخصا متغطرساً يجلسُ على كرسيه مترنحاً يسرح بعينيه مع دخان سيجارته الغليظ، ويسألك بصوت غليظ أيضاً: إيه الموضوع؟ فتظل تحكى وتحكي وهو يهز رأسه، ويزوم بصوت لا تتبين حروفه ثم يقول: «ها نشوف المسألة!! وينتقلُ فيقول: قُول لى: لسه فيه إخوان؟ ما موقفُ الشبان من الثورة؟ احذروا من الوافدين والإخوان! ومن،.. ومن».

هذه السطور القليلة تنفجرُ عن معانٍ

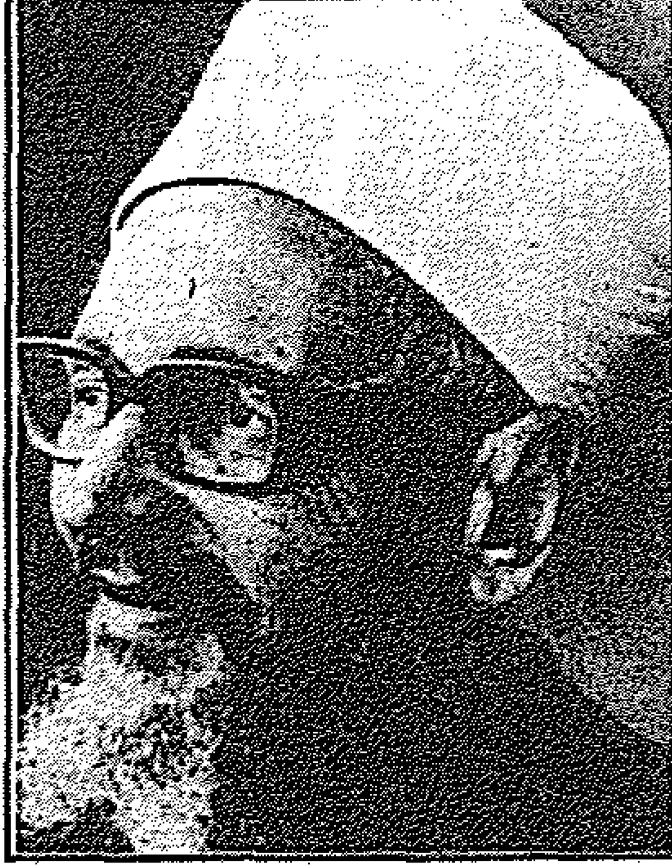
بغيضة تعصف بكل أمل مشرق يراود الشباب المتطلع، وهي تاريخ واقعي لو اكتفى بتسجيله ناقدٌ محايد لكان فيه كفاء وغناء! ومثلُه في «أيامي» كثير، حتى خُيل إليّ أن هذه الأيام شهادة على العصر، شهادة موجزة تحملُ الدلائل الفاجعة دون تزيد! وكانت الغشاوة تسدُل على العيون ستارها فلا يهتدى البصر الثاقب، في صرخات الإعلام، وهُتاف الشعارات، وتصفيق المأجورين ممن يسيرون في كل ركاب، فماذا كان يصنع أمثال الفيومي من الشباب الطامح؟ وقد أحاطت بهم النيران من الجهات الست فهم منها في الإضرام مشبوب! ثم أذن الله أن تخمد صرخات الشعارات حين وقعت الهزيمة النكراء، فرُفع الستار عن مجرور نتن الروائح لا يزكمُ الأنوف فحسب، بل يقتل الأرواح صعقاً ومحقاً، وقد تحدث الفيومي عن هذه الزلزلة المُروعة التي سُميت بالنكسة تدليساً كما سُميت الجرائم سلبيات! وهي فظائعُ تشيب لها الرؤوس، تحدث في سطورٍ مُحرقة تجد تجاوبها اللاهب في الصدور، لأن الكاتب حين كان ينقل عن خاطره الحزين، كانَ في الوقت نفسه ينقل عن خواطر الشرفاء من مُعاصريه، لكنه برع وحلّق حين تحدث عن المأساة الحقيقية فيما كتبه تحت عنوان (الصراع بين السلطة والشعب ص٢١٣)، إذ قال فيما قال:

«ولا أحسبني مبالغاً، إذا قلتُ إن الصراع الذى احتدم بين السلطة والشعب، ومحاولة إبرازه متآمراً وأنه غيرُ جدير بتعاون الحاكم معه، أصبح من المسلمات الأساسية حتى بات التحدّث عنه من باب التواطؤ مع المتآمرين، فالقول بأن الشعب متآمر نقطة أساسية في حساب النظام الحاكم، وعليه قامت بينهما العلاقات المتوترة، وتشريع الأحكام العرفية، وقانونُ الطوارىء لكشف حركات تآمره، فتسلطت الأجهزة السياسية بألوان رهبوتيها على الشعب.. وإذن فالقولُ بأنَ الشعب متآمر مقولة أساسية في بناء نظرية الثورة السياسية، وهكذا ابتدعُو من عند أنفسهم عدوا مختلقاً، وهو أمنُ الحاكم مقابلاً لأمن المواطن».

أرأيت كيف كانت صفحات الأيام سجلاً صادقاً يصلح أن يكون وثيقة أمينة في يد المؤرخ السياسي المحايد، كما صار سجلا اجتماعياً وثقافياً في أيدى رجال الثقافة والاجتماع، فالقريةُ والمدينة معاً قد وجدنا تاريخهما الدقيق فيما سطرهُ الفيومي عن قريته في مركز ميت غمر وعن عاصمته الشرقية (الزقازيق) وعن الحركة الثقافية التي وجدت خيوطها فيما تحدث به الفيومي عن قراءاته وكتاباته وندواته! وقد كُتب لي أن أعرف كثيراً ممن تحدث عنهم الأستاذ الفيومي من أمثال عبدالحليم محمود، ومحمد غلاب، وعباس محمود

العقاد وعلى أدهم وعبدالرحمن بيصار، فكانت انطباعاتى عن هؤلاء قريبة من انطباعاته، وكأننا صوتان يترددان فى دوحة واحدة لطائرين أليفين، أما انفرادُه بالحديث عن باريس فقد أضاف إلى ذهنى الجديد، وما زُلت أذكر حديثه عن بائعة الكتب الباريسية التى سألها عن كتاب يبحث عن القلق، فسألته بدورها أيريد القلق الفلسفى أم القلق النفسى، وهو سؤال حصيف، صادف تقدير الدكتور، وإن كنتُ أرى أن القلق النفسى بمعناه الخاص جزء من القلق الفلسفى، ولكن البائعة الذكية أرادت القلق بمعناه العام، وهو ما وُضعت عنه الكتب الشعبية الرائجة مثل «دع القلق وابدأ الحياة» كما ذكر الدكتور من أساتذته فى معهد الزقازيق بعض من كانوا أساتذنى من قبل، فذكرنى ناسياً، وأخذت أقول لنفسى كيف سمحت الأيام بمحو هؤلاء الأفاضل من ذكراتك؟ وفيهم من شارك فى بنائك العقلى، وكانت الإجابة هى امتيازُ المؤلف بإدراكه الواعى، وحسابه الدقيق.

على أن الدكتور لشدة تأثره بما ألم به من المعارف الإنسانية فى دنيا الفلسفة بنوع خاص وقد سمح لنفسه أن يتحدث فى أيامه هذه كثيراً عن بعض المسائل الفلسفية مثل ما ذكره فى صفحات ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩ عن الاتجاهات الفلسفية التى تلاطمت فى الفكر المعاصر،


عبدالحليم محمود


العقاد

من تيارات هلينية، وماركسية، وكهنوتية، مع إسهاب فى عرض آراء أمثال هوبز، واسبينوزا، ولوك، وبركلى، وهيوم وغيرهم، كل ذلك صحيح لا شك فيه، ولكنه يُعتبرُ زائداً بعض الشيء بالنسبة لتاريخ حياة مفكر أديب، كُتب أصلاً لإيضاح خُطوات الحياة نفسها، لا خُطوات الفكر الأكاديمى لصاحب هذه الحياة! وقد رأيتُ من حبذ اتجاه الأستاذ باعتبار أن الإنسان كل لا ينفصل، فالحياة هى الفكر فى صميمها المتغلغل، ولكن السيرة الذاتية فى رأيى قصة تُتلى لا درس يشرح.

لقد شعرت بعد قراءة هذا الكتاب أنى فى حاجة إلى قراءته مرة ثانية، لا لأحيط علماً بمادته الأدبية فحسب، بل لأستعين من الذكريات الخاصة لى، ما وجدتُ صداها فى هذه الصفحات، لذلك أجد المؤلف قد أسدى إلىَّ يداً كريمة حين سطر هذه الخواطر، فوجب أن أزجى له شكرى الجزيل، وأن أسأل الله له رحمة واسعة، ومقعد صدق فى جنات النعيم.

ما يقال عن الإسلام

تقرير عن فحص كتاب

● عنوانه: «آيات بينات من الكتب المقدسة»

● اختيار وجمع: محمد عبد السلام خليل النواوى

● صفحاته ١٣٢ صفحة - مع ملحق فى ٢٤ صفحة

● طبع فى الزقازيق يوم الاثنين ١٣ رجب سنة ١٤١٩هـ ٢ نوفمبر ١٩٩٨م.

● وعلى الغلاف أن هذا الكتاب «وقف لله تعالى».

● وعلى ظهر الغلاف إهداء من صاحب الكتاب لفضيلة الإمام الأكبر.. نصه: (إهداء إلى فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر، مع تحيات محمد النواوى. ٢١ من المحرم سنة ١٤٢٧هـ - الموافق ٢ من فبراير سنة ٢٠٠٧) - (وصحتها سنة ٢٠٠٦م).

فحص الكتاب وعلق عليه
الدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

● هذا الكتاب نصوص مختارة، اختارها جامعها من التوراة والإنجيل والقرآن.. بهدف توحيد الإيمان بهذه الكتب معا.

وإذا كان اختيار الإنسان هو قطعة من عقله.. وهو موقف وانتماء وانحياز.. فإننا - وبصرف النظر عن النوايا.. التى يصعب الحكم عليها - نحكم - فقط - على ما بين أيدينا.. واضعين فى اعتبارنا أن صاحب هذا الكتاب مؤمن بهذه الكتب الثلاثة كما هى عليه الآن.

● والأمر الذى لا شك فيه هو أن هناك ثوابت فى التوراة والإنجيل لا تخالف ما جاء عنها فى القرآن الكريم - وخاصة فى منظومة القيم والأخلاق - والقرآن يعلن أن فى التوراة هدى ونور.. وأن فى الإنجيل هدى ونور.. لكنه - فى ذات الوقت - يتحدث عن التحريف الذى أصابهما.. وعن أن أهلهما قد نسوا حظا مما ذكروا به - أى من الذكر الذى نزل على أنبيائهم - وعن أنهم قد كتبوا بأيديهم ما ادعوا أنه من عند الله.. ومن هنا فإن

منهاج التقريب لابد أن يعتمد رصد :

١- الأشباه والنظائر .

٢- والفروق .. وليس أحد الأمرين دون الآخر .

والسؤال هو : لماذا تجاهل صاحب هذا الكتاب ما جاء بالقرآن عن تحريف التوراة والإنجيل ؟ ! .. أم أنه لا يؤمن بهذا الجزء من القرآن ، فيكون قد نقض مقصده وهو الإيمان بالكتب الثلاثة ؟ .. ويكون مقصده فقط التوسل بالقرآن والاستتار به لترويج عقائد النصارى واليهود ، التي يرفضها القرآن الكريم ؟ ! .

● إن تتبع ما جاء بهذا الكتاب يقطع بأن هذه هي «الثمرة المرة» من وراء هذا الكتاب .. وعلى سبيل المثال :

١- في ص٤ يقول : «والقارئ لهذه الكتب الثلاثة - التوراة .. والإنجيل .. والقرآن - يرى فيها أشياء ثوابت لا خلاف عليها ، أهمها : أن الله واحد» فهل هذا صحيح ؟ ! .

هل الكتاب الذي يقول : إن الرب هو يسوع ، وأنه خالق كل شيء ، وبه كان كل شيء ، وبدونه لم يكن شيء ، وهو الألف والياء والأول والآخر .. يمكن أن يقال عنه - من مسلم - إنه كتاب توحيد ، يقول : «إن الله واحد» ؟ ! .

.. وأين ما جاء بالقرآن عن كفر القائلين بالتثليث ؟ ! .

هل الإنجيل يقول - كالقرآن - عن الله

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

(الشورى : ١١)

أم أنه يقول - مع العهد القديم - : إن الله قد خلق آدم على صورته - أي على صورة الله - «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ، خلق الله الإنسان على شبه الله عمله» (تكوين١ : ٢٦ ، ٢٧ ، ٥ : ١١) .

٢- هل الإنجيل فيه - كما يدعي صاحب هذا الكتاب ص٥ - «شريعة» و«قصاص» .. أم أننا - مرة ثانية - أمام تمييع للفروق قد يصل إلى حد التزييف ؟ ! .

٣- إن جامع هذا الكتاب - في ص٦ وغيرها - يصف التوراة والأناجيل - بوضعها الراهن - بـ «الكتب المقدسة» .. على حين يعلن القرآن بأنها قد أصابها التحريف .. فهل يوصف المحرف بالمقدس ؟ ! .. أم أننا أمام تسوية بين المحرف وبين المعصوم من التحريف ؟ ! .

٤- يدعي صاحب هذا الكتاب دعوى خطيرة - سبق وادعاها غلاة المنصرين والمستشرقين - وهي أن التوراة لأنها أسبق ، فهي الأصل لما جاء في القرآن .. وأن القرآن هو تكرار لما جاء في التوراة .. وأن زيادات القرآن على التوراة كانت في الآيات العلمية .

يدعي صاحب هذا الكتاب هذه الدعوى .. مع أن القرآن عندما يقول إنه قد جاء مصدقا لما أنزل الله من كتاب ، يقول كذلك إنه جاء مهيمنا على هذه الكتب .. أي مصححا لما أصابها من تحريف وتبديل وتأويل فاسد .. وأيضا مضيفا إليها ما لم تأت به من خصوصيات الرسالة الخاتمة والشريعة العالمية .

لكن صاحب هذا الكتاب يحصر زيادات القرآن وجديده فى الآيات العلمية : الطب .. والفلك .. والهندسة .. والكيمياء .. والفيزياء .. والرياضيات .. والفضاء .. والأجنة - وما عدا هذه العلوم، فما فى القرآن هو - عند صاحب هذا الكتاب - تكرار لما فى التوراة !!.

فهل هذا كلام مسلم فاقه للقرآن الكريم ؟!.

٥- ثم .. إن فارقا بين أن نقول - مع القرآن - إن فى التوراة هدى ونور .. وفى الإنجيل هدى ونور .. وبين أن نقول - مع صاحب هذا الكتاب - إنها - وبشكلها الحالى - كلها هدى ونور !! .. وإلا تناقض ذلك مع القرآن - الذى نستشهد به - عندما يتحدث عن التحريف الذى أصابها !.

إن صاحب هذا الكتاب يعلن - فى جرأة - أن هذه الكتب - التوراة والإنجيل - بشكلها الحالى - فيها «الهدى والنور» - بأداة التعريف .. والعهد !.

٦- فى ص٩ ، ١٠ يقول صاحب هذا الكتاب : إن التوراة نزلت على موسى فى مصر - أى أنها نزلت بالهيروغليفية .. لغة موسى وقومه - .. ثم يقول - ص١٠ - إنها مترجمة عن العبرانية .. وفى ذلك جهل بأن التوراة نزلت قبل نشأة العبرية - التى هى فى الأصل لهجة كنعانية - بأكثر من مائة عام !.

كما يقول عن الإنجيل : إنه مترجم عن الكلدانية واليونانية .

ولم يسأل نفسه عن لغة المسيح - وهى الآرامية - فأين الأصل الآرامى للإنجيل ؟ .. أو حتى الترجمة عن الآرامية ؟ .

بل لم يسأل نفسه : أين إنجيل عيسى ؟ .. لأن ما أمامنا هى أناجيل ، كتبها أناس غير عيسى .. وبعد عصره بسنوات طوال .

وفى هذه الأسئلة والإجابات عليها المقدمات الضرورية للحديث عن «القداسة» لمثل هذه النصوص .

٧- وإذا كان صاحب هذا الكتاب يجهد نفسه - ويجهد الحقيقة معه - لينتزع اعتراف القرآن والمسلمين بقدسية الكتب المحرفة .. فهلا بذل هذا الجهد - وهو المسلم - كى يعترف الآخرون بالقرآن وحيا إلهيا .. وبمحمد - ﷺ - رسولا ونبيا .. وبالإسلام دينا سماويا ؟؟ .. أم أنه - مع إسلامه - محارب بسيوف الآخرين .. ولحسابهم، فقط لا غير ؟!.

٨- وهل نصارى اليوم هم الذين ينطبق عليهم الوصف القرآنى - الذى ساقه صاحب هذا الكتاب - أى الذين إذا سمعوا ما أنزل على رسولنا - ﷺ - :

﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ (المائدة:٨٣)

كما يريد صاحب هذا الكتاب لقارئه أن يعتقد ؟!.

٩- إن صاحب هذا الكتاب يتخذ - إزاء القرآن الكريم - منهجا انتقائيا معيبا ، وذلك عندما يذكر ثناء القرآن على التوراة والإنجيل التى نزلت على موسى وعيسى - عليهما السلام - ويتجاهل آيات القرآن التى تحدثت عن تحريف اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل .. ويريد - بهذا المنهج الانتقائى المعيب - انتزاع اعتراف المسلمين

«بقداسة وقدسية» هذه الكتب المحرفة!.

كذلك يتجاهل آيات القرآن التى تحدثت عن ارتداد اليهود عن توحيد الشريعة الموسوية.. وارتداد النصارى إلى التثليث بدلا من التوحيد الذى بشر به عيسى - عليه السلام.

وصاحب هذا الكتاب ليس جاهلا بهذه الجوانب من القرآن.. فهو يحصى آيات القرآن التى تحدثت عن التوراة.. والتى تحدثت عن الإنجيل.. فلماذا أدار ظهره وعقله وغفلت إحصاءاته عما جاء فى القرآن من نقد لتلك الكتب ولعقائد أهلها.. وهو نقد يصل أحيانا إلى التكفير.. واللعن.. والوعيد..

إننا بإزاء موقف يزيد على «الجهل» و«الغفلة»!!.

١٠- فى الصفحات ١٥ - ١٩ يحاول صاحب هذا الكتاب أن يصور الكتب الثلاثة: التوراة.. والإنجيل.. والقرآن - فى صورة الكتب التى لا تختلف على التوحيد لله الواحد.. وفى هذا الكلام تزييف وتدليس.

صحيح أن اليهودية قد حافظت على التوحيد - لكن تراثها قد جعل الله الواحد إلها لبنى إسرائيل وحدهم.. وللشعوب الأخرى آلهتها.. فاقترب هذا التراث من الوثنية والتعدد فى المعبودات!.

أما النصرانية الحالية فإنها قد كفرت بالتوحيد.. وأشركت المسيح مع الله.. بل وأحلته - عمليا - محل الله!.. وإلا فماذا نقول - ويقول صاحب هذا الكتاب - عن قول (يوحنا ١ :٣) عن المسيح - الكلمة - : «وكان الكلمة الله».

وفى (رؤيا يوحنا ١ :١١) ينسبون إلى المسيح عبارة: «أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، القادر على كل شىء».

وفى (يوحنا ١ :٣) : - عن المسيح - «كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان» فهل هذا هو التوحيد الذى جاء به القرآن الكريم؟!.

بل إن التدليس ليصل بصاحب هذا الكتاب إلى حيث يورد - ص٢٢ - فى الجدول الذى يقارن فيه آيات التوحيد القرآنية بما يزعم أنها مثيل لها فى الإنجيل.. فيذكر الآية

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(الحديد: ٣)

ويقارن بها ما جاء فى (رؤيا يوحنا ٢٢ :١٣) : «أنا الألف والياء البداية والنهاية الأول والآخر».

مع أن «أنا» هنا هى ضمير الإشارة إلى المسيح - وليس إلى الله - وفى السياق: «أنا يسوع» - نفس الإصحاح - عدد ١٦.

فالألف والياء والبداية والنهاية والأول والآخر - فى رؤيا يوحنا - هو يسوع.. لكن صاحب هذا الكتاب يدلس فيجعل هذا الشرك مساويا للتوحيد الذى جاء فى القرآن الكريم!.

إن أخطر ما جاء فى هذا الكتاب هو هذا التدليس الذى جاء فى الحديث عن عقيدة التوحيد.. التى هى لب الخلاف الذى حاول استبعاده وتجاهله وتزييفه صاحب هذا الكتاب.

١١- ثم.. كيف يتفق ما جاء بالعهد القديم والعهد الجديد عن آدم وحواء والخطيئة مع ما جاء

فى القرآن، حتى يقال إن موقف هذه الكتب الثلاثة من هذه القضية - التى رتبوا عليها الفداء والصلب - هو موقف واحد؟!.

إن صاحب هذا الكتاب - فى الصفحات ٤٠، ٤٢ - يورد ما جاء بالعهد القديم عن أن المرأة - حواء - هى التى غوت.. وهى التى أغوت آدم.. فكانت سبب الخطيئة واللعنة.. ويورد ما جاء فى رسالة بولس إلى تيموثاوس ٢ :١٣، ١٤ : «وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت».

فكيف يتفق هذا مع ما جاء فى القرآن من أن التكليف كان لهما معا.. والغواية والوسوسة الشيطانية كانت لهما معا.. والأكل من الشجرة كان منهما معا.. والتوبة كانت منهما معا.. ومن الإشارة إلى تحمل آدم المسئولية الأكبر، لأنه عصى وغوى.. ونسى ولم نجد له عزما..

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾

١٢- إن هذا الكتاب يروج - أساسا - للعهد القديم وللعهد الجديد.. حيث إن ما جاء به من آيات قرآنية لا يبلغ عشر معشار ما جاء به من نصوص العهدين القديم والجديد!.

● وإنه يروج لوعد الله - «المزعوم» - لنسل إسحاق بالأرض التى بين النيل والفرات.. بل لقد رسم على غلاف الكتاب خريطة هذه الأرض الموعودة!.. وفى ملحق الكتاب - ص١٣-١٥ - يجيب الكاتب عن سؤال حول ما هو مكتوب فى الكنيست الإسرائيلى من أن أرض إسرائيل هى ما بين النيل والفرات؟.

يجيب الكاتب - المصرى المسلم! - بأن يورد كلام العهد القديم الذى يصدق على ذلك والنصوص التى ساقها لتأكيد ذلك تبلغ نحواً من ثلاث صفحات!!!.

● ويروج لدعوى أن الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل.

● وأن عهد الله هو مع إسحاق وبنيه وليس مع إسماعيل - الذى يصفه العهد القديم بأنه «يكون إنسانا وحشيا»!.

● ويروج لدعوى أن إسحاق هو الابن الوحيد لإبراهيم الذين يحبه إبراهيم!.

● ويروج لقول بولس: إن هاجر مستعبدة مع بنيها! فإسماعيل ولد من الجارية حسب الجسد.. بينما إسحق ولد من الحرة حسب الموعد (رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٤ :٢٣، ٢٥).

● ويروج لقول بولس - أيضا -: «إن ابن الجارية - "إسماعيل" - لا يرث مع ابن الحرة» (رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٤ :٣٠).

وفى ذلك إنكار لنبوة إسماعيل.. وحكم بالاستعباد على أبناء هاجر - ومنهم رسولنا - ﷺ -!.

● ويروج - كذلك - لخرافات العهد القديم، بما فيها مصارعة الله ليعقوب.. ودعوى نجاة بنى إسرائيل - حتى الآن - من مرض «عرق النسا» بسبب هذه المصارعة!.

● ويروج لعداء الرب لعموم المصريين وضربه لهم جميعا - وليس فقط لفرعون وملئه.

ويلفت النظر أن هذا الكتاب قد أورد هذا الذى صنعه رب إسرائيل بالمصريين - أورده بالبنط

الكبير والأسود !!.. حتى لكأن وراء ذلك أحد حاخامات اليهود المعادين لمصر والمصريين - !!.

١٣- وفى الكتاب أن الذى طرح العصا فصارت ثعبانا أمام فرعون هو هارون وليس موسى (خروج ٧: ١٠).. فكأنما صاحب هذا الكتاب يصدق أسفار العهد القديم ويكذب القرآن الكريم !!.



وأخيرا.. فإن هذا الكتاب يقدم خدمة كبرى للنصرانية واليهودية.. ولا علاقة له بخدمة الإسلام.. بل ولا حتى بالمقارنة بين الكتب الدينية - التوراة.. والإنجيل.. والقرآن - وما وضْعُه لآيات من القرآن بين الحين والحين إلا حيلة ساذجة لتقديم عقائد اليهود والنصارى - التى يرفضها القرآن - فى إطار من التزييف والتدليس.

وليس فى الكتاب ما يشهد للإسلام سوى أربع صفحات هى البشارات والنبوءات التى تفسر كإشارات إلى بعثة رسولنا - ﷺ - ص١٢١-١٢٦.

وعندما ما أراد صاحب الكتاب أن يشهد - فى آخره - قال:

«أشهد

إن فى التوراة لآيات

وإن فى الإنجيل لآيات

لو أنكرها بشر.. لكفر»

ونسى - الكاتب المسلم - أن يشهد لآيات القرآن !!.

● أما ثقافة كاتب هذا الكتاب، فهى أبعد ما تكون عن مؤهلات الخوض فى هذا الموضوع.. فهو يقول عن نفسه - على الغلاف الأخير - إنه حاصل على «إجازة» معهد الدراسات العليا للمعلمين - لغة إنجليزية -.

فهل هناك «شهادة فى عصرنا اسمها «إجازة»؟!.

كما يقول: إنه حاصل على «شهادة» من الجامعة الأمريكية بالقاهرة فى:

أ- وصف اللغة الإنجليزية.

ب- تدريس اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية.

والملاحظ أنها «شهادة» بصيغة التنكير!.. وفى تدريس الإنجليزية كلغة أجنبية! والسؤال: هو عن علاقة «كورسات» الإنجليزى بهذا الموضوع الخطير الذى قدمنا عنه هذه الملاحظات؟!.

إن الله - سبحانه وتعالى - هو العالم بالنوايا.. وبمن وراء أصحاب النوايا !!.

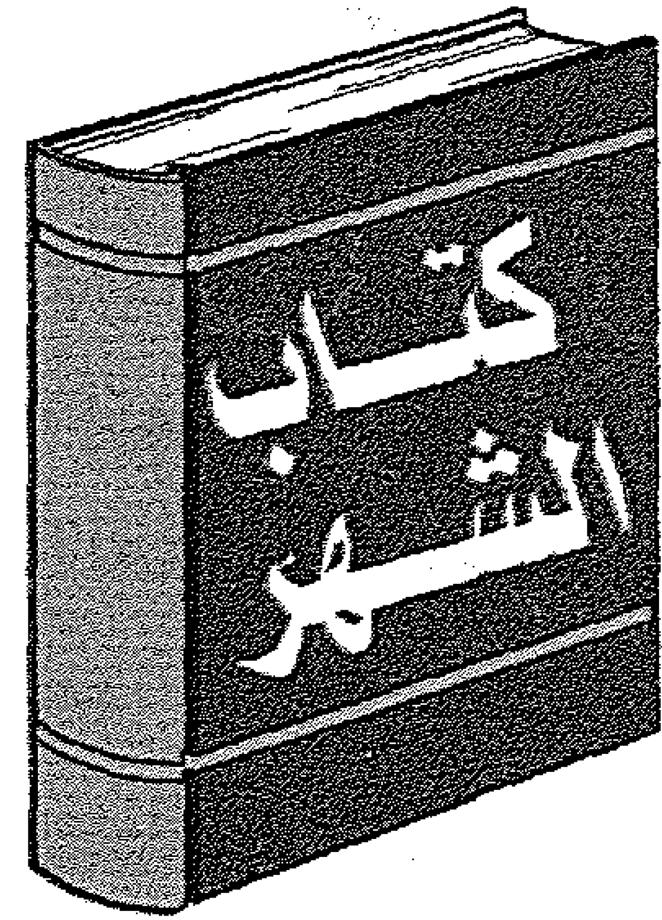
ونحن لا نملك إلا أن نوصى بـ:

١- منع هذا الكتاب من التداول.. ومن إعادة الطبع.

٢- ونشر هذا التقرير - كمقال - فى مجلة «الأزهر».

وذلك ردا على هذه الافتراءات التى طالت عددا من ثوابت الاعتقاد الإسلامى.. وردعا لمن تسول لهم أنفسهم العبث فى المناطق التى لا يجوز العبث فيها.

والله ولى التوفيق



الإرهاب الغربي

تأليف

روجيه جارودى

ترجمة

د. داليا الطوخي د. ناهد عبد الحميد
د. سامى مندور

الجزء الأول

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

٤


روجيه جارودى

الكلمة.. بلسم شاف يحفظ على الإنسان حياته، وروح تسرى فى الكيان الهامد فينطلق بالإنسان فى رحلة البناء التى تشيع فى الأرض الأمان والاستقرار.. والكلمة - فى الوقت ذاته - سلاح فتاك مدمر، يسلب الإنسان حياته، ويحرمه لذة الأمن، ويفقده طعم الاستقرار!.

وما كان هذا التباين الحاد بين ما تؤديه الكلمة ناشئا من ذات الكلمة، ولكن هذا البون الشاسع يصنعه الإنسان نفسه، الذى أنعم الله عليه بها، وجعلها من أسباب تميزه.

فالإنسان هو الذى يتحول بالكلمة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بفعل أطماعه المطلقة، وتطلعاته المتنامية بلا حدود.. تلك التى جعلت من هذا الإنسان كيانا جامحا، تدفعه ما تزينه له الأوهام؛ فلا أثر لتجربة سُبق إليها، ولا وجود لعقل وهبه الخالق له ليتبصر به، ويتعلم من غيره، فيتجنب المزالق قبل السقوط فى مهاويها، ولا قيمة لقلب زود به الإنسان ليمتاز بنبضه وخفقاته وشفافيته عن الحيوان فى الغابة.

فالإنسان الذى يوظف الكلمة فى الحوار الجاد، الباحث عن الحقيقة، المقدر أنه يحاور أخاه الإنسان.. فيجادله ـ حين يجادل ـ

بالتى هى أحسن، ويدعو إلى الخير متوسلا بالكلمة الحكيمة، والموعظة الرقيقة.. هذا الإنسان إنما هو إنسان يسمو بالكلمة عن الخداع والغش، ويرقى بها عن التعالى المتغطرس، وينأى بها عن الطغيان المادى الجارف؛ حرصاً منه على أن يوظف الكلمة فيما يليق بالإنسان فى مكانته التى فطره الله عليها؛ مدركا أن اختلاف الألسن، والألوان، والمواطن لا يضفى على الإنسان ما يترفع به عن الإنسان الآخر، وإنما تلك المظاهر الاختلافية جعلت أسبابا للتلاقى والتعارف، والتواؤم الخلاق.

بخلاف هذا الذى يتخذ من الكلمة وسيلة خداع ونفاق وتزييف، يشهرها فى وجه أخيه الإنسان سلاح تضليل قاهر، وطغيان ظالم.. على نحو ما رأينا من أبناء الغرب الأوروبى فى صنيعهم مع الكلمة، حيث بلغوا فى ذلك درجة الشطط الجارف، حتى لقد حرفوا الكلمة السماوية؛ لتكون دافعا للقهر والتدمير والإرهاب، كى يصلوا إلى ما سوّله لهم الوهم الخادع، وما زينه لهم الضلال الفتاك من مظاهر العظمة والسيادة.. ومضوا فى هذه السبيل، فى حلقات متواصلة منذ بداية التاريخ الإنسانى، حتى هذا اليوم من أيام القرن الحادى والعشرين الميلادى.

بالعنف.. أمريكا فوق الجميع

ويؤكد جارودى على صدق هذا، ويبرهن على أن الإرهاب الأمريكى المعاصر ليس جديدا على ساسة أمريكا، إنما هو امتداد لإرهاب الغرب منذ آماد بعيدة، حيث استطاع قادة أمريكا - فى العصر الحديث - أن يربطوه بالفكر والدين، حتى يفرض على كل الفئات أن يسلموا به، ويؤمنوا بأنه ضرورة يوجبها الدين، ويستلزمها الفكر الواعى.. وحتى يخلو الميدان تماما للكلمة المنحرفة، وللإنسان الذى يتقن تحريفها، والتضليل بها.

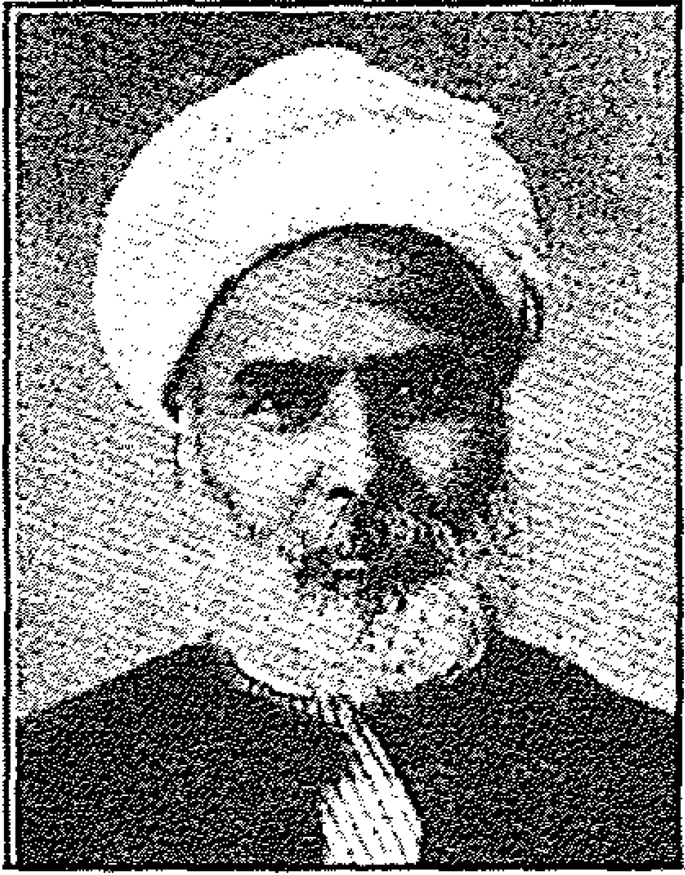
وفى سبيله إلى هذا.. يقدم جارودى ما جاء على لسان «السيناتور ألبرت جى بفريدج» عضو مجلس الشيوخ الأمريكى، منذ سنة ١٨٩٨، فى قرار: «يجب أن تصمم مؤسساتنا على وصول القانون الأمريكى، والعلم الأمريكى، والنظام الأمريكى، والحضارة الأمريكية إلى جميع المناطق والطرق التجارية فى العالم، وقد يكون ذلك بصورة دموية.. وستكون نعمة الرب معنا، حتى يصبح نجمنا ساطعا فى أرجاء العالم».

وبعد تحطيم العراق.. تأكدت إرادة الهيمنة الدولية التى تدعو إلى احتقار التقاليد، والرأى العام، والأخلاق العامة، وإلى الالتزام بالوقاحة، وقلة الحياء، والصفاقة.. على النحو الذى عبرت عنه

وثيقتان صادرتان عن وزارة الدفاع الأمريكية ؛ وكانت الأولى بإشراف «ولفو ويتس» نائب وزير الدفاع سنة ٢٠٠٢ ، والثانية بإشراف «الأدميرال جيرميا» نائب رئيس لجنة أركان القوات المسلحة الأمريكية ، حيث تعلن الوثيقتان : أن النظام الدولى أصبح مستقرا بصفة نهائية بواسطة الولايات المتحدة ، وأنه يجب التصرف السريع لمنع ظهور نظام أمن أوروبى مستقل ، وأن الوصول إلى وضع القوة العظمى الوحيدة يمكن أن يدوم من خلال بناء قوة عسكرية كافية ولديها القدرة على الردع بغض النظر عن جماعة الأمم التى ستتصدى لتفوق الولايات المتحدة وسيطرتها .

وبذلك .. تحقق الولايات المتحدة القدر المكتوب عليها الذى حدده الله مسبقا - كما يقرر ذلك كل رؤساء الولايات المتحدة - على نحو ما صرح به الرئيس «نيكسون» بعد تقاعده فى جريدة نيويورك تايمز ٧ يناير سنة ١٩٩١ فى قوله : «إن الله مع أمريكا ، إن الله يريد لأمريكا أن تقود العالم» ، «نحن لا نذهب إلى الكويت دفاعا عن الديمقراطية ؛ لأن الكويت ليست بلدا ديمقراطيا ، ولا توجد دولة ديمقراطية فى المنطقة .. نحن نذهب إلى هناك ؛ لأنه يجب علينا أن نذهب ؛ لأننا لن نسمح بأن تُهدد أو تُمسَّ مصالحنا الحيوية» .


جمال الدين الأفغانى


محمد عبده

فالسلطة فى أمريكا - كما يقرر «ريتشارد نيكسون» - تقوم على أساسين هما : الدولار ، والله .

الجشع المادى والجهل الدينى.. يدعمان الإرهاب

ويرى جارودى : أن بصيصا من الأمل راود الناس مع بدايات القرن التاسع عشر .. تمثل فى ظاهرتين متقابلتين :

١ - مثَّل أولاهما «كارل ماركس» الذى حاول أن يعيد الأمل لدى ملايين البشر الذين افترسهم الاستعماريون الرأسماليون - الأمريكيون والأوروبيون - ليمتصوا كل ثرواتهم ، ولكن هذه النظرية سريعا ما لاقت حتفها على أيدى خلفاء «ماركس» الذين غاب عنهم الإحساس التاريخى ، فاندفعوا إلى الموت المبكر ، وإشهار الإفلاس ، وسقوط الأمل الذى ابتهج له الناس ، وذلك حين أصيبت اشتراكية «ماركس» بأطماع «ستالين» ، وسعيه الحثيث لتقليد نموذج التنمية

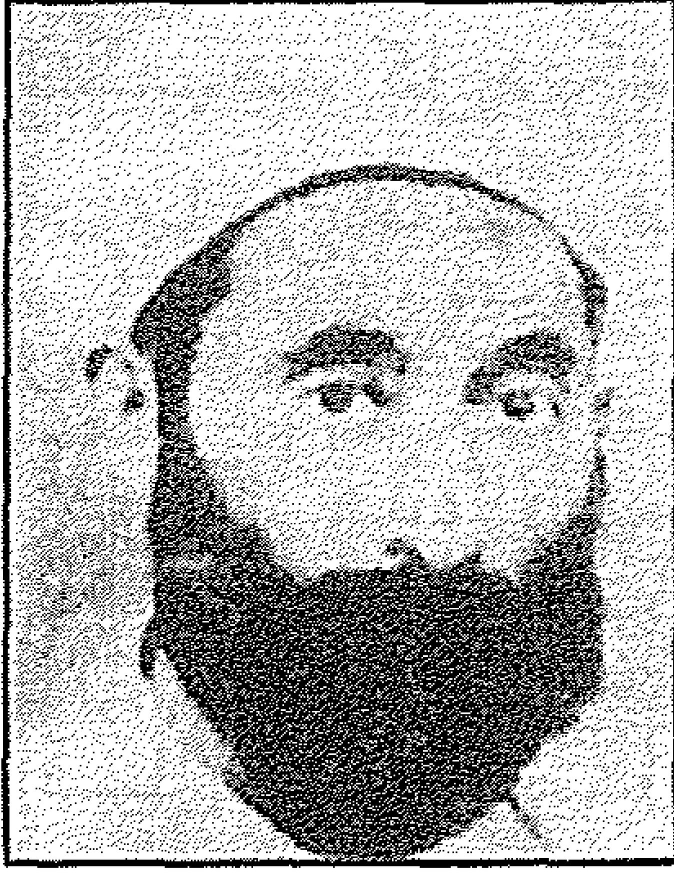
الرأسمالى، وتابعه «بريجنيف» بعجزه، و«جورباتشوف» بتهوره، و«بوريس يلتسين» بعهره السياسى؛ فبددوا مواردهم العظيمة، ليمارسوا نوعا آخر من الاستعمار، تمثل فى دعم عدد من النظم السياسية عبر العالم، كما تصنع الدول الاستعمارية الغربية.. فأسرعوا بالوصول إلى نهاية الاتحاد السوفييتى.

٢- ومثَّل الظاهرة الثانية.. نهوض بعض المصلحين الإسلاميين لمعالجة المسلمين من أمراض الجمود والحرفية، والمغالاة فى الطقوس والقشور، على حساب الأساس والجوهر، مثل: جمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده، وابن باديس، ومحمد إقبال، وعلى شريعتى.

وكانت نهضة هؤلاء ناشئة من إيقانهم بأن أية نهضة سياسية وروحية للعالم الإسلامى.. تتطلب قراءة جديدة للقرآن، مع التحرر من أى تفسيرات سطحية يقدمها العلماء، وناشئة من إيمانهم بأن مشكلة الحداثة يجب ألا تطرح فى العالم الإسلامى انطلاقا من أفكار غربية، تستبعد مشكلة «الغايات النهائية» الخاصة بالعالم الإسلامى.

ومن هنا.. رفض الأفغانى استعارة أى شىء من الغرب، باستثناء «التكنولوجيا»، ودعا إلى العودة للمصادر الإسلامية الأصيلة، كى تقرأ بعيون معاصرة.


رشيد رضا


عبدالحميد بن باريس

وتابع الأفغانى فى هذا عدد من كبار المصلحين - على الرغم من معارضة التقليديين - كان من أشهرهم الشيخ محمد عبده، ورشيد رضا، ثم حسن البنا، مؤسس الإخوان المسلمين.

وكان هذا الأخير على وعى بالرسالة القرآنية المقدسة، التى تتطلب - فى إطار حركته - أن يستقر جزء كامل للمسيحيين، وقد اتجه إلى أوساط الفلاحين، فأسس أولى جماعاته المرجعية، وأولى جمعياته التعاونية، وأولى بنوكه الإسلامية؛ فكانت تلك خلايا لحضارة جديدة، هاربة من «توحيد السوق»؛ اعتمادا على نهضة البعد السامى الإلهى المقدس للإنسان من ناحية، ومن ناحية ثانية: اعتمادا على همه بوحدة الشريعة، ومعارف القرن.

وهذه التوجهات والأسس تعد قواسم مشتركة فى الديانات السماوية جميعها، حيث تقرر: أن المالك للشىء إن هو إلا مدير مسئول، وأن على السلطة أن

تستبعد كل ديكتاتور - إنسانا كان أو حزبا - وأن المعرفة لا تكون إلا نسبية ومؤقتة.

وعلى هذه الأسس.. قامت إصلاحات الشيخ ابن باديس فى الجزائر، ومحمد إقبال فى باكستان، وعلى شريعتى فى إيران، وفضل الرحمن فى أمريكا نفسها.

ومع أن ما نادى به هؤلاء قد واجه مقاومة عنيفة ماكرة، عملت على وأده، وتشويه صورته.. مع هذا مازالت الآمال معلقة بأن لا يخفت الشعاع الذى أضاءه هؤلاء المصلحون، وأن يستمر انطلاق النهضة، والاستيقاظ الروحى والسياسى للإسلام الحى.

الإرهاب الاستعمارى يصيب العالم بكارثة

وجارودى يخرج من استعراضه مجموعة ضخمة من مؤلفات المفكرين الغربيين.. بأن خمسة قرون من الاستعمار قد أدت إلى حدوث كارثة، تجسدت فى تحويل العالم إلى عالم غير متوازن بصورة قاتلة؛ حيث عصف المستعمرون بثقافات الدول التى تم استعمارها.. عصفوا بتلك الثقافات التى كانت توفر وتضمن قدرا من الأمن والاستقلال الغذائى للسكان الأصليين.. ثم جعلوا هذه المستعمرات ذيولا تابعة وخاضعة للدولة الاستعمارية الأم، وفرضوا نمطا أحادى الثقافة والإنتاج، يجعل الوضع التفضيلى مقصورا على شركات المستعمرين.

وبعد أن دمر المستعمرون التقنيات المحلية - بفتح أسواق العمل لرجال الصناعة الدوليين - استغلوا الأيدى العاملة بأجور زهيدة.

وحرصا من هؤلاء المستعمرين على إنجاح مخططاتهم بكوارثها.. نراهم يواصلون مساعيهم لوأد كل حركة إصلاحية استقلالية، قد تنقذ العالم من تلك الكوارث أو من بعضها.. على نحو ما نراه فى كتاب «صدام الحضارات» لهنتنجتون، الذى ينبه إلى أن أهداف الحضارة الغربية الرئيسية تتمثل فى هزيمة «الائتلاف الإسلامى الكونفوشيوسى»، المتمثل فى إيران والصين؛ إذ هما يمثلان العدوين الرئيسيين للحضارة الغربية.

وهنتنجتون بهذا.. يُغفل قارئه عن الحقيقة؛ فإن «الائتلاف الإسلامى الكونفوشيوسى» إنما يهدف إلى إصلاح ما أصاب العالم من مفاسد على مدى خمسمائة عام من الاستعمار الذى تطرف فى عمليات السلب والنهب، وإهدار الموارد، والذى ولّد الانقسام الذى حكم به على نصف العالم بالجوع والبطالة،

والديون، فى ظل هيمنة عسكرية إرهابية، وظروف سياسية مجحفة يفرضها صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى.

فأين تلك الحضارة.. فيما أقدمت عليه الولايات المتحدة من سرقة أطنان الذهب والفضة من أمريكا اللاتينية؟! وأين تلك الحضارة من الاعتداء على ملايين الهكتارات من الغابات هناك؟!.

ثم.. أين تلك الحضارة.. فيما أقدمت عليه إنجلترا من سلب القطن الهندى والمصرى، ونهبه لمصلحة مصانع النسيج فى «مانشستر» إلخ ما صنعته دول الغرب الاستعمارية الأخرى؟!.

إن الحضارة الحقة.. تفرض على كل هؤلاء أن يقوموا بإصلاح الفساد الاستعمارى الذى أنزلوه بالمستعمرات، خاصة أن تلك المستعمرات أصبحت فى وضع ميئوس منه، تسيطر عليه الصراعات والنزعات الدموية!.

ولكن تلك الدول الاستعمارية - بدلا من إصلاح تلك المفاسد - تواصل سياستها الاستعمارية بأسلوب آخر يعتمد على الابتزاز والإكراه نفسه فى ثوب آخر.. هو المبادلات التجارية غير المتكافئة بواسطة حفنة النهّابين والسلابين فى الغرب، المتوطنين فى أوروبا، وأمريكا الشمالية.

هل من أمل؟

وفى الفصل الخامس «نحو جغرافية سياسية للقرن الواحد والعشرين» يقرر جارودى: أن القرن الواحد والعشرين إذا استمر يسير وفق ما يفرضه الإرهاب الغربى من انكسارات، فإن ذلك القرن سيكون امتدادا للقرن العشرين الأكثر دموية فى تاريخ الإنسانية، نتيجة هيمنة قوى استعمارية إرهابية عمياء، فرضت على غيرها نظما جعلت منها ذيولا تابعة لكبرى الدول الرأسمالية.

ولكن جارودى يرى بصيص الأمل فى دول أخرى لم تستسلم لعنف الإرهاب الاستعمارى، واستطاعت أن تستقل نسبيا عن القوى الاستعمارية بما أدخلته على إمكاناتها من إبداع، ونمو، وتطور؛ مثل: الصين، وإيران، واليابان، والهند، وماليزيا.

فإذا كانت «العولمة» تعنى: بسط الهيمنة والسيطرة الرأسمالية بصورة شرسة، وعنيفة من جانب الولايات المتحدة، من عدمه بكل الوسائل الإرهابية.. إذا كانت العولمة كذلك، فإن مشروعات الصين، وإيران تقدم بديلا حقيقيا لتلك العولمة، حتى أصبح من المؤكد: أن الالتفاف حول شراكة الصين وإيران يمثل إنقاذا لمستقبل الإنسانية والأرض، ولكن تحيط بهذا الإنقاذ ظروف تغير وتحول غير مؤكدة، وتوازنات غير

مستقرة، للحد الذى يجعل من الصعب علينا تحديد اختيارنا.

لقد استطاع الغرب بإرهابه خلال قرون أن يتحكم فى مستقبل تلك البلاد، مستخدما شتى الأساليب الجهنمية، مثل حرب الأفيون ضد الصين، والاحتلال المباشر لجزر الهند الصينية، ولأرخبيل أندونيسيا.

والغرب اليوم يحاول وقف هذا المد الآسيوى، وإغراقه - بواسطة التقليد والمحاكاة - فى آفات الغرب المتأمرك، على الرغم مما يعانيه من مشكلات اقتصادية واجتماعية، كادت تصل إلى درجة الكارثة.

ولكن الغرب - على الرغم من هذا - يعمل على إبقاء الدول الآسيوية تابعة له، مستغلا فى ذلك صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى بقروضه المرتبطة بشروط سياسية، تيسر للدول الكبرى افتراس تلك الدول بكل حرية، دون أى قيد!.

والواضح البين أن ما يحدث فى العالم اليوم يرجع إلى أن من بيده القرارات ليست هى الدول - بنظمها وتقاليدها - إنما هى شركات السوق، حيث يقتصر دور رؤساء الدول والحكومات على دور المساعد التنفيذى، كما نرى فى تبعية «تونى بلير»، و«شيراك»، و«جوسبان» الذين أصبحوا يعملون فى خدمة المغامرات العسكرية للولايات المتحدة.

وهذا كله يفرض على المجتمع المدنى أن يقوم بتأسيس السلطات المضادة، بدءا من مواجهة «زجاجة الكوكاكولا» التى تضيف الملايين لإحدى حلقات الشبكة الأمريكية التى تقود إلى العبودية والهيمنة.

ولنذكر: ما صنعه غاندى فى مسيرته للتغلب على الاستعمار، ولنتمعن فى ذلك السر الخفى الذى مكنه من التغلب على الدمار الاستعمارى الذى خلفته الهيمنة الاستعمارية لمدة خمسة قرون.. من كل ما يؤكد: أن الجماعة المرجعية التى يتم تأسيسها على قواعد إنسانية تستطيع أن تصنع - أو تساهم فى صنع - مستقبل ذى وجه إنسانى من خلال وحدة الاعتقاد - أيا كانت - فى الإنسان أو فى الله، متجاوزة الحدود الوهمية للديانات والأحزان الإنسانية.

من هنا.. نبدأ

ومع علمنا: أن صناعة المستقبل ذى الوجه الإنسانى ليست مهمة سهلة، يمكن تنفيذها بسرعة.. مع علمنا هذا.. يجب أن نبدأ العمل التنفيذى لتلك المهمة، قبل أن يصبح الوقت متأخرا.

وجارودى يرى: أن بداية العمل التنفيذى لصناعة المستقبل ذى الوجه الإنسانى.. هذه البداية تتمثل فى العمل على إسقاط الهيمنة الأمريكية فى أبعادها المختلفة، خصوصا فى الوسائل الأمريكية

للقمع الثقافي والاجتماعي.. تلك الوسائل التى من أبرزها: اتفاقية الجات، وصندوق النقد الدولى، والبنك الدولى.. حيث تعلم على القمع الاجتماعى وتكريسه، كما بدا فى تأكيد أى تقليد ضد الثقافة الأوروبية، ونفى الهياكل والمؤسسات الأمريكية الداخلية.

وهذا يعنى: أن العمل على إسقاط الهيمنة الأمريكية يفرض الوعى بحقيقة هذه الوسائل القمعية التى استطاعت بها أن تؤمرك أوروبا، وتجعل الأوروبيين اليوم أكثر غربة من شكسبير، وبيتهوفن، ودانتى، ودوستويفسكى، وغيرهم ممن أصبحوا غرباء فى مجتمعاتهم، لأنهم رفضوا لثقافتهم أن تغرق.

وجارودى يلاحظ: أن إصرار القوى الاستعمارية الغربية على فرض الأصولية الغربية على دول العالم الثالث.. هذا الإصرار الغربى دفع الأصوليين فى العالم الثالث إلى مقاومة ذلك؛ دفاعا عن هوية مجتمعاتهم، وإلى رفض كل ما ينبثق عن تلك الأصولية الغربية.

ولكنهم انصرفوا إلى الرفض - الذى هو حقهم- وشغلوا به عن تقديم البديل المنبثق عن أصوليتهم، فسهلوا للغربيين وصمهم بالإرهاب والتمرد؛ فالمحاربة العملية للعولمة والإرهاب الغربى لا تحقق هدفها إلا بطرح مفهوم واضح للتضامن والتكافل، سواء بين دول العالم الثالث بعضها مع بعض، وبين دول العالم الثالث والدول الأوروبية التى ترفض الهيمنة الأمريكية وهذا التكامل لابد أن يعتمد:

أولا: على كشف حقيقة النظام الحالى «الاقتصاد الجديد» الذى تقوده الولايات المتحدة، وما يتسم به من نهم لجنى الأرباح والفوائد فى أقصر مدى، من خلال المضاربات، وليس من خلال الإنتاج، حتى أصبحت البنوك تلعب دور الكازينو فى المقامرة، بدون أى رعاية أو حماية اجتماعية فى الدول الأكثر فقرا.

ثانيا: على كشف حقيقة الديمقراطية التى تتشدق بها أمريكا؛ فالديمقراطية الحقيقية تتعارض تماما مع التوحيد الأمريكى للسوق الذى لا يستبعد الديكتاتورية الاجتماعية فى ظل وجود منتخبين ومستبعدين، وفى ظل امتلاك وسائل الإعلام التى تساعد على التحكم فى اللعبة لتحديد المقصود بالديمقراطية، حيث لا تعكس إلا رأى رأس المال، وحيث تضع السلطة التى لا يساندها صندوق النقد موضع الاتهام؛ لأنها تدافع عن ديانة أخرى مخالفة لديانة «توحيد السوق».

يتبــــع

قراءة فى الفكر الاستشراقى

الإسلام والغرب وإمكانية الحوار

عرض وتحليل:
أ.د.محمد فتحى فرج بيومى

هذا موضوع حظى باهتمام كبير، لاسيما بعد ظهور نظرية صامويل ب هنتنجتون - الأستاذ بجامعة هارفارد - التى رصد لها كتابا ضخما بعنوان: *The Clash of Civilization* أى «صدام الحضارات» وهذه النظرية أو بالأحرى تلك الأكذوبة الكبيرة قد أثارت ولا تزال تثير كثيرا من الجدل شرقا وغربا ثم إنه قد استوحاها من طبيعة الظروف التى يمر بها الفكر الغربى حينما وجده فى حالة مواجهة مع الثقافات والحضارات الأخرى [1] وهناك من الكتاب من يرى أن هذه النظرية قد اخترعها برنارد لويس وطورها عنه هنتنجتون [2].

والكتاب الذى نعرض له اليوم من الكتب التى استهدفت التصدى لهذه الفكرة السقيمة، غير الموجودة إلا فى زعم صاحبها وأضرابه من أمثال فرانسيس فوكوياما صاحب كتاب «نهاية التاريخ وآخر البشر»، وبرنارد لويس صاحب حزمة من كتب المزاعم والمغالطات - وقد عرضنا فى «الأزهر» من قبل لواحد من كتبه تلك [3]، وناتان شارنسكى صاحب كتاب «قضية الديموقراطية» وغيرهم من منظرى الشر، إضافة إلى حوارييه من المحافظين الجدد.

وقد صدر الكتاب فى لغته الألمانية عام ١٩٩٧ بعنوان Der Islam und Der Westen Anstifyung zum Dialog، وقد حرره وقدم له الكاتب المسلم كاى حافظ، أما من شارك فى

(١) حسونة المصباحى (٢٠٠٥) حوار مع المفكر التونسى عبدالوهاب بوحديبة مجلة «حوار العرب». العدد ١٢، ص٢٧

(٢) د.السيد أمين شلبى (٢٠٠٥) نظرية صدام الحضارات مجلة «الهلال» عدد نوفمبر ٢٠٠٥، ص٢٨

(٣) د.محمد فتحى بيومى (٢٠٠٥) الإسلام وأزمة العصر لمؤلفه برنارد لويس «مجلة الأزهر» عدد شوال ١٤٢٦ هـ، ص١٧٦٠.

تأليفه فهم مجموعة من المستشرقين الألمان المهتمين بالموضوعات المتعلقة بالإسلام والمسلمين والشرق الأوسط ولما لهذا الكتاب من أهمية فى توضيح كثير من المزاعم والافتراءات فقد أدرج فى قائمة مترجمات المشروع القومى للترجمة الذى يشرف عليه المجلس الأعلى للثقافة بمصر، فصدر عنه عام ٢٠٠٠، ثم رأت «مكتبة الأسرة» إعادة طبعه ضمن مشروعها «القراءة للجميع» على نطاق واسع تعميما للفائدة، حيث قام بترجمته د. صلاح محجوب إدريس الباحث بجامعة القاهرة وقد تولى أمر مراجعته وتقديمه د. محمد خليفة حسن.

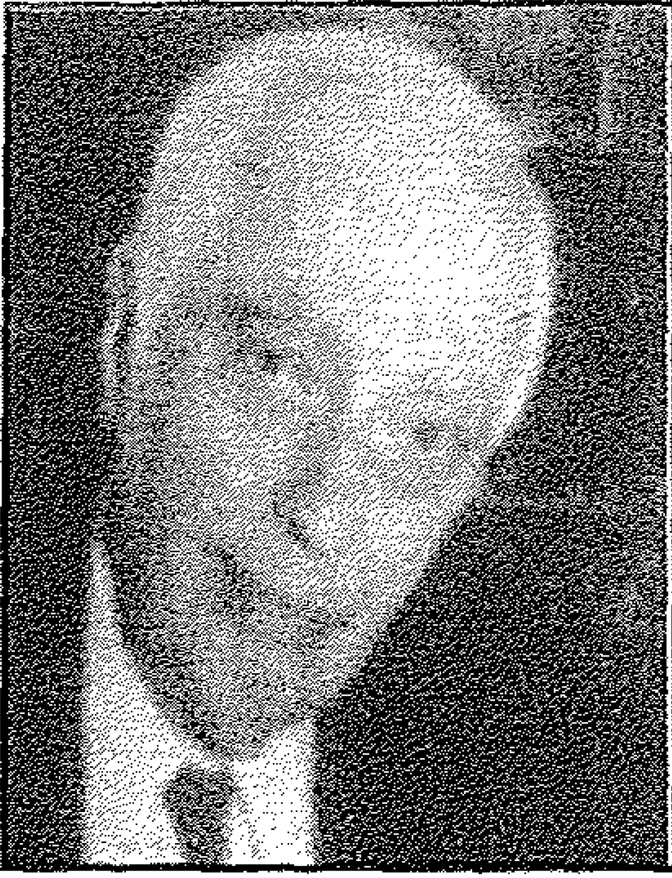
محتويات الكتاب

تقع الترجمة العربية لهذا الكتاب فى ٢٣٦ صفحة من القطع الكبير، ويشتمل على قسمين بخلاف «تصدير» بقلم المحرر الذى أتبعه «بمقدمة» هامة بعنوان «الإسلام والغرب وصدام الحضارات» أما القسم الأول من الكتاب فجاء بعنوان: الصراع الفكرى: هل يوجد تحديث إسلامى؟ وقد تضمن مجموعة من الموضوعات الهامة التى تناقش بعض القضايا مثل: الإسلام والديموقراطية - ضرورة حوار الحضارات حول حقوق الإنسان - وضع المرأة فى الإسلام - الخوف الحضارى بين الشرق والغرب - الاقتصاد الإسلامى بين عالم مثالى واقتصادى.

أما القسم الثانى فقد جاء بعنوان: الدول الإسلامية والغرب: بين الصدام والتعاون وقد اشتمل هذا القسم أيضا على مجموعة من



هنتنجتون



برنارد لويس

الموضوعات والقضايا التى تختص بأقطار إسلامية معينة وهى تشبه دراسات الحالة، ومنها:

- أوروبا والجزائر
- العلمانية والإسلام فى تركيا.
- مسلمو البوسنة بين خطط التقسيم ومصالح القوى العظمى والتضامن الإسلامى.
- أوسلو نموذج السلام فى الشرق الأوسط.
- العراق بوق البعث: صراع هوية أوروبية الصنع.
- باكستان القوة النووية الإسلامية.

وغيرها من قضايا.

ثم أورد المحرر فى «الخاتمة» خطاب الرئيس الألمانى رومان هو تسوج تحت عنوان: علاقتنا بالإسلام، وذلك بمناسبة تسلم المستشرقة الألمانية آنا مارى شيمل جائزة السلام عن نسبة مبيعات الكتب الألمانية عام ١٩٩٥ بفرانكفورت.

ونحن هنا لا نستطيع أن نلم بكل أقسام الكتاب وفصوله، وحسبنا أن نتناول بعض

النواحى التى تهمنا أكثر من غيرها، ذلك أن الإلمام بكل محتوياته أمر يستدعى من الناقد تفرغا كبيرا، كما يستنفد من المجلة مساحة أكبر مما يكرس لمثل هذه الأبواب.

من المضامين الهامة فى الكتاب

تعود أهمية الكتاب إلى دفاعه عن الحوار بين الحضارات بديلا عن الصدام وذلك لاعتقاد المشاركين فيه فى إمكانية الحوار بين الإسلام والغرب، ومن ثم إمكان تفادى الصدام والخوف الحضارى المتبادل وهذه الرؤية تذكرنا بكتاب هام صدر منذ فترة وجيزة، وعرضنا له من قبل[٤]، للمستشرق الألمانى الراحل فريتس شتيبات الذى لم يتح له المشاركة فى موضوعات هذا الكتاب، حتى إن عنوان كتابه ـ «الإسلام شريكا» ـ كان ذا دلالة بالنسبة للعقل الغربى وحتى بالنسبة للأذن العربية، لاسيما فى إطار مناخ تسيطر عليه مقولة صراع الحضارات كحتمية وحيدة كما يصوره هنتنجتون!

وقد أشار محرر الكتاب فى صدر مقدمته إلى بعض الأحداث التى أقضت مضجع الغرب وأثارت لديهم تلك المخاوف التاريخية ومنها الثورة الإيرانية التى لم تسقط فقط حكم الشاه ولكنها أسست جمهورية إسلامية قدمت نموذجا سياسيا وحضاريا بديلا عن نموذج الديموقراطية الغربية، ونسى الرجل، وكل من يضع أمامه هذا النموذج أن لكل بلد خصوصياته وظروفه التى تختلف عن البلاد الأخرى، وهو نفسه قد رد على ذلك حينما ذكر بعد صفحتين فقط: ولا نجد فى تاريخ الإسلام السنى أو الشيعى نموذجا للسلطة الدينية يشبه نموذج النظام السياسى الموجود فى إيران الآن (ص ١٩ من الكتاب) ومما أورده المحرر أيضا الخوف من احتمال عودة التاريخ إلى الوراء، وهو ما يرفضه الغرب، إضافة إلى التساؤل حول مصير المجتمع العالمى المصطبغ بالثقافة الغربية، والغرب بذلك يحاول أن يختلق أشباحا ليخاف منها ويعد العدة لمحاربتها وهذا لا يقول به عاقل، ولذلك نرى المحرر يُخَطِئ هنتنجتون فيما ذهب إليه من أن الثقافات هى بمثابة مفردات يمكن استعمالها فى تحليل شئون السياسة الدولة وفى إطار حدود معينة فقط حيث اعتبر هنتنجتون اختلافات الحضارة الغربية عن الحضارة الإسلامية حقيقة ثابتة لا تتغير، كما يرى فى وجود صراع منعزل وموحد فى نظام عقلى ما شرطا على صحة نظريته عن صدام الحضارات، وهذا خطأ بمنظور علم «أنثروبولوجيا الحضارة» إذا ما رأى الشرق والغرب عالمين منفصلين مختلفين ومتعارضين فى السجايا الجوهرية.

والملاحظ، فى معظم فصول هذا الكتاب، أن المشاركين يدافعون فيه بموضوعية عن العلاقات الإسلامية الغربية، ويرون أن هذه العلاقات لا

---

(٤) د.محمد فتحى بيومى (٢٠٠٥) «الإسلام شريكا» لفريتس شتيبات مجلة «منبر الإسلام».

تنبع من صدام الحضارات، بيد أنها يمكن أن تنحدر إلى هذا المنحدر، إذا لم تبذل الجهود الكافية لحماية هذه العلاقات وتحويلها من علاقات صدام إلى علاقات حوار والتقاء، عن طريق فعل إيجابى يتمثل فى تغيير الوعى وتصحيح الصورة الإعلامية التى يقدمها الإعلام الغربى عن العالم الإسلامى، وتفنيد المقولات الشائعة عن الخلافات التى لا يمكن تجاوزها بين الشرق والغرب ومن الجدير بالذكر أن محرر الكتاب يلفت النظر إلى أن حكومات ومجتمعات العالم الغربى تشترك فى المسئولية عن التطورات السلبية الموجودة فى الشرق الإسلامى، وعلى سبيل المثال فإن عملية السلام المتفائلة بين إسرائيل وفلسطين يتهددها مخاطر الفشل بسبب تأييد الغرب المستمر لإسرائيل، وهو فى هذا يتفق مع بعض المستشرقين الثقات من أمثال فريتس شتيبات.

كلمات لها مدلول

هناك بعض الكلمات التى جاءت فى ثنايا بعض فصول الكتاب وهى تحمل مدلولا ذا مغزى ومنها ما جاء فى نهاية المقدمة: نحن نرى أنه من الممكن تفادى صدام الحضارات نكاية فى صمويل هنتنجتون! (ص٢٨).

ومنها أيضا ما ورد فى القسم الأول بالفصل المعنون «حول ضعف نسبية القيم»: مازالت هناك تناقضات وعدم منطقية فى سياسة حقوق الإنسان التى يهيمن عليها الغرب دوما وهذا يثير التساؤل الموجه إلى الأمم المتحدة وخاصة مجلس الأمن: هل عالمية حقوق الإنسان مقصود بالفعل؟ وأحيانا يزداد الشك (وله أسباب وجيهة) حول نظريات التآمر التى تشير بالتبعية إلى أن حقوق الإنسان ربما تكون شكلا جديدا من أشكال الإمبريالية الغربية بل إن بعض المسلمين يرون فى النشاط السياسى من أجل حقوق الإنسان إحدى مسارات الحملات الصليبية ويخشون تحت الضغط الدولى من قبول تصورات غربية مسيحية محددة ورؤى أخلاقية وأشكال مجتمعية مستهجنة فى مجتمعاتهم (ص٥١).

ومنها أيضا عبارة تفند الأدبيات المغلوطة التى تربط بين كل من العنف والإرهاب والإسلام، إذ تبين أن العنف والارهاب بضاعة غربية وذلك على النحو التالى: لقد ارتبط اصطلاح العنف فى قاموس السياسة المعاصرة بمفهوم سياسة التخويف التى تتبعها الدولة للحفاظ على سيادتها، وهذا يذكرنا بسياسة حكومة الثورة الفرنسية فى السنوات ١٧٩٢ - ١٧٩٤ والتى هدفت من ذلك إلى إسكات صوت المعارضة الملكية وهذا ما حدث لاحقا أيضا فى روسيا حيث مارست الحكومة البلشفية سياسة الإرهاب من أجل أهداف إيجابية وهى الوصول إلى نتائج مستهدفة مشروعة مثل العدالة الاجتماعية ومنذ ذلك التاريخ تزايد المفهوم السلبى للمصطلح.. كما غزت تلك الرؤى معايير التفكير بحيث أصبح ما يعتبره الفرد «إرهابيا» يراه الآخر محاربا مكافحا من أجل الحرية! (ص ٧٩).

ومنها أيضا ما ورد فى الفصل الخاص

بـ«الاقتصاد الإسلامى»، حيث جاء فى بدايته: الإسلام دين لا يهتم بالحياة الأخرى فقط، بل إنه رؤية محددة للعالم تريد تقديم إجابة للمؤمنين به عن كل التساؤلات الإنسانية فى الحياة (ص ٨٧).

وفى الفصل المعنون: «الدول الإسلامية والغرب: بين الصدام والتعاون»، فى بداية القسم الثانى من الكتاب جاءت هذه العبارة: يعتبر الاكتشاف الغربى المفاجئ لطبيعة النظام العراقى (السابق) العدوانية بعد غزو الكويت بالنسبة للإيرانيين أحد الأمثلة الواضحة على ازدواجية المعايير الأخلاقية الغربية (ص١١١).

وأخيرا، فقد جاء فى خاتمة الكتاب كلمة ذات دلالة هامة ونتمنى أن تأخذ نصيبها حقا من الاعتبار لاسيما من جانب الإعلام الغربى، وهى: لقد ساهم كتابنا بالتقييم الحالى لمسألة التحدى الحضارى (المزعوم) بين الإسلام والغرب، ومن الواجب أن تحدث تغيرات للوعى، ولذا فإنه من الضرورى أن نقوم بتغيير المعلومات التى يقدمها كتابنا عندما يصبح العالم الإسلامى شريكا سياسيا للغرب، ويصير المسلم مواطنا أوروبيا له الحق فى التعليم والانضمام إلى الأحزاب السياسية والتفاعل مع وسائل الإعلام وبالطبع فى الحياة اليومية إلا أن الوضع الجديد هو أنه كلما أفرزت التحديات وتواترت، شاعت الحيرة واندلعت الصراعات أحيانا لذا فمن المفيد أن نمتلك أبعادا جديدة تمكننا من رؤية المشكلات اليومية من حيث أسس وعناصر أشكال المواجهة الحضارية الجديدة، وفى المقام الأول مع الحضارة الإسلامية جارة أوروبا (ص٢١٦).

بعض المآخذ على الكتاب

الكمال لله وحده، ولذا فلابد من الإشارة إلى بعض المآخذ القليلة التى يمكن تلافيها عند إعادة طبع هذا الكتاب، وعلى الرغم من ذلك فإنها لا تغض كثيرا من قيمته، ومنها تكرر الأخطاء المطبعية لاسيما فى كتابة أسماء الأعلام الإفرنجية، أو تحريف نطقها حتى فى الأسماء المشهورة جدا كهنتنجتون نفسه، وقد خفف من ذلك وضع أسمائها بالأحرف اللاتينية بين قوسين.

لم يكن أيضا من المناسب إغفال أسماء المشاركين فى وضع فصول الكتاب أمام إسهاماتهم سواء فى فهرس الكتاب أو فى متنه - والاكتفاء فقط بالتعريف بهم فى نهاية الكتاب - فلذلك أهميته من الناحية التوثيقية، لاسيما عند الرجوع إلى مزيد من كتاباتهم، بالنسبة للمتخصصين أو لمن يهمهم ما تناولوه من قضايا وبحوث.

أما ما ورد فى صدر المقدمة من الزعم بأنه «إذا كان للعصر الذى نعيش فيه روح تميزه فقد اكتشفها البروفسور هنتنجتون» (هكذا ص١٧)، ويقصد بذلك نظريته حول «صدام الحضارات»، فهذا قول مبالغ فيه بل يجانبه الصواب، فصياغته على هذه الصورة يوحى كأنها حقيقة من الحقائق العلمية، وذلك يسير

حتى ضد أهداف الكتاب ومراميه فهنتنجتون لم يتوصل إلى اكتشاف هذه الروح إنما هو يحاول أن يخلقها معتمدا فى ذلك على مزاعمه وعلى تعضيد أجهزة الإعلام الغربية الشرسة المجندة بشكل موجه لخدمة الأغراض المشبوهة للمحافظين الجدد وكما يقول مراجع الكتاب ـ د.حسن : فإن المسألة فى الحقيقة مسألة سياسية مرتبطة باستراتيجية العالم الغربى تجاه الإسلام وشعوبه فالمستشرقون من نوعية صمويل هنتنجتون يشاركون فى صنع القرار السياسى الغربى بشأن الشئون العربية والإسلامية، ويقدمون خبراتهم ورؤاهم للدوائر السياسية الغربية بشأن القضايا العربية والإسلامية. ومن المعروف صلتهم بوزارات الخارجية الغربية وعملهم كخبراء لشئون العالم العربى والإسلامى فى هذه الدوائر السياسية (ص٥).

البناء الفكرى الأوروبى!!

وجاء أيضا فى المقدمة : أن النهضة الأوروبية ما كانت لتتحقق إن لم تعترف بفضل العلوم المنقولة من الشرق الإسلامى (وهذا حق)، أما استطراده بقوله : «وهكذا فإن العالم الإسلامى لن يتقدم ما لم يتقبل تأثير البناء الفكرى الأوروبى» فأمر فيه نظر، إذ أن إطلاق الكلام هكذا بشكل عام يفقده الدقة والموضوعية، فما معنى «البناء الفكرى الأوروبى»؟ أفهم أن نأخذ عن الغرب العلوم الحديثة والتقنيات المتقدمة، أما البناء الفكرى فهذا مما لا يلزمنا، فعلة الغرب أنه يفتقر إلى بناء فكرى يتسق وطبيعة الإنسان ويتصالح مع عوامل سعادته الحقيقية فى توازن يعترف بأشواق الروح ومطالب الجسد. علة الغرب ـ كما يقول «ألان توران» ـ أحد أساطين علم الاجتماع بجامعة السربون ـ تكمن فى أنه، برغم تسلمه مشعل العلوم عن الإسلام، لم يوفق إلى اليوم فى إنجاز مجتمعات آمنة سعيدة، ويرجع ذلك فى المقام الأول إلى أنه ورث عن المسلمين الوسائل دون الغايات، فقد أخذت أوروبا عن المسلمين الجانب المادى من العلوم ولم تأخذ الجانب الروحى ومن ثم فإننا حينما نقول : إن أوروبا ـ والغرب عامة ـ بلغت درجات عليا من التقدم، فإنما نقصد درجات عليا من التحكم فى وسائل الإنتاج والصناعة، ولا نقصد درجات عليا من الحضارة، فالحضارة هى الإنسان قبل كل شيء، والإنسان فى المجتمعات الأوروبية إنسان شقى مستعبد[٥].

وأخيرا، نرى لو أن طه حسين كان الآن بين ظهرانينا وقرأ العنوان الجانبى لهذا الكتاب وهو «وإمكانية الحوار»، هل كان سيغض الطرف عنه أم يتمسك برأيه حول هذه الصيغة التى جاءت عليها كلمة «إمكانية»، حيث اشتهر عنه رفضه لصيغة الجمع منها التى كثيرا ما كان الكتاب يستخدمونها، فكان رحمه الله ـ يصححها إلى «إمكانات».

---

(٥) ألان توران **Alain Tourane** (١٩٨٩) نقد الحداثة **Critique de la Moderrnite** دار فايار للنشر نقلا عن: د.أحمد القديرى (١٩٩٥) الإسلام وصراع الحضارات كتاب الأمة. قطر طبعة خاصة بمصر تصدرها دار أخبار اليوم ص٨٩.

نموذج صادق لحوار الحضارات

للمستشار/ حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

مع بداية القرن السابع الميلادى، كان العالم يموج بحضارات عدة، وتتنازع قيادته حضارتان عظيمتان، هما حضارة الرومان فى الغرب وحضارة الفرس فى الشرق، ومن دونهما حضارات أخرى، كحضارة الصين فى أقصى الشرق، وحضارة الحبشة فى إفريقيا وغيرهما، ثم كانت جزيرة العرب على موعد مع التاريخ، لتبزغ فيها حضارة جديدة، تكون لها الريادة فى ذلك العالم المتصارع، فكان مبعث رسول الله ﷺ، ليؤسس الحضارة الإسلامية، الذى كتب الله لها البقاء من خلال حفظ منهجها، الذى قال تعالى عنه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(٩ من الحجر)

ومن عناصر القوة فى حضارة الإسلام، أنها تضمنت من أسس الدعوة إليها مبدأ حوار الحضارات، هذا المبدأ الذى تجلى واضحاً فى التطبيق العملى على يد المؤسس العظيم لهذه الحضارة، وهو رسول الله ﷺ، إن من ينظر متأملاً فى مجلسه ﷺ يعلم بيقين أن هذا المجلس هو صورة صادقة لحوار الحضارات فإذا رجعنا بالذاكرة إلى مكونات هذا المجلس، نجد أنه ضم ممثلى حضارات الدنيا المعاصرة لقيام حضارة الإسلام وبل ونجد أن لكل من هؤلاء الممثلين، الدور البارز فى إرساء دعائم حضارة الإسلام، ومن النماذج الساطعة على ذلك الآتى:ـ

● ممثل الحضارة الرومانية: سيدنا صهيب الرومى رضى الله عنه، الذى ترك كل ما يملك فى سبيل الهجرة إلى المدينة المنورة وعندما وصل إليها بشره رسول الله ﷺ قائلاً: «ربح البيعُ صهيب، ربح البيع صهيب»[1].

(١) رواه الإمام أحمد فى الفضائل ٢/ ٨٢٨.

● ممثل الحضارة الفارسية: سيدنا سلمان الفارسى رضى الله عنه الذى قطع الفيافى والقفار بحثاً عن الدين الحق، فأسلم وجاهد فى الله حق الجهاد، وهو صاحب فكرة الخندق فى غزوة الأحزاب ولعلو منزلته فى الإسلام ألحقه الرسول ﷺ بأهل بيته قائلاً: «سلمان منا آل البيت»[٢].

● ممثل حضارة الحبشة: سيدنا بلال بن رباح الحبشى رضى الله عنه، صاحب أكبر قوة فى تحمل أذى المشركين لصده عن دين الإسلام، القائل رداً عليهم: أحد، أحد.

وعلى ذكر الحبشة فهناك عظيمها النجاشى الذى وصفه الرسول ﷺ بأنه ملك لا يظلم عنده أحد وقد استضاف المسلمين المهاجرين إليه وأكرمهم فكان إكرام الرسول ﷺ له أعظم، وذلك بالصلاة عليه عند وفاته، صلاة الغائب.

وقد اتبع الرسول الكريم ﷺ فى تحقيق هذا النموذج الحضارى الفريد، العديد من الوسائل البناءة التى تتماشى مع كل العصور، والأمثلة كثيرة

حوار الحضارات بالرسائل

بعد أن أقام رسول الله ﷺ دعائم حضارة الإسلام بالمدينة المنورة، أراد أن يعم خير هذه الحضارة على بقية أنحاء العالم تحقيقاً لعالمية رسالته فأخذ ﷺ يخاطب ملوك وعظماء الحضارات المعاصرة له، وذلك ببعثه الرسل إليهم، حاملين رسائله المتضمنة دعوتهم إلى الإسلام والفوز بالسلام، فهناك من توجه إلى هرقل عظيم الروم، ومن توجه إلى كسرى الفرس، وهما كانا يمثلان أعظم حضارات ذلك الزمان، وهناك من توجه إلى المقوقس عظيم قبط مصر، وغيرهم .-وقد تلقى ﷺ من كل منهم الرد على هذه الرسائل، وعبر عن هذا الرد بما هو أهله وذلك بالثناء على رد الجميل، كما هو الشأن بالنسبة لكل من هرقل والمقوقس وبالدعاء بزوال ملك كسرى لسوء صنيعه مع رسالة ورسول النبى ﷺ.

العلم من وسائل حوار الحضارات

إذا كانت أول كلمة فى بداية إرسال السماء إلى الأرض، نزلت على الرسول الخاتم ﷺ، هى ﴿ اقْرَأْ ﴾ فإن هذا له دلالته الواضحة على طبيعة رسالة هذا الرسول العظيم، وهى أنها رسالة العلم والمعرفة والحكمة التى هى ضالة المؤمن، التى ينشدها فى أى مكان، وأن وجدها فهو أحق بها.

إن ابتداء الوحى الشريف بكلمة اقرأ، وليس بكلمة أخرى مثل: اكتب أو اسمع أو اتل أو غير ذلك، يفيد ضرورة أن يكون

(٢) كنز العمال ١١/ ٣٣٣٤٠.

هناك شيئاً مكتوباً، ويطلب من الشخص قراءته، ولهذا عندما طلب جبريل عليه السلام من الرسول ﷺ أن يقرأ، قال له: «ما أقرأ؟»، وفي رواية أخرى قال: «ما أنا بقارئ،» والجمع بين الروايتين يقتضي السؤال: أين الشئ المكتوب حتى أقرأه، أو تكون حالى قراءته؟!، ولذلك استمر الوحى بقوله تعالى:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾

﴿العلق: ١﴾

أى يا محمد: اقرأ ما تسمعه من جبريل من آيات القرآن.

طلب العلم فريضة

وإذا كانت القاعدة الأصولية تقرر: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن عموم لفظ ﴿ٱقْرَأْ﴾ يستوجب قراءة كل مكتوب، سواء كان مما نزل به الوحى، أو غيره من كلام البشر، ومن هنا كانت الدعوة إلى طلب العلم الذى وسيلته القراءة، من فرائض الإسلام على كل أتباعه بمقتضى الأمر النبوى الشريف، فى قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» (٣)، ولا تنحصر هذه الفريضة فى زمان معين ولا مكان محدد، فقد روى البيهقى عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «اطلبوا العلم ولو بالصين» (٤) أى ولو كان يمكن تحصيله بالرحلة إلى مكان بعيد جداً كمدينة الصين، فإن من لم يصبر على مشقة التعلم بقى عمره فى عماية الجهالة.

وإذا كان العلم على هذه الدرجة من الأهمية، فإنه يعد من أفضل وسائل حوار الحضارات فى كل العصور والأزمان، وهذا ما فهمه المسلمون الأوائل، دون ربطه بالعقيدة، وقد طبقه الرسول ﷺ عملياً فى غزوة بدر الكبرى، عندما جعل فداء الأسرى من المشركين تعليم عشرة من المسلمين، ثم بعد زيادة الفتوحات الإسلامية والاتصال بالعالم الخارجى، نشطت حركة ترجمة علوم البلاد المفتوحة والبلاد المجاورة لها، ولو كانت غير مسلمة، حتى وصلت هذه الترجمة ذروتها فى عصر الدولة العباسية، مما أقام جسوراً من الحوار الحضارى البناء بين الحضارة الإسلامية وكل من الحضارات اليونانية والإغريقية والرومانية والفارسية والهندية وغيرها، واستمر ذلك إلى عصر النهضة فى أوروبا الحديثة.

حوار الإسلام مع الحضارات القديمة

فإذا كان ظاهر كلمة الحوار، يفيد أنه يدور بين طرفين متعاصرين، إلا أن هذا لا يمنع من قيام حوار بين حضارات سابقة وحضارة لاحقة عليها، كما هو الشأن فى ذلك الحوار البناء، الذى أقامته الحضارة الإسلامية مع الحضارات القديمة التى

(٣) كنز العمال ١٠/ ٢٨٦٥١: ٢٨٦٥٤.

(٤) كنز العمال ١٠/ ٢٨٦٩٧.

سبقتها فى الظهور، والتى ورد ذكرها فى كتاب الله تعالى وفى سنة رسوله ﷺ، وذلك على سبيل العظة والاعتبار، وليس على وجه الهجوم والإنكار المطلق.

وإذا كان من الصعب الإحاطة بكل أطراف هذا الحوار الحضارى، الذى أقره الإسلام، فمن الخير أن نكتفى بعرض نموذج واضح لهذا الحوار، وذلك من خلال علاقة الرسالة الخاتمة لهذا الدين بالحضارة الفرعونية، التى قامت على ضفاف النيل قبل البعثة المحمدية بآلاف السنين، تلك الحضارة التى قال الله تعالى فى وصفها:

﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾

(الفجر: ١١-١٤)

فمن الملاحظ أن هذه الحضارة تركت اثاراً مازالت قائمة حتى اليوم، ومن هذه الآثار ما قال به بعض الفقهاء، من أنه قد يندرج تحت بعض أحكام شرعية جاءت بها شريعة الإسلام، كالحرمة أو الكراهة، كما هو الشأن بالنسبة للتماثيل والصور المجسمة، التى تضمنت السنة النبوية المطهرة أحكاماً بذلك على نحو ما أشار إليه قول الرسول ﷺ الذى رواه الترمذى وابن حبان والإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل أو صورة»، وما رواه أبوداود والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه: «أتانى جبريل فقال: إنى كنت أتيتك البارحة، فلم يمنعنى أن أكون دخلت عليك البيت الذى كنت فيه، إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان فى البيت قرام ستر فيه تماثيل، وكان فى البيت كلب، فمر برأس التمثال الذى فى البيت فليقطع فيصير كهيئة الشجرة، ومر بالستر فليقطع فيجعل وسادتين منبذتين توطئان، ومر بالكلب فليخرج»، ومع ذلك عندما فتح المسلمون مصر موطن الحضارة الفرعونية، لم يتعرضوا لهذه التماثيل وتلك المعابد، بأى نوع من الهجوم أو الأذى، بل حافظوا عليها، حتى وصلت إلينا بالحالة التى نراها عليها الآن.

تواصل حضارى

ولا ننسى أن فتح مصر كان على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهو من الذين منحهم رسول الله ﷺ سلطة التشريع بقوله: «عليكم بسُنتى وسُنة الخلفاء الراشدين، الهداة المهديين من بعدى، عضوا عليها بالنواجز»)[٥]، ولو كانت آثار حضارة هذا البلد تستحق تطبيق هذه الأحكام الشرعية عليها لما سكت عن ذلك بل كان أول المسارعين إليه، وهذا ما يؤكد التواصل بين الإسلام وهذه الحضارة.

(٥) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٢٦.

وإذا كان من المعلوم أن مصر فتحها المسلمون بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بحوالى عشر سنوات، إلا أن خبر فتحها جاء على لسانه ﷺ فى حياته، فقد روى مسلم والإمام أحمد عن أبى ذر رضى الله عنه، والطبرانى والحاكم عن كعب بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً»، وهذا ما يقول عنه العلماء: إنه من إعلامات النبوة، أى من الأمور التى أخبر عنها النبى ﷺ فى حياته، أنها ستحدث فى مستقبل الأيام والسنين، وهذه إحدى خصوصياته الشريفة، وسندها من السنة النبوية المطهرة ما رواه مسلم وأبو داود والترمذى والإمام أحمد عن ثوبان رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى (طوى) لى الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها»(٦)........ «لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتى أمر الله»(٧).

وصية رسول الله ﷺ

وقد حاول العلماء إحصاء العدد الذى ذكرت مصر به فى القرآن الكريم، سواء كان ذلك تصريحاً أو تلميحاً فقال بعضهم: «إنها ذكرت فى ثمانية وعشرين موضعاً منه، وقال البعض الآخر: بل أكثر من ثلاثين موضعاً، وذكرت فى السنة النبوية المطهرة ما لا يحصى من العدد، وفى تفسير قوله ﷺ: «استوصوا بالقبط خيراً»(٨)، قالوا: أى اقبلوا وصيتى فى أهل مصر، ومن مقتضى هذه الوصية، أنه إذا استولى المسلمون عليهم، وتمكنوا منهم، فيجب الإحسان إليهم، والعفو عما وقع منهم من سوء أفعالهم وقبح أقوالهم، والعلة فى هذه الوصية، هى كما وردت فى الحديث، ما لهم من ذمة وحرمة وأمان من جهة إبراهيم بن المصطفى ﷺ، فإن أمه مارية منهم، وما لهم من رحم وقرابة، لأن هاجر أم إسماعيل منهم، وفى هذا إشعار بمحبته ﷺ لأهل مصر، وإن فرط منهم ما فرط.

عظمة هذا البلد

ولعل دلالة هذا التكريم من الله تعالى ومن رسوله ﷺ لمصر تبين عظمة هذا البلد ودوره الحضارى منذ فجر التاريخ الذى ضم أقدم حضارات العالم التى حازت أعلى درجات الخلود فى هذه الدنيا، وتفيد أن هناك روابط صلة قائمة ومستمرة بين العرب وشعب هذا البلد، بما يؤكد احترام الحضارة الإسلامية لما سبقتها من حضارات، ولو لم تكن على ذات المنهج.

والله تعالى ولى التوفيق...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٦) كنز العمال ٣١٧٦١/١١.   (٧) أخرجه أحمد.   (٨) كنز العمال ٣٤٠١٩/١٢.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

من ركائز التضامن الإسلامى

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(الحجرات : ١٠)

فى هذه الآية الشريفة، يقرر الإسلام أخوة الإيمان، وأنها لا تتقيد بعلاقة النسب، فإن أخوة النسب تنقسم بمخالفة الدين، ولكن أخوة الدين لا تنقسم بمخالفة النسب. وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا»[(١)] والتجسس: هو الاستماع لحديث القوم، والتناجش: هو أن تزيد فى ثمن السلعة دون رغبة فى شرائها لتحريض الغير عليها، وفى رواية أخرى بلفظ مسلم يبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه حقوق هذه الأخوة وواجباتها : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا- ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[(٢)].

ومن الواجبات المترتبة على أخوة الإيمان بين المسلمين ما جاء فى الآية الشريفة :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

[الحجرات : ١٠]

(١) البخارى ومسلم

(٢) رواه مسلم

فالإصلاح بين كل مسلمين أو طائفتين واجب تمليه أخوة الإيمان، وقد مهدت الآية الشريفة طريق الإصلاح بالتزام التقوى، حتى لا يحيد المصلحون ولا يحابى بعضهم بعضا، بل يكون العدل رائدهم والتقوى طريقهم، وبهذا تتحقق الغاية الكريمة وهى رحمة الله بالمؤمنين دنيا وأخرى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[الحجرات: ١٠]

ويدعو القرآن الكريم جميع المؤمنين أن يطهروا البيئة الإسلامية من رذائل شتى:

١- منها الرذائل الظاهرة التى تتعلق بالجوارح كالسخرية واللمز والتنابز بالألقاب.

٢- ومنها الرذائل الباطنة التى تتعلق بالمشاعر كالظن.

أما الأولى الظاهرة: فيقول فيها القرآن:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾

[الحجرات: ١١]

فينهى الله تعالى عن سخرية بعض الناس ببعض، فعسى من سخروا منه أن يكون خيرا منهم عند الله تعالى، فى عقيدته وفى عمله وفى باطن أمره. فإن مقاييس الخيرية ليست فى المظهر ولا فى الشكل، ولكنها فقط فى التقوى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

[الحجرات: ١٣]

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(٣).

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾

[الحجرات: ١١]

نرى أنه ورد فى سبب نزولها آراء منها: أنها نزلت فى وفد بنى تميم عندما استهزأوا بفقراء الصحابة أمثال: عمار، وبلال، وخباب، وابن فهيرة، وصهيب، وسلمان، وسالم، مولى أبى حذيفة وغيرهم، لما رأوا من رثاثة حالهم..

وقيل: نزلت فى سخرية الغنى بالفقير، وقيل: فى عكرمة بن أبى جهل، فعندما جاء إلى المدينة مسلما كان بعض المسلمين إذا رأوه قالوا ابن فرعون هذه الأمة، فشكا ذلك إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه فنزلت هذه الآية، وقال ابن عباس: نزلت فى ثابت بن شماس كان فى أذنه وقر فإذا سبقوه إلى مجلس النبى ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول،

(٣) رواه مسلم

فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبى ﷺ فلما انصرف النبى ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه فرضى كل رجل منهم بمجلسة وعضوا فيه -أى لزموه- فلا يكاد يوسع أحد لأحد حتى يظل الرجل لا يجد مجلسا، فيظل قائما فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس ويقول: تفسحوا تفسحوا، ففسحوا له حتى انتهى إلى النبى ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له: تفسح فقال الرجل: قد وجدت مجلسا فاجلس، فجلس ثابت من خلفه مغضبا ثم قال: من هذا؟ قالوا: فلان، فقال ثابت: ابن فلانة، يعيره بها يعنى أما له فى الجاهلية فاستحى الرجل فنزلت(٤).

وقد نصت الآية فى النساء كذلك وأفردتهن بالذكر فى النهى عن السخرية، وذلك لأن السخرية تقع كثيرا منهن «فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه» ولذا نص عليهن فيقول:

﴿ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾

[الحجرات : ١١]

وقد جاء فى سبب نزولها أن امرأتين من أزواج الرسول ﷺ سخرتا من أم سلمة عندما ربطت خصريها بثوب أبيض وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجرها فقالت عائشة لحفصة رضى الله عنهما: «انظرى ما تجر خلفها كأنه لسان كلب» فهذه سخريتها. وقال أنس، وابن زيد: نزلت فى نساء النبى ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر. وقيل: نزلت فى عائشة أشارت بيدها: يا بنى إنها لقصيرة، تعنى صفية بنت حيى رضى الله عنها، وقال عكرمة عن ابن عباس: إن صفية بنت حيى بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء يعيرننى فأنزلت هذه الآية.

وقد نهى الله تعالى كذلك عن اللمز (وهو العيب)، ويكون تعبيرا باليد، أو العين أو اللسان أو الإشارة.

وأما الهمز فيكون باللسان. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾

[الحجرات : ١١]

ويدل هذا التعبير الحكيم على أن المؤمنين نفس واحدة، فلا يليق بهم أن يعيب بعضهم بعضا، وكما لا يعيب المؤمن نفسه لا ينبغى أن يعيب غيره، فالمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

دون تنابز

ومن الرذائل التى نهى عنها الإسلام: التنابز بالألقاب. قال تعالى:

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى

﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾

[الحجرات : ١١]

قيل إنها نزلت فى بنى سلمة، قدم رسول الله ﷺ وليس رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم، فنزلت الآية، وقال الحسن ومجاهد: كان الرجل يعير بعد إسلامه بكفره كأن يقول له: يا يهودى يا نصرانى، فنزلت الآية، وقال قتادة: وقول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق..

قال تعالى:

﴿ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾

[الحجرات : ١١]

يقول ابن زيد أى بئس أن يسمى الرجل كافرا أو زانيا بعد إسلامه وتوبته.. وقيل: من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق. أما بعض الصفات التى يكون ظاهرها الكراهة، ولكن لا يراد بها العيب حين التحدث بها فلا بأس بها. وقد سئل عبدالله بن المبارك عن الرجل يقول حميد الطويل، سليمان الأعمش، وحميد الأعرج، ومروان الأصفر، فقال: إذا أردت صفته ولم ترد عيبه فلا بأس به.

وقد ختم الله تعالى الآية الكريمة التى نهى فيها عن تلك الرذائل بتهديد من تسول له نفسه الاسترسال فى مثل هذه المعايب بأنه وقع فى الهلاك وأصبح من الظالمين لأنفسهم لارتكابها فقال تعالى:

﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

[الحجرات : ١١]

وإذا كان التنابز بالألقاب مما يعيب المسلم ويمزق ود الصدور، فإن بديله وهو نداء المسلم لأخيه بأحب الأسماء مما يصفى له ود أخيه، يقول عليه الصلاة والسلام: «ثلاث يصفين لك ود أخيك: تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه»(٥).

ومثال النوع الثانى وهى الرذائل الباطنة التى تتعلق بالقلب والشعور: (ظن السوء) وقد حذر الله تعالى من الظن فى قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

[الحجرات : ١٢]

وقد نزلت هذه الآية الكريمة كما قال أبوعبدالله القرطبى فى رجلين من أصحاب النبى ﷺ اغتابا رفيقهما، وذلك أن النبى ﷺ كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما فضم سلمان إلى رجلين، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام، ولم يهيىء لهما شيئا فجاءا فلم يجدا طعاما وإداما فقالا له: انطلق

---

(٥) رواه الحاكم والطبرانى فى الأوسط، والبيهقى فى شعب الإيمان.

فاطلب لنا من النبى ﷺ طعاما وإداما فذهب فقال له النبى ﷺ : اذهب إلى أسامة ابن زيد فقل له إن كان عنده فضل من طعام فليعطك. وكان أسامة خازن النبى ﷺ فذهب إليه فقال أسامة : ما عندى شيء، فرجع إليهما وأخبرهما، فقالا : قد كان عنده ولكنه بخل. ثم بعث سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فقالا : لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة - وهى بئر قديمة بالمدينة بها ماء غزير- لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شيء فرآهما النبى ﷺ فقال : «مالى أرى خضر اللحم فى أفواهكما؟» فقالا : يا نبى الله والله ما أكلنا فى يومنا لحما ولا غيره، فقال : «ولكنكما ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة» فنزلت الآية :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾

[الحجرات : ١٢]

وجاء فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[٦].. والظن الذى تحذر الآية منه هو : الظن الذى يقوم على اتهام لا أساس له ولا سبب يوجبه.

ومن الرذائل المنهى عنها «التجسس» وهو البحث عما يكون خفيا عن الإنسان كمن يتهم إنسانا بفاحشة أو بشرب الخمر مثلا دون أن يبدو له ما يقتضى ذلك أو أن تظهر له علامة على تحقيق ظنه، كأن يكون المظنون به من أهل الصلاح والتقوى فإن ظن السوء به حينئذ يكون محرما، هذا بخلاف من عرف واشتهر بين الناس بمخالفة الشرع والمجاهرة بالمعاصى فلا يكون الظن به محرما.

هذا ويترتب على الظن التجسس ثم الغيبة، وذلك لأن مجرد التهمة يكون سببا فى البحث عما ساور الإنسان من خاطر فيحاول التجسس ليتحقق مما يظنه فينتقل من درجة الظن إلى درجة التجسس ثم يدعوه وقوفه بالتجسس على بعض ما يعلم أو ما لا يعلم إلى غيبة أخيه فينتقل إلى درجة أسوأ وحالة أكبر وهى الغيبة وهكذا.

وينقى الإسلام جو المجتمع على مختلف طبقاته ويوضح كيف يتفاقم الخطر من جراء الظنون السيئة بين الناس بعضهم مع بعض، بل وبين الحاكم والمحكوم، فحين يبتغى الحاكم الريبة فى الناس يفسد ذات بينهم، ويوضح الرسول ﷺ خطر الغيبة والتجسس ويبين نتائجها السيئة التى لا تقتصر على الآخر فحسب، بل إن المغتابين والمتجسسين ينالون جزاءهم فى الدنيا وعقابهم فيها قبل الآخرة، قال ﷺ : «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا

---

(٦) رواه البخارى ومسلم

عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن اتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»(٧). ولذلك أدرك سلفنا الصالح خطر التجسس فنهوا عنه وحذروا منه.

فقد كان سلفنا الصالح يدركون خطر التجسس ومدى حرمته، فكانوا يبتعدون عن التجسس وعن تتبع أسرار الناس حتى ولو ترتب على ذلك إقامة حكم من أحكام الشريعة، أو إقامة حد من حدود الله، قال عبدالرحمن بن عوف: حرست ليلة مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالمدينة إذ تبين لنا سراج فى بيت بابه مجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهما الآن شرب فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه.. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ وقد تجسسنا وانصرف عمر وتركهم.

كفارة الغيبة

ومن الرذائل المنهى عنها الغيبة قال الله تعالى:

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾

[الحجرات : ١٢]

وقد فسر الرسول ﷺ معنى الغيبة: ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»(٨). وقد رأى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج صورة محسوسة لأولئك المعتدين المغتابين، وكيفية عذابهم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل، قال: هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس ويقعون فى أعراضهم» (٩) وقد صور القرآن الكريم صاحب الغيبة فى هيئة مستقذرة، وصورة تدل على خسة الطبع ودناءة النفس وفساد القلب، قال تعالى:

﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾

[الحجرات : ١٢]

فصور الله تعالى الغيبة بأكل الميتة لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحى لا يعلم بغيبته ممن اغتابها، ولننظر بعد تصوير الرسول ﷺ للغيبة: روى أبوهريرة رضى الله عنه أنه حين جاء ماعز إلى النبى

---

(٧) رواه أحمد وأبوداود والترمذى.

(٨) رواه مسلم

(٩) رواه أحمد وأبو داود

ﷺ فشهد على نفسه بالزنا فرجمه الرسول ﷺ فسمع نبى الله رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر: انظر إلى هذا الذى ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلاب، فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: «أين فلان وفلان»؟ فقالا: نحن يا رسول الله، قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، فقالا: يا نبى الله ومن يأكل هذا؟ قال: فما نلتما من عرض أخيكما أشد من الأكل منه، والذى نفسى بيده إنه لفى أنهار الجنة ينغمس فيها»[10]!!

وحكم الغيبة: أنها من الكبائر، قال رسول الله ﷺ: «دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»[11]. واتفق العلماء على أنها من الكبائر تجب التوبة إلى الله منها، واختلفت الآراء هل يستحل المغتاب أم لا؟!

١- فقال بعض العلماء: ليس عليه استحلاله، وإنما هى خطيئة بينه وبين ربه واستدل أصحاب هذا الرأى بأنه لم يأخذ شيئا من ماله، ولا أصاب من بدنه ما ينقصه فليس فى ذلك مظلمة يستحلها منه وإنما المظلمة ما يكون فى المال والبدن.

٢- وذهبت فرقة أخرى: إلى أن الغيبة مظلمة، وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذى اغتابه، واستدلوا على ذلك بما روى عن الحسن: كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته.

٣- وذهبت فرقة ثالثة: إلى أن الغيبة مظلمة، وعلى صاحبها الاستحلال منها، واستدلوا على ذلك بما أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون له دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[12].

والذى نرجحه: هو الرأى الثالث القائل بأن على الذى اغتاب الاستحلال من غيبته لحديث البخارى، فهو يدل على التحليل، وحديث الرسول ﷺ هو الحجة والبيان الصحيح ولأن التحليل كذلك يدل على التعاطف والتراحم وهو من قبيل العفو قال تعالى:

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾

[الشورى: ٤٠]

اللهم إلا إذا ترتب على الاستحلال خطأ شديد، ومخافة أن يجر إلى اندلاع فتنة كبرى فإنه حينئذ يمسك عن الاستحلال

(١٠) رواه أبو داود

(١١) رواه البخارى ومسلم

(١٢) رواه أحمد، والبخارى

حتى يواتيه الوقت الملائم له ويقول بالتوبة والاستغفار لأخيه.

وأما الرأيان الثاني والأول: فنرى أن أصحاب الرأى الأول ينفون الاستحلال متعللين بأنه لم يصب مالا ولا بدنا فليس في ذلك مظلمة، والحق: أن إجماع العلماء منعقد على أن على القاذف للمقذوف مظلمة بأخذه بالحد حتى يقيمه عليه، وذلك ليس فى البدن ولا فى المال، فهذا دليل على أن الظلم فى العرض والبدن والمال، وأما الرأى الثانى القائل: إنها مظلمة يستغفر لصاحبها ففيه تناقض لأن قولهم «مظلمة» يثبتون ظلامة المظلوم وإذا ثبتت لم يزلها عن الظالم إلا إحلال المظلوم له، وهذه الأحكام سارية فى سائر المظالم.

وأما صاحب الهوى والفاسق المعلن فسقه والإمام الجائر فكل هؤلاء لا غيبة فى حقهم فإن من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له، بل إن ذكرهم بما هم عليه يحذر ويكشف عوارهم.

قال ﷺ : «اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس»[١٣] وإذا كانت واجبات الأخوة فى الدين تقتضى تكريم المؤمن ونفى كل الرذائل عن دائرة نفسه ومجتمعه وتحتم احترام المسلم لأخيه ومساعدته له وعدم التعرض بما يسيئه فى نفسه أو ماله أو عرضه.

إذا كانت هذه وغيرها من أسمى المبادىء لتكريم الإنسان المسلم فإن الله تعالى قد وسع دائرة هذه الأخوة فلم يجعل للأسرة الإسلامية حدودا تحدها قرابة أو نسب أو زمان أو مكان أو بيئة أو مجتمع بل إن الإسلام فتح أمام أتباعه آفاق التعارف والتآلف.

واستهدف من وراء جعله لهم شعوبا وقبائل التعارف المثمر الذى يكمل بعضهم بعضا فى إطاره المشرق.

ولم يجعل من اختلافهم فى اللون أو اللغة أو المال أو القوة سببا للتمايز والتعاظم، فنفى أن تكون هذه الأسباب أصولا للتكريم أو قواعد للتعظيم، وإنما جعل المعيار الحقيقى الذى توزن به منازلهم منحصرا فى شىء واحد هو «تقوى الله»..

قال الله تعالى:

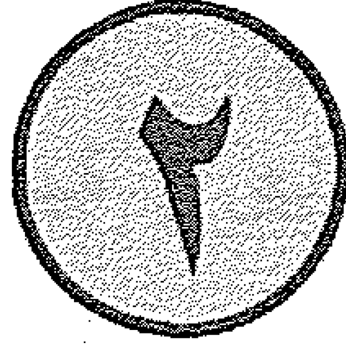
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

[الحجرات: ١٣]

***

(١٣) رواه ابن أبى الدنيا وابن عدى والطبرانى

من مناهج التربية فى القرآن الكريم



إذا كان لكل دعوة كتابها القائد وأسلوبها القاصد ومنهجها السوى فى استقطاب ومعالجة الطبائع البشرية، فإن القرآن الكريم هو كتاب الدعوة الإسلامية وأسلوبها ومنهج حياتها جميعاً، وأروع ما فى هذا القرآن الإلهى المعجز أنه لا يقف فى معالجة الطبائع البشرية عند حافة جامدة لا يتعداها إلى غيرها من مناطق وإنما هو على النقيض من ذلك تماماً.. إنه يتخطى فى محاولاته لاستنقاذ الطبائع الجانحة من أسلوب إلى أسلوب، ومن منهج إلى منهج باذلاً من اكتنازه الذاتى بالعطاء لكل قضية جانحة ما يلائم طبيعة تكوينها البدائى، وطبيعة مسارها الحياتى وطبيعة تشكلها الأخير فى أى من الأنماط، إن ما يوائم قطاعاً من الطبائع البشرية قد لا يوائم قطاعاً آخر، ومن هنا فإن تعدد أساليب الحوار مع شتى أنماط هذه الطبائع يلوح فى نهاية الأمر ضرورة حتمية بما هو حركة على صعيد الواقع المتحرك الحى، وليس ضربة لازب جمدت نفسها على مستوى واحد من مستويات فهمها لتيارات دافقة بلا حدود!!

قد يخاطب القرآن نمطاً من أنماط الطبائع البشرية مرتفقاً فى ذلك نوعاً من الترهيب أو نوعاً من الترغيب، مؤكداً فى قضية هذا الارتفاق قضية حرية الإنسان، لأن نمطاً من أنماط التشريع الإلهى يخاطب البشر واعداً مرة، ومتوعداً أخرى إنما يوحى بالضرورة معنى أنه أعطى الإنسان منذ البدء حرية أن يقول «لا» وحرية أن يقول «نعم» لأن القابض على حريته هو وحده القادر على حركة القبول أو حركة الرفض، وهو وحده بالضرورة، كذلك مناط الوعد أو مناط الوعيد، إن الإنسان فى منطقة انتفاء

للأستاذ الدكتور
محمد أحمد العزب

حريته القابلة أو الرافضة ليس مناط وعد أو عيد، بما هو صائر بالضرورة إلى حتمية الطوع هكذا كما تكون حركة الانحدار الساذجة من ليل إلى نهار ومن نهار إلى ليل، ولكنه فى منطقة احتيازه لحريته.. أعنى فى منطقة اندفاعه إلى معاقرة الجنوح، أو إمكان ارتفاعه إلى معانقة الصواب، يكون بالضرورة مناط الحدب من الجانب التشريعى، فمرة يلوح له التشريع بفداحة العقاب ومرة يلوح له بالخلود!!

وقد يخاطب القرآن نمطاً من أنماط الطبائع البشرية مرتفقاً فى ذلك أسلوباً بين بين - وهو ما نريد أن نتأمل محاور فلسفته فى هذا اللقاء - وأعنى بذلك الأسلوب أن يبدأ القرآن العظيم من منطلق موضوعى، فهو يعرض القضية فى حيادية من غير تحريض.. كما فى قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾

فصلت - ٣٤

وإن كنا نستطيع أن نستشف من خلال هذا السياق فى هذا العرض انحياز المنطق القرآنى مع الحسنة وضد السيئة إلا أن هذه الضدية أو المعية جميعاً لا تنفى قضية الحياد فى العرض، لأن منطق طبائع الأشياء يرفض استواء الجانب الأشرق «الحسنة» والجانب الأحلك «السيئة» فإذا جاء المنطق القرآنى بتقرير هذا الواقع الموضوعى فإن ذلك لا يطعن فى قضية حياديته، ولا يعطى عرض القضية على هذا المستوى غير معناها الحيادى المنصف الغائر فى طبائع الأشياء!!

ثم يترقى القرآن العظيم فى قضية العرض من مستوى الحيادية الصارمة إلى مستوى التعاطف مع الجانب الأشرق

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(فصلت: ٣٤)

لأن القرآن ليس نصاً من النصوص البلاغية الجامدة التى لا يهمها فى حركة التعبير إلا أن تجىء ذروة فى تقنية الحركة وقمة فى إعجاز السياق، ثم لا شىء!! إن هذا المنزع الجمالى البحت بعرى القرآن العظيم من أروع ملامح ذاته الفذة، إنه ليس كتاباً لإثارة النشوة الفنية فى قارىء مسترخ على وسائد الفهم الساذج لحقائق الكون أو حقائق التاريخ، إنه كتاب لإشعال الحرائق فى كل شىء فى الفكر المسطح، والكون اللزج، وطواطم التاريخ منذ البدء وحتى نهاية الرحلة، وبما هو كذلك بالدرجة الأولى فإن همومه الأساسية هى هموم إنسان هذا الكون.

إن شقاء الإنسان الكادح على الأرض بعض من ضرورة التنزيل، ومن هنا فإن تعاطفه الكادح على الجانب الأشرق فى كل شىء، وهو هنا «الحسنة» يبدو منطقاً متوازن الحركة، متساوق الإيقاع، مشدوداً إلى جذور طبيعته كنص إلهى يجىء

لمساندة الخطى الحائرة لإنسان هذا العصر، وما قبل هذا العصر، وما بعد هذا العصر، أعنى إنسان كل العصور!!

ثم يترقى القرآن العظيم فى قضية العرض من مستوى التعاطف مع الجانب الأشرق إلى مستوى تتويج القضية بمحصلة مقدماتها جميعاً

﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

(فصلت: ٣٤)

وفى هذه المحصلة أو قل هذه النتيجة يتأكد احتواء القرآن فى حركة مده الوجودى على إنسان هذه الأرض، بكل عزاباته الراعفة، وبكل معاناته اليقظى فى رحلة القرار على شاطىء مأمون، إن طرح القضية على مستوى موضوعى منذ لحظة البدء، ثم الانحياز الراشد المسئول إلى جانب القضية الأشرق ثم التهدى من خلال ذلك كله إلى نتيجة واعية، ومنطقية لهذه القضية، إنما كان من أجل شىء صميمى، وليس من أجل لا شىء.. إن صفاء العلاقة بين الإنسان والإنسان على هذه الأرض، وترشيد حواس البشر فى قضية هذه العلاقة، وتصويب منطق الدفع والمدافعة.. والصداقة والعدائية حتى الحسنة والسيئة، إن كل ذلك وأشياء من وراء ذلك كله إنما هو فى نهاية الأمر بعض مآرب الرحلة القرآنية الخاطفة فى هذه الآية الواحدة المليئة بآلاف الكنوز!!

بدأ القرآن من خلال هذه الآية.. يعرض القضية على مستوى موضوعى ثم ترقى إلى التعاطف مع جانب القضية الأشرق ثم أعطى ذروة الفعل فى نتيجة القضية وهذا ما قصدت إليه حين قلت فى مطالع هذا اللقاء، إن للقرآن مناهجه الفذة فى معالجة الطبائع البشرية ومواءمة هذه الطبائع بما يتوافق معها من أساليب التربية وأنماط الحوارات!!

هذا وجه القضية فى شكله الموضوعى، أقول هذا خضوعاً لمنطق فهمنا القاصر فى حركة التصدى لما هو بالضرورى أثرى من مناطق العطاء فى أفهامنا جميعاً!! ولكن للقضية وجهها الآخر الذى نستطيع أن نسميه: وجهها التطبيقى..

ففى أى شىء لا تستوى الحسنة ولا السيئة؟!

- وفى أى المواجهات ندفع أو ندافع بالتى هى أحسن؟
- وما القيمة الحقيقية لولاءات العدو حين يستحيل من خلال تعامل ما إلى حميم؟

إن معانقة المنطق الصوابى فى وجه القضية التطبيقى يفضى فى النهاية إلى تكامل المنهج القرآنى فى التربية، أو قل إلى تكامل فهمنا لمنطق المنهج القرآنى فى التربية فذلك أهدى وأصدق.

حقيقى أن صيحة القرآن الكريم

﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾

إنما تعبر عن حقيقة كونية راسخة فلا استواء بين السيئة والحسنة في قيمتها الموضوعية، من حيث كون الحسنة منطقه الخير فى الطبيعة ومنطقه العدول فى العلائق، ومنطقه الضوء فى ظلمات الدروب!! ولا استواء بين الحسنة والسيئة فى قيمتها الاجتماعية من حيث كون الحسنة أقدر علي الفعل، وأهدي في الحركة، وأكثر قابلية لمعايشة البشر علي أرض زاخرة بالمتناقضات، ولا استواء بين السيئة والحسنة فى قيمتهما الصراعية، من حيث كون الحسنة فى نهاية الأمر هى مناط الغلبة، أو مناط الانتصار بما هى منطق الإيجاب فى مواجهة منطق السلب، وبما هى شريعة الحب فى مواجهة شرائع التدمير.

وحقيقى.. إن صيحة القرآن العظيم:

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(فصلت: ٣٤)

إنما تعبر عن فلسفة كونية أرسخ رسوخاً، لأن الدفع هنا ليس مواجهة الشر الكاسح بالخير المسالم كما قد يظن إن دفع الشر بالشر قد يكون مضمون

﴿ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

حين يستحيل الشر إلى قوة هاجمة لا ضمير لها ولا منطق!! فى البدء لابد من معالجة الشر بالخير والسيئة بالحسنة، والوبال بمزيد من الكمال فإذا لم يفطن الشر إلى منطق الخير فى هذه المدافعة العاقلة انتفى الخير كل أسلحته ورمى بها فى صدور الشر من كل اتجاه، وفى كل اتجاه، وليس الدفع بالتى هى أحسن قضية موقف واحد قتالى قد يكون.. إن له محاور غير محدودة يدور فى مستوياتها جميعاً فقد يكون الدفع فى المجال الخلقى بالتسامح والصفح وقد يكون فى المجال النفسى بالتعاطف والحب، وقد يكون فى المجال الحياتى بشرف الكلمة وطهارة السلوك، وقد يكون فى المجال الإنسانى بمزيد من الزمالة والسلام، وقد يكون فى المجال الفكرى بتأصيل قضية الفهم وتفتيح نوافذ الحوار، وقد يكون فى المجال العقائدى بفدائية الحركة وإيمانية الإصرار، إلى آخر ما يمكن أن نؤصل له فى هذا المنطلق من منادح الرؤية وآفاق التنظير.

وحقيقى فى نهاية الأمر أن صيحة القرآن العظيم

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

(فصلت: ق٣٤)

إنما تعبر عن هموم الدعوة والداعية وتختصر فلسفة موقف القرآن من كادح هذه الأرض «الإنسان»!! إن العداء المخرب لسوء العلاقة الإنسانية هنا قد يكون عداءً عقائدياً يجب أن يتحرك المسلم لبتره أو تعديله بما هو مناط الفهم العقائدى الحافز على حركة التواصل وليس على جبرية

الانفصال ! ! وقد يكون عداءً طبقياً يجب أن يتحرك المسلم لبتره أو تعديله بما هو مناط التعاطف الكونى الذى يدنى طبقة من طبقة وإنسان من إنسان، بكل ما خطط الإسلام له إلى ذلك الهدف من طرائق، وبكل ما اشترع له إلى ذلك من وسائل وغايات ! !

وقد يكون اجتماعياً دائراً فى مستوى الشىء لمن هو ؟ وإلى من هو ؟ إلى آخر ما يطرح فى هذا المجال من أسئلة تافهة القرار، إن وضعية المسلم بما هو مناط التوازن الوضعى فى كونه توجب عليه أن يتحرك لبتر هذا العداء أو تعديله، ليس بمجرد مزيد من الشعارات أو مزيد من غلبة الرأى، وإنما بإحقاق قضية الحق، وتدمير قناطر الباطل، ليتيح بذلك للجمال الإلهى أن ينقل خطواته على الأرض ناشراً أجنحته على الناس ! !

إن ذلك المنهج السوى فى فهم صيحات قرآننا العظيم الثلاث :

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت : ٣٤)

إنما يعطينا أسلحة انتصارنا الحتمى فى كل معارك النضال على كل مستوياته الآنية وغير الآنية، ونستطيع نحن بمزيد من تأمل النص، والحوار الراشد مع منطق الآيات، أن نفجر فيها شلالات بغير حدود من المعانى والقضايا وآفاقاً من الفكر لا تنتهى إلى حدود ! ! !

وحتى لا نفقد ضوء عيوننا فى نهار الألق، فقد يتحتم أن تعود إلى المحاور الصميمية لهذه الرحلة، لنستبين بعضاً من مناهج التربية فى القرآن العظيم، أو قل بعضاً من مناهج القرآن العظيم فى التربية وهى ربما على وجه مقارب : عرض القضية فى موضوعية هادئة وبلا ضجيج . . ثم الانحياز الفاهم إلى الجانب الأشرق من هذه القضية ثم تجلية الغائية التى يمكن أن نحتازها فى نهاية الرحلة .

والقرآن العظيم فى كل أولئك جميعاً لا يعطى للقضية وجهها الأكاديمى أو الميتافيزيقى وحده، وإنما هو يؤكد على طول المسار حتمية انتماء الشعار للواقع، وحتمية انتماء كل القضايا إلى وجودية الإنسان، ولعل هذا المنطلق المزاوج بالضرورة بين الشعار والواقع وبين حركة الفكر وحركة الساعد، وبين تراب هذه الأرض وضوء المصابيح فى السماء، لعل هذا المنطلق هو ما يميز الإسلام فى معترك الشرائع، وهو ما يعطيه إمكانية أن يحيا على الأرض، فاعلاً أبداً قائداً دائماً، قابلاً للعطاء هكذا بلا جمود ! !

فليكن قرآننا العظيم محور الحركة فى وجودنا الحى وليكن فهمنا نافذة مفتوحة على كل المنادح ولنكن نحن طلائع الزحف المقدس، إلى تخوم رائعة بلا تخوم ! ! !

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾

دور المسجد في حياة الأمة

للدكتور / حمدى فتوح والى

إن المسجد فى حياة الدعوات يمثل المنطلق الأول الذى لا يمكن تجاوزه أو الاستغناء عنه. إلا إذا أمكن للإنسان أن يستغنى عن عقله. أو أن ينطلق بعيداً عن روحه ونفسه.

وهذا يفسر لنا سر عناية الرسول (ﷺ) ببناء المسجد فى أول أيام وصوله إلى المدينة ليقينه (ﷺ) بأن المنطلق الأول الذى تشحن فيه النفوس وتغسل فيه العقول. وتملأ من فيضه القلوب، وتنهل من معينه الأرواح، إنما هو المسجد حيث يذكر اسم الله ويُتلى كتابه، وحيث تربط القلوب بخالقها وتتعلق بفاطرها وتستمد رؤيتها لتنفيذ برنامج الحياة من نور سبحانه وتعالى:

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

(المائدة: ١٥، ١٦)

وإذا كانت الأمم تبنى على سواعد الرجال، فإن الرجولة لابد أن تبنى فى محاضن الوحى، ومصانع الرجال، وهى المساجد:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾

(النور: ٣٦، ٣٧)

أقدس رسالة

ومن يتأمل فى الآية الكريمة يلاحظ أن الفئة التى اختارها الله سبحانه وتعالى لرفع بيوته وتشريفها بدوام ذكر الله فيها هى فئة الرجال الذين واصلوا التسبيح لربهم بالغدو والآصال مدركين أن مهمة عمارة المساجد، ورفع ذكر الله، وتعليم الأمة لحق ربها هى أقدس رسالة شهدتها الأرض فلا يعدلوا بها عملاً آخر أو مهمة أخرى إنهم..

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾

(النور: ٣٧)

إن النفس التى سقيت بالوحى. ومزجت بنور الآيات وجبلت على حب الخير. وشرحت صدراً بنور الله. هى وحدها القادرة على حمل أمانة الله فى الأرض. وإحسان السير بها بين الناس. رغبة فى رضا الله وسعياً إلى ثوابه ورضوانه.

إنها نفوس تطهرت من سلطان الشهوة. وعقول تحررت من سلطان الخرافة. وقلوب ارتفعت فوق سلطان الطغاة وخلصت بكيانها كله لله رب العالمين:

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾

(التوبة: ١٠٨)

تطهروا من ثقلة الجسد، وكدرة النفس، والميل مع الهوى واستقاموا لله رب العالمين.

الصلاة معراج روحى

ومع المسجد وفى رحاب الله تؤدى الصلاة. والصلاة معراج روحى تأخذ بقلوب المؤمنين وأرواحهم إلى رحاب المولى سبحانه وتعالى، وهل يليق بمقام الله والإقبال عليه أن يقوم عليه أحد وهو يحمل شيئاً من القذر أو الكدر؟! إن الجو كله جو طهر ونقاء وصفاء، فلابد لمن تهيأ للوقوف بين يدى ربه أن يستكمل أسباب الطهارة كلها، طهارة الظاهر من الثوب والبدن والمكان، وطهارة الباطن من الحقد والحسد والبغضاء وحتى لا ينسى أحد أو يتساهل فيدخل إلى المسجد بثياب قذرة أو رائحة غير طيبة، أو بهيئة شعثة وهى حالة لا يليق أن يدخل بها إنسان على إنسان مثله فكيف يسمح لنفسه أن يستفتح باب الجليل سبحانه وهو بهذه الهيئة وعلى هذه الحال. إن الحس الرقيق. والذوق الرفيع، والفطرة السليمة النقية تأبى أشد الإباء أن تلج إلى مقام الطهر بغير طهور. لكن إذا غلظ الحس. وغاب الذوق، وانتكست الفطرة، فاحتاج ابن آدم إلى تذكير وبيان فإن المولى - تبارك وتعالى- يذكّرنا فى نداء قاطع وبيان حاسم بقوله:

﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾

(الأعراف: ٣١)

ثمرة العبادة

وإذا اجتمع للمساجد طهارة المكان بحسن الفرش وجميل الرياش وتجديد الهواء واجتمع

لروادها طهارة الظاهر ونقاء الباطن، وفاحت من روادها روائح العطر وعبقت فى جوانبها نسمات الطهر. وجدت للقلب نشوة. وللصدر انشراحاً. وللنفس انجذاباً إلى جمال الذات الإلهية. فتثمر العبادة ثمرتها وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.

ولك أن تتصور حاكماً قد تعلق قلبه بالمسجد فهو منطلق منه، منجذب إليه، يشعر نحو المسجد بحنين يربطه به ويشده إليه. فهو دائم الخشية من ربه، شديد الحياء منه يشعر دائماً أنه المخاطب بقوله:

﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾

(المائدة: ٤٩)

﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾

(الصافات: ٢٤)

إنه فى المسجد قد استمع إلى قول المصطفى ﷺ: (اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فأرفق به»[1].

وتفتحت عينه على أدب المراقبة للخالق سبحانه وتعالى، واستوعب فى المسجد قول نبيه «ﷺ» عن أنس عن النبى «ﷺ»: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه»[2].

الأمانة موضع مساءلة

وأيضاً عن عبدالله بن عُمر يقول سمعت رسول الله «ﷺ» يقول: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ـ قال وحسبت أن قد قال ـ والرجل راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته»[3].

وامتلأ قلبه يقيناً بقول رسول الله «ﷺ» عن أبى هريرة عن النبى «ﷺ» قال: (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ فى عبادة ربه، ورجل قلبه معلق فى المساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إنى أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[4].

وامتزج بإحساسه قول الحق سبحانه:

﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة (٤٨٢٦)، والبيهقى، كتاب السير (١٨٣٧٠).

(٢) أخرجه الترمذى فى السنن، كتاب الجهاد (١٨٠٧).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة (٨٩٣) أطرافه ٢٤٠٩، ٢٥٥٤، ٢٥٥٨، ٢٧٥١، ٥١٨٨، ٥٢٠٠، ٧١٣٨ ـ تحفة ٦٩٨٩.

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب الأذان (٦٦٠) أطرافه ١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٦ ـ تحفة ١٢٢٦٤.

﴿ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

(المائدة: ٤٩، ٥٠)

إن قلباً له هذا اليقين وضميراً له هذا الحضور، ووجداناً له تلك المراقبة العميقة جدير أن يلتمس سبل الهرب من تلك الأمانة التى تجعله فى موضع مساءلة عن كل من استرعاه الله عليه، فهو مسئول عن الجائع حتى يشبع، والعارى حتى يستتر، وعن المظلوم حتى يرفع الظلم عنه. كما إن الحاكم الذى تعلق بالمسجد فأدام الوقوف بين يدى خالقه يسأله العون والتسديد والرشاد،، جدير بأن يعان فى مهمته وأن يوفق فى أداء رسالته. وأن ينال حب رعيته، وإن استقام أعانوه وإن اعوج قوموه فهو منهم بمنزلة الوالد من ولده.

إن تنصروا الله ينصركم

ولك أن تتصور جنود جيش تلك حالهم وهذه سماتهم معية دائمة، وانجذاب حميم، وتعلق كريم بجلال المولى العظيم، كيف يكون موقفهم إذا لقوا عدو الله وعدوهم؟ وهم ما خرجوا إلا غيرة على مقام الخالق العظيم سبحانه. أمام أناس تمردوا على خالقهم، وأنكروا نعمته، وكرهوا شريعته وشاقوا رسله، وعصوا أمره؟

كيف لا يعدون العدة وهم المخاطبون فى المسجد بقوله سبحانه:

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾

(الأنفال: ٦٠)

وكيف لا يقاتلون وهم يُدعون من خالقهم بقوله:

﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾

(التوبة: ٢٩)

وكيف يترددون والله يستحثهم على القتال ويشحذ همتهم ببيان جرائم المجرمين التى اقتضت استئصالهم عن الأرض بقوله:

﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(التوبة: ١٣)

وكيف يخافون وهم المبشرون من خالقهم سبحانه وتعالى بالنصر والتأمين إذا هم نصروا الله وقاموا فى سبيله، بقوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

(محمد: ٧)

وكيف لا تثبت الأقدام وهم المخاطبون بقول ربهم سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

(الأنفال: ٤٥، ٤٦)

الفئة المؤمنة

إن ثبات أبناء المساجد فى فلسطين أمر لم يدهشنا، وانتصارهم على اليهود وإجبارهم على الانسحاب الذليل المهين لم يفاجئنا لأنهم موعودون بالنصر من جبار السموات والأرض عندما تعهد بالنصر لأوليائه بقوله:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

(غافر: ٥١)

وبقوله سبحانه:

﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

(الصافات: ١٧٣)

إن الفئة المؤمنة التى أعلى الله قدرها. ورفع شأنها. وأوقع فى قلوب الكافرين هيبتهم لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا لأنها بدأت انتفاضتها من المساجد وألقت بياناتها العسكرية من فوق المنابر وأعلنت تعبئتها وخططها من فوق المآذن. إنهم انطلقوا إلى لقاء الأعداء وهم واثقون من وعد ربهم القائل:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الروم: ٤٧)

ألم أقل لكم إن المساجد هى مصانع الرجال؟!

ولك أن تتصور موظفاً يخرج إلى عمله وقد شحن بقول نبيه «ﷺ»: (لأن يمشى أحدكم فى حاجة أخيه حتى يقضيها خير له من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهر) [٥] وقوله: «ﷺ» عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»[٦].

وقوله «ﷺ»: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) [٧] أكنت ترى هذا الموظف يتأخر عن عمله تضييعاً لوقته أو تعطيلاً لمصالح الناس. أو تفنناً فى إرهاقهم وإعناتهم بكثرة التسويف والمماطلة، سعياً منه إلى إلجائهم. لدفع رشوة حتى تسهل الأمور وتقضى المصلحة، إن القلب المعلق بالله لن يحتاج إلى قائمة من الأوامر والنواهى، وطابور من المسئولين لكى يحملوه على إتقان عمله. لأن وازعه الإيمانى وضميره الربانى، وعمق يقينه بخالقه يحفزه على الإتقان والإحسان لا لشىء، إلا لأنه يعلم أن الله يراه، وسيكافئه أو يحاسبه على ما قدمت يداه، ويؤمن عن يقين بقول ربه سبحانه:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(الزلزلة: ٧، ٨)

---

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك جـ٤/٢٦٩، ٢٧٠.

(٦) رواه ابن ماجة فى المقدمة (٢٤٣).

(٧) مجمع الزوائد للهيتمى جـ٤ ص٩١.

إن المسجد في شريعة الإسلام ليس مجرد مكان للعبادة أو أداء الصلوات فإن الصلاة والعبادة تؤدى فى كل زمان وفى أى مكان. لكن المسجد فى شريعة الإسلام هو رمز التقاء السماء بالأرض واستعلاء الروح على الجسد واستمرار المدد الإلهى والشحن الربانى. حتى يظل المؤمن على مسار حياته موصولاً بربه مرتبطاً بخالقه فلا يضل ولا يشقى.

عندما تتعلق القلوب بالمساجد

ولك أن تتصور جامعات مصر وما تضمه كل جامعة من كليات وقد استكملت كل جوانب المعرفة الإنسانية، وقد انتصب فى صدر كل كلية مسجد يتسع لأبناء تلك المؤسسة جميعاً ويقوم على أمر هذا المسجد أعظم الأساتذة علماً، وأكثرهم خشية وأشدهم غيرة على دين الله سبحانه وتعالى أكنت ترى حالة التفسخ الأخلاقى والخواء الروحى، والقلق النفسى، والاختلاط الماجن، والسلوك الشائن، الذى يدع الحليم حيراناً وهل لو فُعِّلَ دور المسجد واحتل فى اهتمامات المسئولين المرتبة الأولى خدمة وتأهيلاً ورعاية كما ينبغى أن يكون فتوقفت المحاضرات والدروس عند أداء الصلاة، أكنت ترى حالات الزواج العرفى والمخادنة المحرمة وما ينتج عن ذلك من حالات الأبناء غير الشرعيين الذين ضافت بهم أروقة المحاكم واضطرت الدولة أن تخص تلك الأحوال الشاذة الماجنة بمحاكم أسمتها محاكم الأسرة.

أو لست معى فى أن القلوب التى تتعلق بالمسجد وتنتظم فى صفوف الصلاة فى خشوع ووقار صادق هى قلوب تستعصى على وساوس الشيطان؛ ومفاسد الاختلاط وإغراءات المجرمين والمجرمات ويومها سنرى كيف تهدأ الأعصاب، وتستقر المشاعر، وتطهر الضمائر، وتتفرغ العقول والقلوب لطلب العلم وخدمة الأمة، وتوفر على أولياء الأمور ما ينفقه الأبناء على سباق المظاهر والتقليد والموضة ومسايرة أحدث التقاليع فى الملابس وقصة الشعر ونوع المحمول؟

أو لست معى أيضاً فى أن المسئولية الوطنية تستوجب على أولياء الأمور أن يحملوا الأمة على التدين حملاً، وينفقوا فى سبيل ذلك أقصى ما يستطيعون من ميزانية لكى يوفروا عليها مئات الآلاف من المليارات التى تهدر بسبب الجهل بالدين والتجرؤ على المخالفات والمسارعة إلى ممارسة الإجرام بصوره المختلفة: جرائم العرض، والنفس والمال، فضلاً عن جرائم السكر والمخدرات والقمار.

ولك أن تتصور مقدار ما تتحمله الدولة من نفقات بسبب هذه الجرائم التى ما كانت لتصدر عن قلب مؤمن وضمير يقظ ونفس خاشعة. ووجدان متعلق بالله مرتبط به عقب كل صلاة فإلى ذلك فلينتبه الغافلون.

من أمثال القرآن الكريم

مثل العنكبوت

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

يقول الله تعالى:

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت/ ٤١]

المقصود من الآية الكريمة أن الناس قد تخدعهم قوة الملحدين في آيات الله سبحانه: فيعجبون بتفوقهم في مجالات العلم. والمال والقوة. والسلطان.. وربما سوّل لهم ذلك أن يتهافتوا عليهم: رغبا أو رهبا..

ومن هؤلاء الناس: الدعاة، والذين يرون من تسلط أعدائهم ما يلقى في قلوبهم الخوف منهم..

والآية الكريمة تضرب هذا المثل الذى يصور إلى أى حد كانت هذه القوى المزعومة هباء إلى جانب قوة الله عز وجل وليس هناك إلا حماية الله. وإلا حماه. وإلا ركنه القوى الركين: هذه الحقيقة الضخمة هى التى عنى القرآن بتقريرها فى نفوس الفئة المؤمنة فكانت بها أقوى من جميع القوى التى وقفت فى طريقها. وداست بها على كبرياء الجبابرة فى الأرض، ودقت بها المعاقل والحصون.

لقد استقرت هذه الحقيقة الضخمة فى كل نفس، وعمرت كل قلب. واختلطت بالدم.. وجرت معه فى العروق..

ولم تعد كلمة تقال باللسان. ولا قضية تحتاج إلى جدل. بل بدهية مستقرة فى النفس: لا يجول غيرها فى حسٍ ولا خيال قوة الله وحدها هى القوة.. وولاية الله وحدها هى الولاية.. وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل مهما علا واستطال. ومهما تجبرّ وطغى ا. هـ.

كما أن من اتخذ الأوثان أولياء: لم ينفعه فى الدارين معبوده. ولم يدفع عنه العذاب ركوعه وسجوده، وهؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء هم أمثولة الدنيا وعجيبتها.. وذلك من خلال تصرفهم:

ذلك بأن دعاء غير الله يعنى: مخالفة لقويم العقل. وصريح النقل. وسليم الفطرة. وصحيح الفكرة..

وتدريب على الجلافة. وتطبّع فى الكثافة، كيف لا.. وقد تكلف ما ليس مركوزا فى طبعه:

إنه سباحة ضد تيار العقل والنقل وتجاهل لنداء الفطرة المتجهة أساسا إلى خالقها عز وجل: وإلى أية جهة اتجهوا: إلى من هو من دون الله، أى أنهم تكلفوا: اتخذوا له شريكا وثنا: عوضا عمن لا تكيفه الأوهام والظنون، اتخذوه وليا ينصرهم.. فيالها من صفقة خاسرة. وتجارة بائرة ومثلهم كمثل العنكبوت:

اتخذت بيتا يحميها.. فكان مع التكلف والتعب فى غاية الوهن بعدما عانت العنكبوت فى حوكه ما عانت .. وقاست فى نسجه ما قاست، لأنه لا يكنّ من حرّ. ولا يصون من برد. ولا يحصّن عن طالب، وكذلك ما اتخذوه من الأوثان: فهو أوهن الأديان] أ. هـ.

ولو كان لهم نوع ما من العلم لانتفعوا به.. فعلموا أن هذا مثلهم.. ولكن الذى عندهم هو فقط «المكابرة».. ولذا أكد سبحانه لهم القضية بإنّ شاهدة بأن بيت العنكبوت ليس فقط ضعيفا.. ولكنه واهن.

مظاهر الوهن فى بيت العنكبوت

- إنه «بيت» منكر..
- وبعد أن يلقح الذكر الأنثى تأكله.. فى نفس الوقت الذى يأكل الصغار بعضهم بعضا.
- ولا يعيش بيتها إلا ليلة واحدة
- تجعل منه.. شركاً تصطاد به ما هو أكبر منها وهو «الذباب» وليس بيتا

للراحة.

● لا تبنيه إلا فى الظلام. لاعتمادها على حاسة اللمس.

● بينما يذهب إليها «الذكر» طربا.. تلتهمه ولا يستطيع منها هربا.

● إناث العنكبوت أكبر من الذكور حجما.. وهى التى تتحكم فى مصير البيت، والتى تظل مرهقة فى هذا الجو المشحون بالتعب. والخلل وهو مثل من اتخذوا من دون الله أولياء من الكافرين، أعطاهم الله العقل.. كما أعطى العنكبوت خيوطا فى منتهى القوة ولكن كلا الطرفين لم يستثمر هذه القوة فى اتخاذ القرار السليم..

فأى بيت أوهن من هذا البيت؟ وأى قوم أضعف ممن اتخذ غير الله وليا؟!

ولم تقل الآية «شركاء» ولكنها تقول «أولياء»:

ليشمل ذلك كل من اعتمد على غير الله.. وإن كان مسلما.. بمعنى: أن كل طمع فى جلب نفع أو دفع ضر.. من غير الله تعالى.. فهى محاولة عابثة لا فائدة فيها. ولا جدوى منها وفى بيان ذلك يقول الرازى:

● أولاً: ينبغى أن يكون للبيت أمور: حائط حائل. وسقف مظل.. وباب يغلق. وأمور يرتفق بها وينتفع، وإن لم يكن كذلك فلا بد من أحد أمرين:

● إما حائط حائل يمنع من البرد. وإما سقف مظل يدفع عنه الحر فإن لم يحصل منهما شىء.. فهو كالبيداء: ليس ببيت.

لكن بيت العنكبوت: لا يُجنها. ولا يكنها.

وكذلك المعبود: ينبغى أن يكون منه الخلق والرزق. وجر المنافع. وبه دفع المضار. فإن لم تجتمع هذه الأمور.. فلا أقل من دفع ضر أو جر نفع:

فإن من لا يكون كذلك.. فهو والمعدوم بالنسبة إليه سواء:

فإذن.. كما لم يحصل للعنكبوت باتخاذ ذلك البيت من معانى البيت شىء.. كذلك الكافر: لم يحصل له باتخاذ الأوثان أولياء من معانى الأولياء شىء.

● ثانيا: أقل درجات البيت أن يكون للظل:

فإن البيت من الحجر، يفيد الاستظلال. ويدفع أيضا الهواء والماء. والنار والتراب والبيت من الخشب: يفيد الاستظلال. ويدفع الحر والبرد. ولا يدفع الهواء القوى. ولا الماء. ولا النار.

والخباء: الذى هو بيت من الشعر أو الخيمة التى هى من ثوب: إن كان لا يدفع شيئاً: يُظل. ويدفع حر الشمس.

لكن بيت العنكبوت لا يُظل: فإن الشمس بشعاعها تنفذ فيه فكذلك المعبود: أعلى درجاته: أن يكون نافذ الأمر فى الغير فإن لم يكن كذلك.. فيكون نافذ الأمر فى العابد فإن لم يكن.. فلا أقل من ألاّ ينفذ أمر العابد فيه لكن معبودهم تحت تسخيرهم: إن أرادوا أجلْوه. وإن أحبوا أذلوه.

● ثالثا: أدنى مراتب البيت أنه إن لم يكن سبب ثبات وارتفاق لا يصير سبب شتات وافتراق: لكن بيت العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت: فإن العنكبوت لو دام فى زاوية مدة لا يقصد ولا يخرج منها..

فإذا نسج على نفسه. واتخذ بيتا يتبعه صاحب الملك- الدار- بتنظيف البيت منه. والمسح بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت.

فكذلك العابد: بسبب العبادة ينبغى أن يستحق الثواب.. فإن لم يستحقه.. فلا أقل من أن لا يستحق بسببها العذاب والكافر يستحق بسبب العبادة العذاب أ.هـ.

ثم يستطرد الرازى فيزيد وجه الشبه وضوحا فيقول:

مثل الله اتخاذهم الأوثان أولياء.. باتخاذ العنكبوت نسجه بيتا.. ولم يمثله بنسجه. وذلك لوجهين:

ـ أحدهما: أن نسجه فيه فائدة له: لولاه ما حصل وهو: اصطيادها الذباب به من غير أن يفوته ما هو أعظم منه.

● واتخاذهم الأوثان.. وإن كان يفيدهم ما هو أقل من الذباب من متاع الدنيا.. لكن يفوتهم ما هو أعظم منها وهو: الدار الآخرة. التى هى خير وأبقى] أ. هـ

وهكذا تبدو العنكبوت: اتخذت بيتا: لا يجير آويا. ولا يريح ثاويا.

إن سيادة البيت إلى الأنثى.. والتى تلتهم الذكر.. وبعد عملية التلقيح؟ فكيف يكون قرار؟!!

والنتيجة

أن العيب فى أنفس المعاندين.. وليس فى «المثل»

هؤلاء المعاندون الذين كانوا على ما يقول الشاعر:

كضرائر الحسناء: قلن لوجهها
حسداً وبغضا: إنه لدميم!!

***

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من أقوال الشعراء فى القناعة

والنفس تجزع أن تكون فقيرة والفقر خير من غنى يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما فى الأرض لا يكفيها

وقال آخر:

قدم لنفسك فى الحياة تزودا فلقد تفارقها وأنت مودع
واجعل تزودك المخافة والتقى فلعل حتفك فى مسائك أسرع
واقنع بقوتك فالقناع هو الغنى والفقر مقرون بمن لا يقنع

وقال آخر:

ولا ترج السماحة من بخيل فما فى النار للظمآن ماء
ورزقك ليس ينقصه التأنى وليس يزيد فى الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء

قال بعض الحكماء

الظلم على ثلاثة أوجه، ظلم لا يغفره الله، وظلم لا يتركه الله، وظلم لا يعبأ الله به شيئاً.

فأما الظلم الذى لا يغفره الله فهو الشرك بالله.

وأما الظلم الذى لا يتركه الله فمظالم العباد بعضهم بعضا.

وأما الظلم الذى لا يعبأ الله به فظلم العبد ما بينه وبين الله - تعالى.

لأغمن من أمرك بهذا

كان لبعض النساك شاة، فرآها على ثلاث قوائم، فقال من فعل هذا بها؟

فقال غلامه: أنا فعلته.

قال: ولم؟ قال: لأغمك بها.

فقال: لأغمن من أمرك بهذا، اذهب فأنت حر.

ثم جعل من بعد قوة ضعفا

مر الحجاج على رجل كبير السن من الأعراب، فقال له: كيف حالك؟

قال الأعرابى: إن أكلت ثقلت، وإن تركت ضعفت.

فقال: كيف نومك؟ قال: أنام فى المجمع، وأسهر فى المضجع.

فقال: كيف قيامك وقعودك؟

قال: إن قعدت تباعدت عنى الأرض، وإذا قمت لزمتنى.

فقال: كيف مشيك؟

قال: تعقلنى الشعرة، وتعثرنى البعرة.

الحلم عند القدرة

قال حكيم: الكريم أوسع ما يكون مغفرة، إذا ضاقت بالمسىء المعذرة. قال شاعر فى هذا المعنى:

إذا اعتذر المسىء إليك يوما
من التقصير عذر فتى مقر
فصنه عن عتابك واعف عنه
فإن العفو شيمة كل حر

وقال غيره وقد أبدى وجها صحيحا لقبول المعذرة، وهو الوجه الذى يتناساه كثير من الناس ويعجزون عن الانتصاف من خصومهم، فيسجلون على أنفسهم القصور والتقصير معا، قال:

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا
إن بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره
وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقال أديب: ما أذنب من اعتذر، ولا أساء من استغفر.

وقال محمد بن شيرذاذ: الأصاغر يهفون، والأكابر يعفون.

وكتب بعضهم إلى رئيس يعتذر إليه:

اغتفر زلتي لتحرز فضلي
واعف عني ولا يفوتك أجري
لا تكلني إلى التوسل بالعذر
ولعلي أن لا أقوم بعذري

وقال حكيم: إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فما كل من أسمعته نكرا، يطيق أن توسعه منك عذرا.

أحببت أن أذيقك طعم الظلم

روى أن أنوشروان كان له معلم حسن التأديب، فعلمه حتى فاق العلوم، فضربه المعلم يوماً من غير ذنب فأوجعه، فحقد أنوشروان عليه، فلما ولى الملك قال له: ما حملك على ما صنعت من ضربى يوم كذا وكذا ظلما؟ قال: لما رأيتك ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد أبيك، فأحببت أن أذيقك طعم الظلم حتى لاتظلم. فقال أنوشروان: زه، وهى كلمة تدل على الإعجاب، إذا قالها الملك لأحد أعطى ألف دينار جائزة.

يا شعراء العصر

يا شعراء العصر لا تمدحوا
شخصا ولو أنكم معسرون
فالله رب العرش سبحانه
يرزقكم من حيث لا تشعرون

هات المصحف وخذى الثوب

روى أن معروفاً الكرخى نزل دجلة يتوضأ ووضع مصحفه وملحفته، فجاءت امرأة فأخذتهما فتبعها معروف، وقال: يا أختى أنا معروف لا بأس عليك، ألك ابن يقرأ؟ قالت: لا قال: فزوج، قالت: لا، قال: فهات المصحف وخذى الثوب.

إلى بيتنا يذهبون

قال عثمان بن دراج الطفيلى، مرت بنا جنازة يومًا ومعى ابنى، ومع الجنازة امرأة تبكى، وتقول: الآن يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه، ولا غطاء ولا وطاء، ولا خبز ولا ماء، فقال ابنى: يا أبتى إلى بيتنا والله يذهبون.

دعاء

يارب لا تجعل قدمى تزل فى الطريق إليك ولا قلبى يضل فى التطلع إليك، أنت العون الذى أبتغيه، والخير الذى أتمناه فى الدنيا والآخرة.

الكــــذب من علامات المنافقين

لفضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف

حرص الإسلام على أن يبنى المجتمع الإسلامى على أسس سليمة، وعلى مبادىء قويمة، وعلى أخلاق فاضلة، وعلى علاقات بين الناس واضحة جلية، مبنية على الصدق، قائمة على الحق، لذلك طلب الإسلام من الناس أن يبنوا حياتهم على الحق، فلا يقولوا إلا حقاً، ولا يعملوا إلا حقاً، ولا يشهدوا إلا حقاً.

ومن هنا كان الاستمساك بالصدق فى كل شأن من شئون الحياة، وتحريه فى كل قول أو عمل فى المعاملات بين الناس، والمصير إليه فى كل حكم.. دعامة قوية فى خلق المسلم، وصيغة ثابتة فى سلوكه، ومبادىء مهيمنة على كل تصرفاته... ولذلك عزّ المجتمع الإسلامى فى صدر الإسلام، وعاش أفراده فى أمن وأمان، واستقرت حياتهم فى مودة ورخاء، لأنهم كانوا يستظلون بمظلة الحق والصدق، يتلاقون على الفضائل، ويتعاونون على الشمائل، ويتواصون بالحق، ويشهدون بالصدق فإذا أساء أحد السيرة، وانحرف عن الجادة، وحاول أن ينفرد بمسلك خاطىء بعيد عن الحق والصدق والصواب، بدا بعمله هذا كالأجرب بين الأصحاء، فلا يطيب له مقام بينهم حتى يبرأ من علته ويشفى من مرضه.

وكانت المعالم الأولى للجماعة الإسلامية صدق الحديث، وضبط الكلام والتمسك بالحق قولاً وعملاً، وشهادة الحق سراً وعلانية.. أما الكذب وقول الزور، والتدليس والافتراء، وكتمان الشهادة وخيانة الأمانة، فهى إمارات

النفاق، وعلامات انقطاع الصلة بالدين.

والإسلام لاحترامه الشديد للحق، ولتمسكه الصلب بالصدق، طارد الكذابين، وشدد عليهم بالنكير، ونعتهم بأخس الصفات، وشدد عليهم العقاب..

عن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها قالت: «ما كان حلف أبغض إلى رسول الله « ﷺ » من الكذب، ولقد كان الرجل يحدِّث عند النبى « ﷺ » بالكذبة،، فما يزال فى نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة»[1]

فكان أبغض شىء إلى النبى « ﷺ » الكذب فى اليمين، لأنه تضليل واستخفاف باسم الله تعالى.

والكذب رذيلة من أخس الرذائل وأفحشها سوءا، لأنها تنبىء عن تغلغل الفساد والسوء فى نفس صاحبها، وعن سلوك ينشىء الشر فى المجتمع إنشاء، ويهدم الفضائل والأخلاق هدماً، ويدفع إلى ارتكاب الإثم والمنكر.. ولذا نجد سيدنا رسول الله « ﷺ » ينفى الإيمان عن الكذَّاب، ويبعده عن الدين، فقد سئل ﷺ: «أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: لا»[2].

ومع أن الجبن والبخل صفتان مذمومتان، ينفر منهما أصحاب النفوس الكريمة، ويتبرأ منهما أصحاب الهمم العالية.. مع ذلك لم يخرج سيدنا رسول الله « ﷺ » من يتصف بهما أو بأحدهما من دائرة الإيمان، وإنما أخرج الكذاب، وهذا لا يعنى أبداً تهوين الجبن، أو تسويغ البخل، كيف ذلك؟ ومنع الزكاة وترك الجهاد بابان إلى الكفر!! وإنما القصد تجسيم جريمة الكذب، وبيان ضررها على الناس وعلى المجتمع، كما قال رسول الله « ﷺ »: يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب»[3]، ويقول الله ـ تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾

(آية ١٠٥ سورة النحل)

أى: أن افتراء الكذب واختلاقه واختراعه لا يصدر عن المؤمنين، وفى هذا دلالة على أن الكذب من أكبر الكبائر، وأفحش الفواحش.

وكلما اتسع نطاق الضرر على الناس وعلى المجتمع إثر كذبة يشيعها أفاك أثيم، ويعلنها كذاب أشر، كان الوزر

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه مالك.

(٣) رواه أحمد.

عند الله أعظم، والعقاب عند الله أشد. كما قال سيدنا رسول الله « ﷺ » لاتساع نطاق ضرر كذبهم، وسوء عاقبة فعلهم، وعمق الجراح، وشدة الأذى الذى يلحق بالمتضرر من هذا الكذب...، وفى الحديث الشريف: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزانى، والإمام الكذاب، والعائل المزهو»(٤)

فقد حرّم رسول الله « ﷺ »الجنة على الإمام الكذاب أياً كان موقعه..

ولعظم جريمة الكذب، وسوء آثارها جعل رسول الله « ﷺ » الكذب علامة من علامات المنافق، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى « ﷺ » قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» وزاد فى رواية: «وإن صام وصلى، وزعم أنه مسلم»، وعن عبدالله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله « ﷺ »: «أربع من كُنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»(٥).

فإذا عرفنا ما ينتظر المنافق من عذاب فى آخرته، والمصير الشنيع الذى سيؤول إليه يوم القيامة، أدركنا خطورة الكذب، وشناعة جرمه.. يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾

(آية ١٤٥ سورة النساء)

أى: إن المنافقين فى الطبقة السفلى من طبقات النار، وسميت طبقات النار دركات لكونها متتابعة بعضها تحت بعض باعتبار النزول، وسميت طبقات الجنة درجات لكونها متتابعة بعضها فوق بعض باعتبار الصعود... فهؤلاء المنافقين سيكونون يوم القيامة فى الطبقة السفلى من النار، ولن تجد لهم نصيراً ينصرهم من عذاب الله، أو يدفع عنهم عقابه.

قال الألوس ـ رحمه الله ـ: والنار لها طبقات سبع: تسمى الأولى كما قيل: جهنم، والثانية: لظى، والثالثة: الحطمة، والرابعة: السعير، والخامسة: سقر، والسادسة: الجحيم، والسابعة: الهاوية. وقد تسمى النار جميعاً باسم الطبقة الأولى، وبعض الطبقات باسم بعض لأن لفظ النار يجمعها(٦).

وإنما كان للمنافقين هذا العذاب الشديد، لأنهم جمعوا بسوء طباعهم

---

(٤) رواه مالك.

(٥) رواهما الأربعة.

(٦) تفسير الألوس جـ٥ ص١٧٧.

وفساد أخلاقهم بين الاستهزاء بالإسلام الذى يزعمون أنهم يؤمنون به، وبين الفسق والتضليل، وبين الكذب والخداع، وبين إشاعة الفاحشة فى صفوف المسلمين، إلى غير ذلك من قبائحهم المتنوعة التى تشيع الفساد فى المجتمع، وتلحق الأضرار الجسيمة لأفراده.

والحيف فى الشهادة من أشنع الكذب وأرذله، فالمسلم الصادق لايبالى ـ إذا قام بشهادة ما ـ أن يقرر الحق، وأن يقول الصدق ولو على نفسه، أو على أقرب الناس منه وأحبهم إليه، لا تميل به قرابة ولا عصبية، ولا تزيغه رغبة أو رهبة، ولا يمنعه أذى قد يلحقه.. لأن عقاب الله أشد وأعظم.

وتزكية المرشحين لمناصب عامة فى الدولة نوع من الشهادة، فمن زكى أو انتخب عديم الكفاية، قليل الخبرة، عديم الأمانة، فاقد الشرف، فقد كذب وزور، ولم يقم بالقسط، والله ـ تبارك وتعالى ـ يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

(آية ١٣٥ سورة النساء)

نداء من الله ـ سبحانه ـ إلى المؤمنين يأمرهم فيه بالتمسك بفضيلة العدل، وشهادة الصدق فى جميع الأحوال والظروف، أى: يا أيها الذين آمنوا كونوا مواظبين على إقامة العدل فيما بينكم فى جميع الظروف والأحوال دون أن يصرفكم عن ذلك صارف، وكونوا مقيمين للشهادة بالحق ابتغاء وجه الله، لا لغرض من الأغراض الدنيوية، ولا لمطمع من المطامع الشخصية، حتى ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقروا بأن الحق عليها إذا كان واقع الأمر كذلك... ولو كانت ـ أيضاً ـ على والديكم أو على أقرب الناس إليكم... ولا يمنعكم من شهادة الحق أن يكون المشهود عليه غنياً يرجى فى العادة ويخشى، أو فقيراً يترحم عليه فى الغالب ولا يخشى، لأن الله ـ تعالى ـ هو الأولى والأجدر بقول الحق، فلا يصح أن يكون الغنى أو الفقير سبباً فى ترك العدل فى شئونكم، بل الزموا العدل على أى حال.

وإن تلووا ألسنتكم عن الشهادة بالحق، بأن تحرفوها وتقيموها على غير وجهها أو تعرضوا عنها رأساً وتتركوها، يعاقبكم الله عقاباً شديداً، فإنه ـ سبحانه عليم بدقائق الأشياء، خبير بخفايا النفوس، وسيجازى كل إنسان بما يستحقه. أو وإن تلوا الشهادة

فتباشروها على وجهها يعطكم الله أجراً حسناً، وإن تعرضوا عنها وتتركوها يعاقبكم الله عقاباً أليماً، فإن الله ـ تعالى ـ خبير بكل أقوالكم وأعمالكم.

عن أبى بكرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله «ﷺ»: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاثاً ـ قلنا: بلى، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس ـ وكان متكئاً فجلس ـ وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»[٧].

إن التزوير كذب كثيف الظلمات، إنه لا يكتم الحق فحسب، بل يمحقه ليثبت مكانه الباطل، وخطره على الأفراد فى القضايا الخاصة، وخطره على الأمم فى القضايا العامة شديد مبيد، ومن ثم خوف الرسول صلي الله عليه وسلم منه على هذا النحو الصارخ.

ولأجل تربية النشء على رفض الكذب، وتقبيح الاتصاف به، نجد أن الإسلام يوصى بأن تغرس فضيلة الصدق فى نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها وقد ألفوها فى أقوالهم كلها، فعن عبدالله بن عامر ـ رضى الله عنهما ـ قال: دعتنى أمي يوماً ورسول الله «ﷺ» قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها «ﷺ»: «وما أردت أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها: «أما أنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة»[٨] وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله «ﷺ» قال: «من قال لصبى: تعال، هاك.. ثم لم يعطه فهى كذبة»[٩].

فانظر كيف يعلم الرسول ﷺ الأمهات والآباء أن ينشئوا أولادهم تنشئة يقدسون فيها الصدق، ويتنزهون عن الكذب، ولو أنه تجاوز عن هذه الأمور، وحسبها من التوافه الهينة لخشى أن يكبر الأطفال، وهم يعتبرون الكذب ذنباً صغيراً، وهو عند الله عظيم.

وهكذا نرى أن الإسلام يبنى المجتمع الإسلامى على أقوى القواعد، وعلى أمتن الأسس، وعلى أشرف المبادىء، إنه يبنيه على قواعد العدل والقسط، ويأمر المؤمنين أن يلتزموا كلمة الحق مع أنفسهم ومع أقرب الأقربين إليهم مهما تكلفوا فى ذلك من جهاد».

***

(٧) رواه البخارى.

(٨) رواه مسلم.

(٩) رواه أحمد.

التربية الإسلامية بين الأقوال.. والأفعال

للأستاذ/
محمد مصطفى البسيونى

إذا كان اللسان ينطق بالأقوال، فإن الجوارح هى التى تنطق بالأفعال، وكل من اللسان والجوارح يحركه الجهاز العصبى الذى يقول عنه المختصون إنه يتألف ببساطة من مخ ومخيخ ونخاع شوكى وغيرها، إذ هو المحرك (المادى) للسان والجوارح جميعاً.

ولكن هناك أيضاً محركاً (غير مادى) هو سر الحياة الذى هو «الروح» التى هى «علمها عند ربى» ومن ثمة سُميت «سراً».. أما سمعتُ الناس وهم يُعبرون عن وفاة فقيدهم بقولهم: إن «السر الإلهى» قد خرج؟؟.

ويلتقى اللسان والجوارح جميعاً فى الاستجابة للعقل الذى هو مصدر الفكر والحركة والسلوك.

ولقد عنى الفلاسفة الأقدمون بهذا الموضوع فذكروا أن ما هية الإنسان هى أنه (حيوان مفكر)، وعندما وجد فى تجارب علم النفس الحديث والمعاصر أن القردة العليا (مثل الشمبانزى) تفكر أيضاً (أى تحاول مواجهة ما يعترضها من مشكلات بطريقة ما) تراجع الباحثون إلى تعريف آخر للإنسان فقالوا: إنه (حيوان ناطق) ولكنهم بعد ذلك رأوا بالملاحظة المباشرة أن (الببغاء) تنطق أيضاً، فالتبس عليهم الأمر.

ولا يزالون مختلفين حول هذه (المسألة)، ويبدو أنهم لم يلتفتوا إلى الطيور الأخرى بل والحشرات الأخرى الناطقة من جُند الرسالات الإلهية مثل (هدهد سليمان) عليه السلام الذى خاطب ابن داود عليهما السلام بقوله:

﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾
«النمل ٢٢»

ومثل (نملة سليمان) التى حذرت قومها من اجتياح جنود سليمان

﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

« النمل ١٨ »

ولكن الحق سبحانه قد أعجز هؤلاء الفلاسفة والعلماء بالحقيقة الكبرى التى أعلنها فى البيان القرآنى الحكيم :

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾

« الأنعام ٣٨ »

وفى تحد آخر معجز يقول سبحانه :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

« الإسراء ٤٤ »

والأمر الملفت هنا أن هذه الكائنات المتكلمة التى ذكرناها تتكلم، وتعمل فى آن واحد، فكان (الهدهد) الذى يبحث عن رزقه فى (الخبء من الأرض) يبحث أيضاً عن (الخبء بين الناس) فيكتشف كشفاً جديداً غاب عن سليمان عليه السلام الذى يعمل فى ساحته الجن والإنس جميعاً، كشفاً يرى به الهدهد الحقَّ سبحانه وتعالى، كما يضع به أمام النبى سليمان حقيقة إلهية هى من السنن الدائمة بدوام الزمان والمكان وهى :

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

« الإسراء ٨٥ »

فيقول لسليمان عليه السلام :

﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾

« النمل ٢٣ »

كما وجدنا أن النملة لا تتكلم لتهرف بما لا تعرف ولكنها تقول ماتعنى، وتعنى ما تقول، فهى فى غمرة حديثها إلى رفاقها العاملات المجدات لا تهمل العمل بل تشفع القول بالفعل الدءوب :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾

« النمل ٨٦ »

وإن كانت هذه آيات من آيات القادر سبحانه اختص بها نبيه سليمان عليه السلام استجابة لدعائه :

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾

« ص ٣٥ »

إلا أن هذه المعجزات المبهرة يسوقها إلينا القرآن الكريم لكى نعى الدرس من منطلق قوله سبحانه :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾

« ق ٣٧ »

إن الحق ـ عز وجل ـ لم يضرب لنا هذه الأمثال، ويسجل علينا هذه الآيات والمعجزات بين دفتى المصحف الكريم لكى نستمع إليها ونحن معرضون، أو نكتفى بإذاعتها عبر الحوانيت والمقاهى وغيرها لتذوب هذه الألفاظ المقدسة ـ والعياذ بالله ـ فى ضجيج الشوارع وفوضى الطرقات، أو نكتفى عند سماعها (دون استماع أو إنصات) بالغمغمة والهمهمة ومصمصة الشفاه، أو نسلط عليها مكبرات الصوت فى المآتم والمقابر والمناسبات، أو نتبارى فى كتابتها مذهبة ومزخرفة، ونتفنن فى عرضها بالدور والسيارات، أو نقدمها هدايا لمن يقدّرها ولمن لا يقدرها لا لشىء إلا لأن هذا كله أصبح من التقاليد والعادات والواجبات والمجاملات، أو على أحسن الأحوال للفوز بالدرجات والبركات.

وما لهذا أُنزل القرآن الكريم على محمد ﷺ بل على العالمين، ورضى الله عن عمر بن الخطاب الذى قال إنه كان كلما نزلت آية من القرآن أحس أنها إنما نزلت عليه، ورضى الله عن صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا يشفقون على أنفسهم من أن ينزل جبريل عليه السلام بقرآن جديد قبل أن يطبقوا ما وعوه من قبل من الآيات قولاً وعملاً لا حفظاً، وترديداً.

وهكذا يعلمنا الأسوة الحسنة ﷺ وصحبه من القادة الرواد كيف يكون الورع لمن كان يخشى الله واليوم الآخر، وكيف أن المولى الحكيم سبحانه لم يُنزل (كلامه) لمجرد الحفظ والتحفيظ ليس إلا بل يعلمنا الخالق عز وجل أن (الأقوال) لابد أن تترجم إلى (أفعال) وأن الكلام وحده هو شأن الببغاء الذى ركّب البارىء سبحانه فى حلقومه جهاز استقبال وإرسال دون أن يعى شيئاً، إنما هو مثل من الله للبشر يخفى وراءه تساؤلاً ساخراً، فيما بيننا هل نرضى على أنفسنا أن نكون ببغاوات نقول ما يقوله الآخرون ونترك العمل للعاملين مثل النمل والهدهد؟

أليس لله المثل الأعلى وهو الذى أنزل علينا من الأقوال ما يقترن بالأفعال، وآياته الحكيمة المحكمة فى هذا ناطقة بالحق، وكم ينبغى أن نتأمل آياته سبحانه التى تحدثت عن القرون الأولى وكيف اقترن ذلك الحديث الإلهى بالثواب لمن استجاب والعقاب لمن أعرض ونأى بجانبه، ثم هيّا معاً نتأمل آياته عز وجل التى هى قوانين كونية تتجلى فى كل زمان ومكان وإلى أن تقوم الساعة، وهى التى قضى ربك ألا تتغير ولا تتبدل فى قوله:

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾

«فاطر ٤٣»

وذلك من قبيل :

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾

«محمد ٣٨»

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾

«إبراهيم ٢٨»

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾

«البقرة ١٥٥»

وغير هذه وتلك من الآيات التي يزخر بها من محكم التنزيل الإلهى الكريم، والتى نستشعر فى حياتنا اليومية، وفى المسيرة البشرية تطبيقات لها فلا نملك إلا أن نهتف من عمق مشاعرنا :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

«الزمر ٤٢»

هذا وقد كان الرسل الكرام جميعاً (نماذج بشرية تطبيقية) لهذا النهج المثالى القويم وهو ترجمة القول إلى فعل، ونقول (نماذج بشرية) هنا حتى تبطُل حجة المبطلين فى عدم التأسى بهم فيقولون ما لا يفعلون، أويفعلون ما لا يقولون وعندئذ تختلط الأمور وتضطرب الأحوال، وتنتشر الفوضى فى جوانب الجماعة البشرية المنوط بها عمران الكون، والحفاظ على ميزانه المحكم المتين الذى فطره الحق سبحانه عليه، فدين الله ليس مجرد آى تترى «جبريلُ رواح بها غداءُ» كما يقول شوقى، ولكنه نهج «الرب» فى (تربية) خلقه من خلال «الفكر والتطبيق» أو «النظر والعمل» جميعاً.

ألاتذكر قول النبى ﷺ «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعدا»(١) شرحاً لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾

«العنكبوت ٤٥»

أو قوله ﷺ «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»(٢)

يتبـــع

(١) عن ابن عباس: (الجامع الصغير)

(٢) عن أبى هريرة: (المرجع السابق)

هل أنصف المستشرقون والمـ

٣ـ دونـــالد هيـــل

ولد دونالد هيل Donald R.Hill فى لندن عام ١٩٢٢م، وحصل على شهادتى بكالوريوس الهندسة ودكتوراه الفلسفة فى التاريخ العربى من جامعة لندن، وأولى اهتماماً خاصاً لتاريخ الهندسة والتكنولوجيا فى العصور الوسطى، وشارك فى إعداد مداخل دائرة المعارف الإسلامية، وله مؤلفات عدّة حول مجالات العلوم والهندسة والتقنية الإسلامية، حيث كان أول من نبّه إلى التفوق الإسلامى فى العلوم التقنية بعد أن نشر الترجمة الإنجليزية الكاملة ـ مزودة بشروح وتعليقات ـ لكتاب «ابن الرزاز الجزرى» بعنوان «الجامع بين العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل» فى عام ١٩٧٤م، ثم أعقبه بعمل مماثل فى عام ١٩٧٩م لكتاب «الحيل» الذى صنّفه بنو موسى بن شاكر، عن نسخة بالألمانية سبق نشرها فى عام ١٩٢٢م.

وقد انبثقت مؤلفات دونالد هيل من قلب ثقافة العولمة الغربية لتقدم بحيدة وموضوعية ـ من واقع الدراسات والوثائق التراثية المحققة ـ شهادة إنصاف فى حق الحضارة العربية الإسلامية ودورها الرّائد فى تأسيس كثير من العلوم والتقنيات التى تجنى البشرية ثمارها اليوم، وهو يعود بهذه العلوم والتقنيات إلى أرومتها العربية ليعرّف الغربيين بجذورها التى نبتت فى عصور الازدهار الإسلامى، ويبرز أهم مآثر المسلمين فى الرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء، ويعرض نماذج مبتكرة لأجهزة وآلات وتقنيات دقيقة ذاتية الحركة، ويقدم شروحاً وافية لإنشاءات هندسية عربية شملت بناء الجسور والسدود والطواحين المائية والهوائية، وأنظمة الرّى وإمداد المياه، وتقنية المساحة واستخراج المياه الجوفية،

...ـؤرخون حضـارة الإسـلام؟

٣

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

مشيراً فى ذلك إلى كتاب «إنباط المياه الخفيّة» للكرجى، الذى تم تحقيقه حديثاً. ويولى دونالدهيل اهتماماً خاصاً لتقنية التعدين واستخراج الثروات المعدنية من المناجم العديدة على امتداد الأراضى الإسلامية.

جاء فى كتاب «التقنية الإسلامية» الذى ألفه دونالد هيل بالاشتراك مع د. أحمد يوسف الحسن أن الإسلام حقق تأثيراً تاريخياً فريداً فى حياة الجنس البشرى، فقد وحّد الحضارات الواقعة مابين حدود الصين شرقاً والأطلنطى غرباً وبقيت هذه المساحة الجغرافية الشاسعة من الأرض تحت حكم واحد خلال القرون الهجرية الأولى، وكانت النتيجة الأكثر أهمية هى الوحدة الثقافية للأفكار الإسلامية بعد ذلك، فقد حطم الإسلام الحواجز التى كانت قد فصلت الدول عن بعضها البعض، وأصبح للمنطقة بكاملها حتى اليوم دين واحد ولغة واحدة.

وقد أكدت الوحدة الثقافية حرية الحركة والتبادل التجارى مابين بلاد الصين شرقاً وأسبانيا غرباً، وأصبحت اللغة العربية لغة الشعوب التى عاشت مابين بغداد وقرطبة، فضلاً عن أنها أصبحت لغة العلوم والآداب التى حلّت بشكل كامل محل القبطية والأرامية واليونانية واللاتينية، وتطورت الفارسية والتركية إلى لغات إسلامية.

وفى كتابه «العلوم والهندسة فى الحضارة الإسلامية» الذى قمنا بترجمته إلى اللغة العربية مؤخراً (سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٠٥، يوليو ٢٠٠٤م) يقول دونالد هيل أن العلوم الإسلامية انتقلت إلى أوروبا فى الأغلب عن طريق التراث المكتوب، لكن الأمر بالنسبة للعلوم الهندسية والتقنية مختلف تماماً، حيث يوجد عدد قليل جداً من المؤلفات التقنية العربية التى كتب لها البقاء، ويتطلب الأمر البحث عن المكتشفات

الآثارية والرجوع إلى إشارات الجغرافيين والرحالة والمؤرخين فى مؤلفاتهم. ومن أمثلة التقنيات الدقيقة التى أوردها دونالد هيل فى كتابه مايتعلق بالساعات المائية التى شيدها الفلكى المشهور «الزرقالى»، حيث أشار إلى ساعتين مائيتين كبيرتين على ضفاف نهر تاجة Tagus عند طليطلة يعود تاريخ إنشائهما إلى حوالى عام ١٠٨٠م. وهاتان الساعتان لا تدلان فقط على الوقت، ولكنهما تبينان أيضاً أطوار القمر. كذلك أشار إلى محاكاة عدد من تقنيات بناء السدود الإسلامية فى أسبانيا المسيحية، شملت إدخال بوابات للتحكم فى إزالة الطمى والعوائق، وإنشاء مقاييس الأنهار، والاستخدام الممتد فى توليد الطاقة الهيدروليكية. وقد جرت دراسة نظامية عن أنظمة القنوات التى أنشأها المسلمون فى أسبانيا:

النظام الأول هو نظام مدريد الذى لايزال يعمل لإمداد المدينة بالمياه من وادى الرمل Guadarrama والنظام الثانى هو نظام كريفلنت Grevillante فى مقاطعة بلنسية ويبلغ طوله حوالى ١٥٠٠ ياردة ويوجد به تسعة عشر بئراً للتهوية. وقد انتقلت أنظمة الرى الإسلامية من أسبانيا إلى العالم الجديد، حيث لم يكن هناك قطّ فى شمال أوروبا ذات الأمطار الغزيرة أى تقنية زراعية ذات قيمة.

ويلفت دونالد هيل الأنظار إلى ماكان عليه الحال أيام الخلفاء الأمويين والعباسيين عندما كان إجمالى الناتج من المناجم فى الأرض الإسلامية كافياً لتلبية الحاجة، خاصة بالنسبة إلى بعض المعادن بالغة الأهمية. وقد غاب هذا التكامل فى فترات متأخرة عندما تفككت الدولة الإسلامية إلى ممالك مختلفة على نحو ما نجد الآن.

ففى عهود الخلفاء كان إنتاج الذهب ـ مثلاً ـ فى البلدان الإسلامية كافياً لعملية سكّ عملات الدنانير الذهبية بانتظام. كما كان هناك مناجم عديدة غنية بالفضة أو خامات الرصاص التى تحتوى على فضة تساعد على استمرار عمليات سكّ الدراهم الفضية بصورة منتظمة.

ويأمل دونالد هيل أن يظهر إلى النور مزيد من الكنوز التراثية: الوثائقية والآثارية، التى تساعد على إنصاف الإنجازات التقنية للحضارة الإسلامية وبيان حقيقة إسهاماتها فى تطور نظيرتها الأوروبية.

يتبـــع

* * *

الانطـــواء

المخطـــط الإسرائيلى للانفصال عن الضفـــة

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

يرى «إيهـود أولمرت» رئيس الوزراء الإسـرائيلى، ورئيس حزب كاديما (يمين الوسط)، الذى أسسه «شارون» قبل مرضه، أن خطته للانفصال عن الضفة الغربية، المسماه «خطة الانطواء» أو «خطة التجميع»، لن تُنَفَّذَ على مراحل ثلاث كما يُقال، وإنما على دفعة واحدة، وخلال ولاية الرئيس الأمريكى «بوش» الحالية التى تنتهى فى يناير ٢٠٠٩، ويعتبر «أولمرت» أن هذه الخطة هى مشروعه السياسى الوحيد، خلال الأربع سنوات المقبلة، وأن مستقبله السياسى بات مرهونا بتنفيذها من أجل ترسيم حدود دائمة لدولة إسرائيل. واللافت أن المخطط الذى يسعى رئيس الوزراء الإسرائيلى لتنفيذه حاليا للانفصال عن الضفة، لتحديد حدود جديدة لإسرائيل، يرمى إلى ضم أكثر من نصف مساحة الضفة الغربية إلى دولته، بحيث لا يتبقى لإقامة الدولة الفلسطينية المنتظرة سوى ٤٢٪ من مساحتها، فى شكل كانتونات (معازل) منفصلة لا رابط جغرافى بينها.

وتتضمن «خطة الانطواء» أو «خطة التجميع»، إخلاء المستوطنات غير القانونية المتناثرة فى الضفة الغربية من مستوطنيها اليهود وإعادة تجميعهم، وانطوائهم داخل الكتل الاستيطانية الكبرى الثلاث، القائمة خلف جدار الفصل العنصرى، وهى

مستعمرات «معاليه أدوميم»، و«جوش عتصيون»، و«آريئيل» تمهيداً لضمها إلى إسرائيل، وهو ما يراه «أولمرت» تعزيزاً لانفصال الإسرائيليين عن الفلسطينيين فى الضفة بهدف ترسيم الحدود النهائية لإسرائيل الجديدة.

الاستيلاء على غور الأردن

ومن هنا يسعى «أولمرت» إلى ضم «غور الأردن» إلى إسرائيل فى إطار خطته الانفصالية، وذلك بتعزيز المستوطنات فى منطقة الأغوار، وخلق تواصل استيطانى بالمستوطنات الثلاث الكبرى السابق ذكرها، بحيث يمثل غور الأردن الحدود الشرقية الدائمة لإسرائيل مع المملكة الأردنية الهاشمية، ولقد كشف الخبراء مؤخراً عن بدء إجراءات إسرائيلية لعزل المناطق الشرقية للضفة الغربية المسماة «الأغوار»، التى تشكل ثلث مساحة الضفة الغربية، إذ يتميز «غور الأردن» بسعة أراضيه [حوالى ٤٠٠ كم٢. أى أنه أكبر من مساحة قطاع غزة (٣٦٥كم٢)]، ووفرة مياهه، وقلة عدد سكانه. ويبدو أن إسرائيل، بالفعل، عازمة على ضم «منطقة الغور» إليها، فقد ذكرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية فى ١٥ / ٣ / ٢٠٠٦ «أن إسرائيل تمنع أكثر من ألفى فلسطينى من العودة إلى قراهم فى غور الأردن المحتل للحيلولة دون المطالبة باستعادة أراضيهم، وأن السلطات الإسرائيلية تتذرع بدواع أمنية تبريراً لرفضها طلبات هؤلاء الفلسطينيين من أجل عودتهم إلى قراهم أو حتى زيارة أقاربهم، أو لم شمل عائلاتهم»

وفى إطار هذا المخطط الإسرائيلى لضم «غور الأردن» إلى إسرائيل، يقول «خليل تافكجى» مدير دائرة الخرائط والأراضى فى بيت الشرق، فى القدس: «إن إقامة دولة فلسطينية مستقلة، غير ممكن من دون هذه المنطقة (غور الأردن) المؤهلة لتوسيع التجمعات السكانية القائمة، والتى تنوى إسرائيل ضمها إليها، واستيعاب سكان فلسطينيين جدد من العائدين».

الدولة الفلسطينية.. كانتونات منفصلة

والجدير بالذكر أنه حسب المخطط الانفصالى عن الضفة، فإن الجدار الفاصل، الجارى استكماله فى الضفة الغربية والذى يتوغل فيها بعمق ٢٥كم، سيشكل الحدود الجديدة للدولة العبرية، ويضم هذا الجدار الكتل الاستيطانية الكبيرة التى يصل نسبة سكانها من المستوطنين إلى ٨٥٪ من اجمالى عدد المستوطنين فى الضفة الغربية (وهم عبارة عن ٢٠٠ ألف مستوطن، بخلاف ٢٥٠ ألف مستوطن فى القدس الشرقية التى تسعى إسرائيل إلى عزلها عن سائر أراضى الضفة). وقد جاء فى تقرير مكتب تنسيق الشئون الإنسانية التابع للأمم المتحدة - الذى نشر فى بداية مارس ٢٠٠٦ - «أن السلطات الإسرائيلية أقامت حتى الآن ٢٩٩ كيلو متراً من الجدار الفاصل،

وأنشأت ٢٧ نفقًا وجسراً لربط المناطق الفلسطينية، وتحديد طرق لا يستخدمها إلا المستوطنون، وأن تقسيم الطرق بين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود، يشكل الخطوة الأخيرة في «مخطط تحويل التجمعات السكانية الفلسطينية» في الضفة الغربية إلى «كانتونات منفصلة» وهو ما يَحُول دون إقامة دولة فلسطينية متماسكة جغرافيا وقابلة للحياة» وقد أكد هذا التقرير أن مشروع تقسيم الطرق يمثل أحد أضلاع مثلث المشروع الإسرائيلي للانفصال عن الضفة بينما ضلعاه الآخران يتمثلان في الكانتونات [وهي عبارة عن ثلاثة كانتونات، تنقسم عبر معابر إلى عشرة كانتونات تخفي خلفها ١٠ مدن، ومن وراء المعابر، ينتشر عدد كبير من الحواجز العسكرية]، والجدار الفاصل المتوقع استكماله في نهاية عام ٢٠٠٦.

وفي هذا السياق كتب المحلل السياسي الإسرائيلي «ألوف بن» في صحيفة «هآرتس» في ٤ / ٥ / ٢٠٠٦ حول تطبيق خطة الانطواء، وضرورة حشد تأييد حزبي ودولي لها لتسهيل تنفيذها فيقول: يعتزم «أولمرت» رئيس الوزراء البدء في تطبيق «خطة التجميع» لترسيم الحدود النهائية لإسرائيل خلال قرابة عامين ويسعى من جانبه إلى تركيز جهوده لحشد تأييد سياسي، وموافقة دولية على هذه الخطة» ويضيف «ألوف بن» قوله: «إن خطة التجميع» يؤيدها حالياً ممثلو حزب كاديما (٢٩ عضو كنيست)، وحزب العمل (١٩ عضو كنيست) وحزب جيل وهو حزب المتقاعدين (٧ أعضاء)، وحزب ميريتس (٥ أعضاء)، الذين يمثلون مجتمعين ٦٠ عضو كنيست، ومعهم ممثلو الكتل الحزبية العربية وهم عشرة أعضاء في الكنيست».

ويلخص «إيهود أولمرت» خطته في الانفصال عن الضفة الغربية في حوار أجراه كل من المعلقين السياسيين «ألوف بن» و«يوسي فيرتر» من صحيفة هآرتس في ١٠ / ٣ / ٢٠٠٦ فيقول: «اعتقد أنه في خلال أربع سنوات، ستصبح إسرائيل منفصلة عن الأغلبية العظمى من السكان الفلسطينيين بحدود جديدة، بحيث سيتم تنسيق مسار الجدار الفاصل مع الخطة الهيكلية الجديدة للحدود النهائية لدولة إسرائيل، وقد تكون هناك حالات يتحرك فيها الجدار ناحية الشرق، وحالات أخرى يتحرك فيها ناحية الغرب، حسب المخطط الذي سنتفق عليه، وهكذا سنمضي قدما بخطوات حاسمة لبلورة إسرائيل كدولة يهودية، تضم أغلبية يهودية قوية ومستقرة غير معرضة للخطر».

شروط أولمرت

ويحدد «أولمرت» شروط التفاوض مع الجانب الفلسطيني بشأن خطة الانطواء أو الانفصال عن الضفة فيقول: «إن شروط التفاوض مع حكومة حماس هي تغيير

الميثاق التأسيسى للحركة، والاعتراف بحق دولة إسرائيل فى الوجود، وقبول الاتفاقات السابقة مع منظمة التحرير الفلسطينية، والتوقف التام عن الإرهاب (مقاومة المحتل) ونزع السلاح» هذه هى شروط التفاوض مع حكومة حماس، وإلا ستقوم إسرائيل من جانب واحد فى فرض إملاءاتها من أجل ترسيم حدود الدولة الإسرائيلية الجديدة. وقد أكد «أولمرت» عزمه على تنفيذ خطته من طرف واحد فيقول: «سننتظر شهراً، أو شهرين، أو ثلاثة أشهر، وربما ستة أشهر، وإذا لم نلاحظ تغيراً لدى الفلسطينيين فسنتحرك بمفردنا من دون موافقتهم، وسيكون على إسرائيل أن تحدد بمفردها حدودها الدائمة».

أى أن «أولمرت» رئيس الوزراء الإسرائيلى الجديد سوف لا ينتظر وقتا طويلا حتى يوافق الجانب الفلسطينى على شروط إسرائيل الثلاثة، بل سيبادر من جانب واحد بترسيم الحدود الجديدة لإسرائيل، وكأنه صاحب الأرض الحقيقى وليس المحتل الغاصب الذى لا ينوى فى الأصل التفاوض مع الفلسطينيين سواء من فتح أو من حماس. إنه فى الحقيقة لا يعترف بوجود شريك فلسطينى يمكن التفاوض معه فلقد صرح «أولمرت» للصحفيين المرافقين له فى زيارته لكل من فرنسا وبريطانيا مؤخراً أنه أوضح لكل من «بلير» و«شيراك» ان «خطة الانطواء» محتومة، وأنه سيتم تنفيذها سواء بوجود شريك فلسطينى أو فى غيابه.

التهديد الديموجرافى الفلسطينى

واللافت فى هذا الصدد أن رئيس الوزراء الإسرائيلى «أولمرت» يعلم تمام العلم أن حكومة حماس لن تقبل بالتفاوض وفق الشروط الإسرائيلية إلا بعد أن تتعهد إسرائيل، وبضمانات دولية، بالانسحاب الكامل من الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، وهو ما ترفضه إسرائيل حاليا، ومن هنا فهو يريد أن يثبت، وبخبث شديد، عدم وجود شريك فلسطينى، يمكن معه إجراء تسوية سياسية للقضية الفلسطينية، حتى تقوم إسرائيل من طرف واحد بتنفيذ خطة الانفصال من أجل ترسيم حدود إسرائيل الجديدة التى يمكن الدفاع عنها. وقد حدد «إيهود أولمرت» الهدف الحقيقى لخطته، محذراً من التهديد الديموجرافى الفلسطينى للدولة اليهودية فى قوله: «إنه فى غضون عشرين عاماً، سيصبح اليهود أقلية بين البحر والنهر (نهر الأردن) ومن ثم كان لزاما على دولة إسرائيل أن تحافظ على أغلبية يهودية، وإلا فإن وجودها سيكون فى خطر» أى أن الانطواء أو الانفصال الأحادى الجانب عن الفلسطينيين فى الضفة، ليس من منطلق إعادة الأرض المحتلة إلى أصحابها الشرعيين، بل من منطلق الحفاظ على أغلبية يهودية غير مندمجة فى المحيط العربى الفلسطينى، الهادر بتكاثره البشرى، الذى

إذا ما استمر بمعدلاته الحالية، سيبتلع اليهود في جوفه، وهو ما يهدد الوجود الصهيوني في فلسطين بالزوال.

الجدار الفاصل

ويبدو أن الحدود الإسرائيلية التي تسعى الخطة اليهودية لترسيمها، ستعتمد إلى حد بعيد، كما قلنا من قبل، على مسار الجدار الفاصل، الذي تريد إسرائيل استكماله بأسرع ما يمكن فيقول «شاؤول موفاز» وزير الدفاع السابق ونائب رئيس الوزراء الإسرائيلي «أولمرت» ووزير المواصلات والسلامة على الطرق: «إن طول الجدار عند استكماله سيصل إلى ٨٧٠ كيلو متراً، ويشمل الجدران الداخلية حول المستوطنات وقد أنجز منه بشكل نهائي ٣٣٥ كيلو مترا ويتم الآن العمل في ١٣٧ كيلو متراً، في حين توقف العمل في ١٤٥ كيلو متراً، بسبب اعتراضات وطعون، وهناك ١٣٨ كيلو مترا في انتظار إقرار وزارة العدل، و٩٢ كيلو مترا في انتظار تصديق المستوى السياسي» وتتوقع «الهيئة الأمنية الإسرائيلية أنه لن يمر عام واحد آخر على الأقل حتى يكتمل بناء الجدار الذي سيحدد الحدود النهائية لدولة إسرائيل.

وتشير مصادر إسرائيلية إلى أنه في إطار خطة فك الارتباط عن الضفة الغربية الذي ستنسحب بموجبه إسرائيل من مستوطنات غير قانونية، سيتواصل عزل المدن الفلسطينية في «كانتونات» بفعل مسار الجدار الفاصل، ففي شمال الضفة المؤلف من أربع محافظات ولواءين، وهي نابلس، وجنين، وطولكرم، وقلقيلية، وسلفيت، وطوباس ستقترب المستوطنات حتى مشارف هذه المدن الفلسطينية، وأنه من كتلة «آريئيل» الاستيطانية، التي يضمها الجدار، نجده يتوغل بعمق ٢٥كم شرقاً حتى مدخل نابلس الجنوبي، حيث توجد مستوطنه «تَبُوَّحْ» وفي مناطق الوسط والجنوب، التي تضم القدس وبيت لحم، والخليل، تتجاور الكتل الاستيطانية اليهودية مع التجمعات السكانية الفلسطينية المحاطة بالجدار من كل ناحية. أما منطقة «غور الأردن» التي منعت إسرائيل سكانها من الفلسطينيين من دخولها بعد عزلها وراء ٨ حواجز، فهي مرشحة لإقامة جدار آخر قادم لتكتمل به خطة الانفصال اليهودية عن الضفة الغربية العربية الفلسطينية.

رفض إسرائيلي لخطط أولمرت

ويرى كثير من المراقبين أن ثمة صعوبات عديدة تواجه تنفيذ المخطط الإسرائيلي للانفصال الأحادي عن الضفة الغربية، أهمها المعارضة القوية من جانب المستوطنين الذين سيتم إخلاؤهم من المستوطنات غير القانونية، فهم لن يتركوا أماكن استيطانهم بسهولة، كما أن هذا المخطط اليهودي لا يحظى إلا بتأييد ٥٥ عضواً من الائتلاف الحكومي الإسرائيلي فقط، ناهيك عن النقص في الكفاية الإدارية التي تتمثل في

المناصب الأربعة الرئيسية الرفيعة فى الحكومة الإسرائيلية الحالية، وهى رئاسة الحكومة «إيهود أولمرت»، ووزارة الدفاع «عامير بيريتس»، ووزارة الخارجية «تسيبى ليفنى»، ووزارة المالية «أبراهام هيرشزون»، حيث إنهم لا يملكون رصيدا من التجربة القيادية التى تؤهلهم لتنفيذ هذا المخطط بكفاءة عالية. وبالإضافة إلى ذلك تذكر صحيفة «معاريف» الإسرائيلية على لسان قطبين من حزب «كاديما» الحاكم قولهما: «إن أولمرت سيضطر فى نهاية المطاف إلى تنفيذ خطة تجميع مقلصة»، خصوصا مع حصول «كاديما» على ٢٩ مقعداً فقط من مقاعد الكنيست المائة والعشرين، وصعود حركة حماس إلى الحكم، فى ظل عدم اليقين من الدعم الدولى للخطة، وصعوبة إقناع الإدارة الأمريكية، بالاعتراف بالحدود التى ستنسحب إليها إسرائيل باعتبارها «حدوداً دائمة لها» وفى هذا السياق تتحدث صحيفة «هآرتس» فى عددها بتاريخ ٢ / ٥ / ٢٠٠٦ عن شروط نجاح خطة الانفصال عن الضفة فتقول فى افتتاحيتها: «إن تنفيذ خطة التجميع» سيحتاج جهوداً سياسية واقتصادية وأمنية ضخمة، من حشد دعم أمريكى، وإكمال بناء الجدار الفاصل، وإعادة انتشار جيش الدفاع الإسرائيلى، والتطبيق الفورى للإخلاء والتعويض، وإعادة توطين المستوطنين، وهى كلها شروط ضرورية لنجاح الخطة». ويرى المحلل الإسرائيلى «حاجى هوبرمان» فى مقال له فى صحيفة «هاتسوفيه» الإسرائيلية فى ٢٢ / ٥ / ٢٠٠٦ «ان أولمرت يعتزم تقوية التكتلات الاستيطانية وتوسيعها، مقابل الانسحاب من يهود او السامرة (الضفة الغربية)، وأن هذه المستعمرات، ستظل تحت السيادة الإسرائيلية، وهى مستعمرات «جعفات زئيف». وهى جزء من حزام حاضن القدس، و«بيتارعيليت» التى تربط «جوش عتصيون» بالقدس، و«أورانيت» المستعمرة الوحيدة التى تلاصق الخط الأخضر، و«مسكيوت» القائمة فى شمال «غور الأردن»، وقد أكد «أولمرت» أن غور الأردن، سيظل جزءاً لا يتجزأ من دولة إسرائيل فى أية تسوية دائمة».

ترسيم الحدود وسياسة الأمر الواقع

ومن جهة أخرى يرى المحلل السياسى الأمريكى «جيم هوجلاند»، صاحب العمود الثابت فى الشئون الخارجية فى صحيفة «واشنطن بوست» أن خطة أولمرت للانفصال عن الضفة الغربية ليست خطة جديدة من ابتكاره، بل هى تستند إلى أفكار الرئيس الأمريكى السابق «بيل كلينتون» فيقول: «إن ترسيم الحدود انطلاقاً من سياسة الأمر الواقع، والحل القائم على وجود دولتين تستند إلى خطة الرئيس الأمريكى «كلينتون» فى أواخر عام ٢٠٠٠ [فى عهد حكومة «إيهود باراك» العمالية] التى تحدثت عن ضم الكتل الاستيطانية الكبرى إلى إسرائيل، فى مقابل تبادل أراضٍ، وتقسيم

القدس على أساس عرقى».

وفى هذا السياق يسترعى «هوجلاند» نظر «جورج بوش» وإدارته بضرورة تأييد انسحاب إسرائيلى من ٩٠٪ من أراضى الضفة الغربية، على غرار ما قام به «شارون» مع قطاع غزة، وبالنسبة للقدس الشرقية ينصح إسرائيل بضرورة الاتفاق مع الفلسطينيين، حيث إنها ستجد صعوبة كبيرة فى إدخال «تعديلات ديموجرافية» على القدس التى يسكنها أكثر من مائتى ألف فلسطينى، إذ إنه من الصعوبة بمكان إجراء أية تعديلات سكانية بدون الاتفاق مع الجانب الفلسطينى، وأن أى أجراء أحادى الجانب لن يجدى شيئا.

ومن هذا المنطلق يؤكد الرئيس الفرنسى «جاك شيراك» ضرورة استئناف المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية لتحقيق السلام المنشود، فى حين لا تؤيد بريطانيا «خطة الفصل الأحادى الجانب» فيقول «كيم هاول» وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية: «إن حكومته لا تؤيد خطة الفصل الإسرائيلية الأحادية الجانب لأنها لا تقدم السلام المأمول ولن تقدم الحل الطويل الأمد» وفى هذا الصدد، فإن الرئيس الأمريكى «بوش» وإن كان قد بارك أفكار أولمرت، بشأن خطة الانطواء، فوصفها بأنها «أفكار جريئة» إلا أنه يرى من الأفضل لمصلحة إسرائيل أن تجلس مع الفلسطينيين وتتفاوض معهم.

الخوف من الخطر الفلسطينى

وفى الختام يمكن رصد عدد من الملاحظات حول خطة الانطواء أو الانفصال عن الضفة، وأهمها

● أولا: لم يصف أولمرت خطته بـ«خطة الانسحاب»، بل وصفها بـ«خطة الانطواء» حتى يوحى بأن الضفة الغربية ليست أرضا محتلة بل أرض متنازع عليها.

● وثانيا: أن الانسحاب بموجب هذه الخطة وهو انسحاب جزئى وليس انسحابا من كل الضفة الغربية.

● وثالثا: لا يعدو أن يكون هذا الانسحاب إلا مجرد إعادة انتشار للقوات الإسرائيلية فقط.

● ورابعا: بنى «أولمرت» خطته على أساس الحل المنفرد بدون الاتفاق مع الفلسطينيين، وفى ذلك تجاهل لطرف أصيل فى معادلة الصراع الفلسطينى الإسرائيلى، وهو ما يؤدى إلى ديمومة هذا الصراع.

● وخامسا: تعتمد هذه الخطة على استراتيجية الانفصال، أى الانطواء خلف الجدار الفاصل، بحيث تتشرنق إسرائيل داخل جيتو يهودى يسمى دولة اليهود.

● وسادسا: تهدف هذه الخطة إلى ترسيم حدود نهائية لإسرائيل من جانب واحد، حتى ولو كان على حساب الفلسطينيين أصحاب الأرض.

ومن هنا يمكن القول بأن هذا المخطط الانفصالى عن الضفة الغربية، هدفه فى الأساس هوحماية الدولة اليهودية المأمولة من الخطر الديموجرافى الفلسطينى.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبد الموجود أمين

الجرائم الإسرائيلية بين فلسطين ولبنان

من المؤكد أن الحديث عن الجرائم الإسرائيلية المرتكبة بحق العرب والمسلمين يعد من الكلام المعاد والمكرر والذى لا يتضمن أى جديد على مدى ما يقرب من (٦٠) عاما منذ مذبحة دير ياسين الشهيرة وحتى اليوم.

وفى هذا الشهر وبمناسبة العمليات الإسرائيلية الجديدة فى غزة ولبنان ننشر طائفة من الاستنكارات والتعليقات الواردة فى بعض الصحف.

من جريدة المساء الصادرة فى ١٦ / ٧ / ٢٠٠٦ تخبرنا عدة تعليقات أدلى بها كل من الرئيس الإيرانى محمود نجاد، والسيد / عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية، والسيد نبيه برى رئيس مجلس النواب اللبنانى، والخبير العسكرى المصرى اللواء شيرين حسن.

● شبه الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد سلوك إسرائيل بشن هجوم على لبنان بألمانيا النازية.

قال فى افتتاح نفق فى طهران إن هتلر كان يسعى لإيجاد الذرائع لمهاجمة دول أخرى وأن النظام الصهيونى يسعى لايجاد ذرائع لا أساس لها لغزو الدول الإسلامية وهو الآن يبرر هجماته بأعذار لا أساس لها.

● أعلن عمرو موسى ـ الأمين العام لجامعة الدول العربية ـ أن عملية السلام مع إسرائيل كانت خدعة كبرى، انتهت بالفشل.. قال فى مؤتمر صحفى مشترك مع حسين الشعالى وزير الخارجية الإماراتى عقب اجتماع وزراء الخارجية العرب بمقر الجامعة العربية: إن الموقف فى الشرق الأوسط أصبح خطيراً بعد أن أهدى المجتمع الدولى عملية السلام لإسرائيل تلعب بها كيف تشاء.

وأوضح أن الفيتو الأمريكى الجاهز دائماً فى مجلس الأمن يعطى لإسرائيل الضوء الأخضر لتعيث فى الأرض فساداً.

قال موسى: إن وزراء الخارجية العرب اتخذوا قراراً جماعياً بالتوجه إلى مجلس الأمن لإعادة طرح النزاع العربى ــ الإسرائيلى عليه من جديد من نقطة البداية، وإذا لم يحل المجلس هذا النزاع بشفافية.. فسوف يتكلم السلاح، ولا أحد يتحدث وقتها عن الإرهاب أو غيره.

● اتهم رئيس مجلس النواب اللبنانى اسرائيل بارتكاب مجزرة جديدة فى لبنان باغتيال طائراتها الحربية ٢١ مواطنا لبنانياً كانت طلبت منهم إجلاء بلدتهم «مروحين» فى جنوب لبنان ثم عمدت الى اغتيالهم لدى انتقالهم إلى خارج البلدة بسيارات مدنية.

أشار برى إلى أن البوارج الحربية عادت واستكملت القصف الذى كانت قد بدأته الطائرات بقصف موقع الجريمة مشيراً الى أن معظم ضحايا المجزرة من النساء وبينهم أربعة أطفال واتهم رئيس البرلمان اللبنانى مجلس الأمن بأنه منح المزيد من الوقت للعدوان الإسرائيلى على لبنان.

● أكد اللواء شيرين حسن رئيس هيئة موانى بورسعيد وأحد خبراء البحرية المصرية أن بارجة الصواريخ الإسرائيلية التى دمرها حزب الله هى أكبر وأحدث سفن البحرية الاسرائيلية وهى فرقاطة واسمها «هى هانيت» وتحمل على متنها طائرة مروحية وصواريخ «هربون» أمريكية وصواريخ «براق» الاسرائيلية المضادة للصواريخ وصواريخ بحر بحر وعليها أحدث نظام مراقبة صواريخ فى العالم.

أضاف إن هذه هى المرة الأولى التى يتم فيها ضرب العمق الإسرائيلى وتصل الصواريخ إلى نهارية وحيفا وعكا كما أكد أن إسرائيل تجد لأول مرة «سلم الردع» لدى حزب الله وسلم الردع هو ما ذكره «أنتربيه بوفكر» رئيس الأركان الفرنسى فى كتابه الاستراتيجية العسكرية ومعناه تجهيز الطرف الأول مجموعة من الإجراءات تتصاعد مع حدة وعنف إجراءات الطرف الآخر.

أكد أنه للمرة الأولى يدخل نصف مليون إسرائيلى إلى المخابىء وسواء كان حزب الله دمر الفرقاطة الإسرائيلية بطائرة بدون طيار أو بصاروخ إيرانى فإن خسارة إسرائيل من تدمير الفرقاطة وإصابة ٤ إسرائيليين ومقتل اثنين تعتبر كبيرة بالنسبة لها.

يؤكد اللواء شيرين أن كل هذه الأحداث تمت فى الوقت الذى تقام فيه مناورة عسكرية أمريكية ــ إسرائيلية مشتركة فى المنطقة الإسرائيلية الشمالية وخلال أعلى درجات الاستعداد البحرى والجوى لإسرائيل حتى أنه تم سحب سفينة أمريكية من ميناء حيفا خوفا من قصفها بالصواريخ.

ومن جريدة الأهرام تخيرنا هذه الكلمات:

● الأولى كتبها الأستاذ أسامة سرايا تحت عنوان:

من أمطار غزة إلى رياح لبنان

تستطيع عندما تملك القوة أن تبدأ الحرب، ولكنك لا تستطيع أن تنهيها. ولا أن تدرك الثمن الذى سوف تدفعه فيها. فالحروب قاسية، وقد كابدت شعوبنا ومنطقتنا لهيبها، وتعرف بدقة قسوتها من كل النواحى، وأقلها تكلفتها المادية الباهظة. وتدميرها البنية التحتية الغالية. فالشعوب هى التى تدفع الثمن، وقد رأينا المآسى والأهوال التي يتعرض لها الشعبان العراقى والفلسطينى، ولمسنا

المخاوف من أن يمتد لهيب الحروب ليشمل لبنان أيضا.. ذلك البلد العربى الذى يحاول أن يتعافى من الاحتلال والحروب الأهلية والمعاناة الاقتصادية، كما يتزايد الخوف على الشرق الأوسط كله من تأثير الأزمة الإيرانيية النووية وتحولاتها المفاجئة. ويريد العقلاء ألا تصبح المنطقة العربية رهينة لتلك الأزمة، أو أن تصبح إحدى أوراق اللعب فى أزمة دولية مرشحة لكارثة، سواء على أيدى الأطراف العالمية أو حتى على أيدى الطرف الإقليميي.

وفجأة فى وسط هذه الأجواء نفذت إسرائيل عمليتها العسكرية فى غزة التى عرفت باسم «أمطار الصيف» وهى عملية من الممكن حصر آثارها السلبية إذا أدرك الطرفان أنه لا طريق إلى حل الصراع بينهما إلا عن طريق التفاوض والجلوس حول مائدة الحوار السياسى.. وتبرز هذه الرؤية دائماً فى وقت الأزمات، حتى إن أكثر الأطراف تشددا فى فلسطين وإسرائيل يعبرون عن ذلك ويطالبون بالحوار، ويرون أنه من الممكن دفعه إلى الأمام بالاستعانة بالمجتمع الدولى ولجنته الرباعية المهتمة بأزمة الصراع العربى- الفلسطينى وتحويل نتائج اجتماعات الحوار إلى آليات للعمل السياسى والدبلوماسى طويل المدى بين كل الأطراف من السياسيين إلى المواطنين والأحزاب والفصائل فى إسرائيل وفلسطين معاً.

ولم يمض وقت طويل على «أمطار الصيف» فى غزة، حتى فوجئنا بعملية عسكرية جديدة لإسرائيل فى جنوب لبنان، حولت الأمطار إلى زوابع ورياح عاتية، جاءت بعد عملية حزب الله اللبنانى، والتى أسر فيها جنديين إسرائيليين، ويجب أن نقدر أن هذه العملية تتم فى إطار المقاومة المشروعة، مادام الصراع مفتوحا ولم ينته بين الطرفين، ومن الممكن تبادل الأسرى كخطوة أولية لتعميق بذور الثقة والتفاهم بينهما، وهى بدايات ضرورية للتفاوض على الحدود فى المستقبل بين جميع الأطراف المشتركة فى الصراع بكل جوانبه.

[٢٠٠٦/٧/١٥]

● **الكلمة الثانية «رأى الاهرام» وجاءت تحت عنوان:**

ضرورة وقف العدوان على الشعب اللبنانى

فى الوقت الذى يتواصل فيه العدوان الإسرائيلى الوحشى والشامل ضد الشعب اللبنانى يقف المجتمع الدولى صامتا دون أن يتخذ خطوات واضحة على أرض الواقع لوقف هذا العدوان الذى يعد مخالفا للقانون والشرعية الدولية بل للقيم والأعراف الدولية، فمنذ بدء الهجوم على لبنان سقط عشرات القتلى ومئات الجرحى من المدنيين اللبنانيين، إضافة إلى الخسائر المادية الهائلة التى تكبدها الاقتصاد اللبنانى من قصف المطارات والمؤسسات وتزيد على مليارات الدولارات، وهو ما يعنى إعادة الاقتصاد إلى الوراء والقضاء على ما تحقق من إنجازات اقتصادية خلال السنوات الأخيرة.

العدوان الإسرائيلى من حصار شامل وتدمير كامل يضيف إلى معاناة وجراح الشعب اللبنانى، الذى واجه الكثير من التحديات الداخلية والضغوط الخارجية خلال العام الماضى ولم تكد الآمال تتجدد فى تحقيق الأمن والاستقرار وانطلاق خطوات التنمية الاقتصادية، حتى جاء العدوان الإسرائيلى ليدخل البلاد إلى مرحلة جديدة من الألم والمعاناة لا يستحقها الشعب اللبنانى.

[٢٠٠٦/٧/١٦]

● **وأخيرا جاءت كلمة الأستاذ أحمد بهجت بعنوان:**

حرب مفتوحة

فى البداية أعلنت إسرائيل أن جنديا من جنودها قد اختطف وأنها تريد هذا الجندى على وجه السرعة، وإلا اعتبرت إسرائيل الحكومة الفلسطينية مسئولة عن اختطافه.

بعد ذلك أعلن السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله أن حزبه قد أسر جنديين إسرائيليين، وأن الطريق السليم لعودة الجنديين إلى منزليهما هو مبادلتهما بالأسرى العرب فى سجون اسرائيل، ورفضت إسرائيل هذا العرض، وهددت بحرب مفتوحة، وظهرت صورة السيد نصر الله على أجهزة التليفزيون ووجه أكثر من رسالة للشعب العربى وحكامه وشباب المقاومة والشعب الإسرائيلى والحكومة الإسرائيلية، وقال فيما قاله لها: أنتم أردتموها حربا مفتوحة، ونحن ذاهبون إلى الحرب المفتوحة ومستعدون لها.. إلى حيفا وإلى ما بعد حيفا.

بعد ذلك تحدث الشيخ حسن نصر الله عن المفاجآت، وأعلن أن بارجة حربية إسرئيلية ضربت لبنان بالأمس تحترق الآن فى عرض البحر وعلى متنها عشرات الجنود الإسرائيليين وقد أصابتها نيران المقاومة.

واعترف الجيش الاسرائيلى بإصابة البارجة، وإن كان قد قلل من حجم الاصابة كعادة الجيوش مع خسائرهم.

وبدأت الحرب المفتوحة... وبسبب جبن المقاوم الإسرائيلى تفضل قيادة الجيش استخدام الطيران ولا تلجأ للهجوم البرى إلا وهى مضطرة، وكان أول هدف لإسرائيل هو مطار بيروت الدولى رغم أن هذا الأمر محرم دوليا، لأن المطارات تعتبر مبانى دولية لا يجوز ضربها فى الحروب.

اشتعلت النار فى مطار بيروت فتوقفت حركة السفر، وضربت القوات الإسرائيلية الجسور والطرق ومحطات الكهرباء والمياه، كما ضربت أهدافا مدنية كالنساء والأسر والأطفال.

وتقدم لبنان لمجلس الامن يطالب بوقف إطلاق النار، ووافق عشرة أعضاء من ١٥ على الطلب، ولكن أمريكا أعلنت الفيتو فتوقف كل شىء، واعتبر الرئيسى الأمريكى أن هذا العدوان الإسرائيلى دفاع عن النفس.

[١٧/٧/٢٠٠٦]

● **وفى جريدة الوفد الصادرة فى ٢٠٠٦/٧/١٥ كتب الأستاذ صلاح عيسى عن:**

حسابات المقاومة وتوقيتاتها

هبت عاصفة النارالإسرائيلية على المنطقة، فلم تعد تقتصر على غزة التى هبت عليها العاصفة منذ أسابيع، بل شملت كذلك لبنان، التى وصلتها العاصفة صباح الأربعاء الماضى، وفى الحالتين، شملت الخطة عمليات عسكرية واسعة ومتصاعدة تقوم على الاستخدام المفرط للقوة، لا تقتصر على الحصار البرى والبحرى والجوى، بل تضيف إلى ذلك غارات جوية، وضرب بالمدفعية، تدمر الكبارى وتقطع الطرق وتهدم المبانى الحكومية والحزبية.

وتسقط خسائر كبيرة فى البنية التحتية، وفى المدنيين.. والهدف فى الحالتين معروف ومعلن هو إسقاط حكومة حماس فى غزة، وتدمير القوة العسكرية لحزب الله، بإنشاء منطقة عازلة تجعله

عاجزاً عن القيام بأية عملية ضد إسرائيل.

وككل عربى فقد سعدت بعملية غزة، وبدت لى نموذجاً للتخطيط الذكى والتنفيذ المقتدر، لتحقيق هدف لاشك فى أنه مشروع، وتمنيت أن تكون كل عمليات المقاومة من نوعه، وأن تتوقف العمليات التى تجرى ضد المدنيين، والتى لا يستفيد منها إلا العدو..

ومن سوء الحظ أن الوساطة المصرية لحل الأزمة على أساس وقف العمليات العسكرية فى غزة ومبادلة الأسير الأسرائيلى بعدد من الأسرى الفلسطينيين، قد فشلت وتوقفت، ليحل محلها منهج آخرفى معالجة الأزمة، وهو الرد على التصعيد الإسرائيلى بتصعيد مقابل، وفتح جبهة جديدة ضده من جنوب لبنان، فكانت العملية التى قام بها حزب الله، وهى عملية خططت بذكاء ونفذت باقتدار لتحقيق هدف لا شك فى أنه مشروع.

● **وفى جريدة الوفد أيضا الصادرة فى ٢٠٠٦/٧/١٥ كتبت الأستاذة سناء السعيد:**

ليذهب الجميع إلى الجحيم

غريب ألا يرى المجتمع الدولى إلا ما تراه إسرائيل فيسارع ويطالب بإطلاق سراح الجندى الإسرائيلى الذى أسرته المقاومة الفلسطينية ثم يسارع ويطالب بإطلاق سراح الجنديين اللذين أسرهما حزب الله فى عمليته النوعية الرائعة، فلقد طالبت أمريكا بذلك وكذا الاتحاد الاوروبى والأمم المتحدة حتى روسيا خرجت عن المنطق وطالبت بإطلاق سراح الجنديين. ولم ير كل هؤلاء أسرى فلسطين فى السجون الإسرائيلية ولا الظروف التى يعيشون فيها والانتهاكات التى يتعرضون لها.

ويكفى أن عددهم يزيد على عشرة آلاف وأن بعضهم معتقل منذ السبعينيات. وإسرائيل لا ترى إلا التصعيد العسكرى ودفع الأمور نحو حافة الهاوية لا سيما وأنها بمنأى عن محاسبة ومساءلة المجتمع الدولى لها بالإضافة إلى تمتعها بدعم أمريكى واسع تتبعه وتتبناه المنظمة الدولية.

هذا فضلا عن أن إسرائيل تلتزم بالدفاع عن فكرة وجودها دون أن تأخذ فى الاعتبار أية أطراف أخرى عملاً بمبدأ يقول: «ليذهب الجميع إلى الجحيم..!!».

دكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

تحت هذا العنوان كتب د. محمد الجوادي فى جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى ٢٠٠٦/٦/٢٢ يرثى هذا العالم الجليل:

فقدت الثقافة الإسلامية بوفاة الدكتور محمد إبراهيم الفيومى عالما مجتهدا من أبرز الأزهريين الذين اشتغلوا بعلوم الفلسفة الإسلامية، وقد تعددت روافده العلمية فى مصر وخارجها، كما مارس البحث العلمى والتعليم والتدريس على المنهجين القديم والحديث، وشارك بصفة دائبة فى الاجتماعات والندوات واللقاءات والمناقشات والمؤتمرات، فكان على الدوام نموذجا للعالم العامل هادىء الطبع، كثير الإنجاز، كما كان مخلصا لعلمه، محبا للناس، وقد تمتع بأخلاق نبيلة وخبرة حببت فيه كل من عرفوه، كما تمتع بقدر كبير من الفهم والقدرة على التأويل، والاستنباط والاستشهاد، واستدعاء النظائر، وكان حفيا بمجالس الأدب، وحلقات العلم، ومؤسسات العمل الخيرى، وقد ربطته بكثير من أعلام الوطن علاقات الاحترام، والتبجيل، والتقدير، والصداقة، والحب فى الله، كما وثقت الألفة الصادقة، والحميمة المخلصة من علاقاته بمن عرفوه.

وقد أتيح له قبل وفاته بسنوات أن يسعد بأعظم

أعماله، وهى موسوعة الفلسفة الإسلامية، وقد نشرت أكثر من مرة، وقد لخص فى مجلداتها السبعة تاريخ الفلسفة الإسلامية على نحو منهجى دقيق، كما أتيح له أن يكتب صفحات من ذكرياته فى كتاب طبعه مرتين بعنوان «أيامى» وبالإضافة إلى هذا فقد ترك بصمات ذات قيمة فى كثير من المواقع التى شغلها فى أمانة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وفى عمادة كلية الدراسات العربية والإسلامية بالأزهر الشريف، وفى جامعة قطر، وفى كل هذه المواقع كان عاملا منجزاً، وقد جمع فى اعتدال مشكور بين احترام النفس والتواضع، وبين الاعتراف بالحق والحرص على مجاملة الآخرين، كما جمع بين القدرة على الإدراك والرغبة فى السلام، كما أوتى حظوظا كبيرة من صفاء النفس، وطموح العقل، وطهارة اليد، وكرم البذل، وعفة اللسان، وراحة البال، وشرف القصد، ورقى اللفظ، وحب التوفيق بين المتنازعين، كما كان حريصا على دوام الصداقة بين كل أصدقائه المشتركين بعضهم وبعض، وعلى السعى فى الخير للآخرين، وكان يطوى نفسه على قدر من الآلام والأسى لما لم يكن غيره قادرا على ابتلاعه، وكان يجل العلم وأهله، كما كان يجل العلماء وماضيهم، وكان يذكر بكل حب ما سمعه من أستاذ عن تلميذه، وما سمعه من تلميذ عن أستاذه، وكان يصور ما يرويه من حديث الإنصاف على أنه حديث الحقائق التى لا تقبل الجدل.

كان بالنسبة لى صديقا بكل ما تعنيه الكلمة، وكنت أتألم طيلة الشهور الأخيرة وأنا أرى قبس حياته ينسحب رويدا رويدا، وكان يجاهد المرض كى ينجز وكى يشترك فى كل إنجاز قدر له أن يكون من المسئولين عنه. كان صوته يخفت فتمده روحه بقدرات ترفع من نبراته، وكان وجهه يشحب فيمده قلبه بما يحفظ عليه نضرته التى عرف بها، وكان عقله يحاول بعض الغياب ليستريح فلا تلبث نفسه أن تمده بزاد يضفى على حضوره بعض وثبات العقل المتمرس على القول الفصل.

وهكذا ظل يستعين على المرض القاسى بكل ما فى الجسم المريض من قدرة على مقاومة المرض أو صورته، فكان يستعين بالروح على الصوت، وبالقلب على الوجه، وبالنفس على العقل، وكان قبل كل شىء يستعين بالإيمان على القضاء، وباليقين على القدر. كان يسألنى عن تطور مرضه وهو أدرى به، لكنه كان يرضى نفسه بالسؤال، وكان يلخص مضاعفات العلاج وهو مستسلم، لكنه كان يرى أن التجربة من حق الآخرين، وكان يتحدث عن قدرات التشخيص وهو يحمد الله على أن العلم وصل إلى ماوصل إليه من إلمام بهذه الدقائق، وكأنما الدقائق ليست آلاما وندوبا تفتك به وبجهازه الهضمى.. وبعد.. فما أقساه على الإنسان شعوره حين يصلى صلاة الغائب على حبيب بينما هو فى المدينة نفسها.

مستشرق يصف الرسول بالصادق الأمين

وخير ما نختم به مقتطفات هذا الشهر ما نشرته جريدة «الأهرام» الصادرة فى ٨ / ٧ / ٢٠٠٦:

«الصادق الأمين» الوصف الذى يؤكد عليه المستشرق الأسبانى «خوان برنيت» فى كتابه الجديد عن سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ويؤكد برنيت أنه من أشد المعجبين بالرسول الكريم ورسالته.. برنيت يبلغ من العمر ٨٢ عاما واعتمد فى كتابه على بعض المصادر العربية، ويقول: إن العامة لا يمكنهم فهم العمل الذى قام به وهو يعد واحدا من أفضل مترجمى القرآن إلى الإسبانية.



القاهرة تستضيف المؤتمر السنوى لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

تستضيف القاهرة فى التاسع والعشرين من يوليو الجارى فاعليات المؤتمر السنوى لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا ـ أحد منظمات المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة برئاسة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.

يشارك فى المؤتمر الذى يستمر «٤» أيام نحو «٥٠» عالماً ومفكراً من كبار العلماء فى العالم، منهم د. «حسين حامد حسان» رئيس المجمع، د. «حسين آل الشيخ» إمام المسجد النبوى، والشيخ «عبدالرحمن السديس» إمام الحرم المكى، د. «الطاهر بافرواوا» حاكم ولاية «سوكوتو» بنيجيريا، د. «صلاح الصاوى» الأمين العام لمجمع فقهاء الشريعة.

يناقش المؤتمر العديد من القضايا والموضوعات التى تتعلق بالأسرة والمجتمع مثل ميراث المرأة وديتها وتعدد الزوجات وولاية المرأة واللعان. وحدود تأديب الزوجة والنظام المالى الإسلامى ومؤسساته وآلياته ومفهوم الحاجة والضرورة وعمل البورصة والمحاذير الشرعية المشتركة بين أغلب الوظائف والحرف فى البلاد غير الإسلامية والمشاركة السياسية للمسلمين فى الدول الغربية.

استشهاد القائد الشيشانى المسلم «شامل باساييف»

استشهد القائد الشيشانى المسلم «شامل باساييف» وذلك فى هجوم شنته القوات الروسية الخاصة على موقع كان موجوداً فيه فى جمهورية «أنجوشيا» المسلمة المجاورة لجمهورية «الشيشان».

كانت روسيا قد عرضت «عشرة ملايين دولار» لمن يأتى برأس باساييف الذى تتهمه بالإرهاب

وبالمسئولية عن مصرع أكثر من «٣٣٠» شخصا نصفهم من الأطفال كانوا محتجزين بإحدى المدارس، بالرغم من أن القوات الروسية هى المسئولة عن مقتلهم.

وقد أعرب الرئيسان الروسى «بوتين» والأمريكى «بوش» عن سعادتهما بسقوط «شامل باسابيف» الذى يتهمانه بالإرهاب.

وما زالت القوات الروسية تواصل حملتها على المقاتلين الشيشان الذين يدافعون عن إسلام دولتهم ويسقط يومياً الكثير منهم وسط صمت رهيب من العالم «الحر» ومن العالم الإسلامى الساكت دوماً عن كل ما يتعرض له المسلمون من قتل وإبادة فى أماكن كثيرة من العالم.

إهانة جديدة للمسلمين فى أمريكا

قام متطرفون أمريكيون بولاية «تناسى» بإلقاء نسخ من القرآن الكريم على مدخل أحد المساجد بعد أن مزقوها بإطلاق أعيرة نارية عليها.

وطالب مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية كير وزارة العدل الأمريكية بالتحقيق فى الجريمة، وقال مسئولون فى مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية فى بيان لهم أن مرتكبى الحادثة قاموا بتصويرها ووضعها على شبكة الإنترنت ويصور شريط الفيديو المنشور بعض الرجال وهم يطلقون عدة أعيرة نارية على نسخة من القرآن الكريم وقام أحدهم بإلقاء النسخة الممزقة على مدخل أحد المساجد متحدياً بذلك مشاعر المصلين المسلمين الذين يرتادون هذا المسجد.

١٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن المسلمين يعبدون القمر

كشف أحدث استفتاء أشرف عليه مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» أن ١٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن المسلمين يعبدون القمر.

وذلك يعكس الجهل الكبير بحقيقة الإسلام فى أوساط الشعب الأمريكى!

وأوضح الاستفتاء أن ٢٥٪ من الأمريكيين يعتقدون أن الإسلام دين عنف وأن واحداً من كل أربعة أمريكيين يعتقد أن المسلمين يربون أولادهم على العنف.

ومن ناحية أخرى كشف الاستفتاء عن بعض النقاط الإيجابية منها أن ٤٠ ـ ٥٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن المسلمين لديهم حضارة ويتعاونون فى الحرب على الإرهاب.

ودعا القائمون على الاستفتاء إلى تعاون المؤسسات الإسلامية فى تصحيح صورة الإسلام والمسلمين والتعريف بالإسلام فى مختلف دول العالم.

إقبال كبير على مهرجان التعريف بالإسلام بالدانمارك

شهد مهرجان التعريف بالإسلام «الإسلام اكسبو» الذى تم تنظيمه فى الدانمارك إقبالاً كبيراً من مختلف فئات الشعب للتعرف على حقائق ومبادىء الإسلام.

استهدف المهرجان الذى تم تنظيمه بالتعاون بين سفارات الدول العربية والإسلامية، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة تعريف الدانماركيين بالإسلام والحضارة الإسلامية وأكد «بير مولر» وزير خارجية الدانمارك خلال مشاركته فى المهرجان على أهمية الحوار والانفتاح على الآخر وقال: نرغب فى تمكين المسلمين من تقديم ثقافتهم وفنهم للمجتمع الدانماركى إلى جانب الاطلاع على صورة البلد الحقيقية مشيراً إلى أن المسلمين ليسوا ناساً مجانين يتظاهرون ويحرقون الأعلام فى الشوارع كما يحلو للبعض تصويرهم.. وقال إن المسلمين شعوب ذات ثقافة عريقة وتسعى دائماً لحوار متحضر.

دورة للتعريف بالإسلام بولاية بنسلفانيا

ينظم فرع مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية بمدينة «فلادليفيا» بولاية «بنسلفانيا» الأمريكية دورة للتعريف بالإسلام فى شهر أغسطس الحالى على مدى ثلاثة أسابيع.

تشمل الدورة عشر محاضرات تحت عنوان «فهم الإسلام والمسلمين من خلال الفقه والتاريخ» حيث يتم مناقشة أسس العقيدة الإسلامية والمؤسسات الاقتصادية والثقافية والسياسية التى بنتها المجتمعات الإسلامية عبر تاريخها.

كما تناقش فترة العصر الذهبى للحضارة الإسلامية وبعض القضايا المعاصرة المتعلقة بالإسلام والمسلمين.. وكان المجلس قد نظم حلقة نقاشية بالعاصمة الأمريكية واشنطن دعت إلى ضرورة إغلاق معتقل «جوانتانامو».

رابطة «اللواط» العالمية تسعى لتنظيم أسبوع لنشاطها فى القدس

ناشد عدد كبير من علماء فلسطين علماء الأمة الإسلامية دعم جهودهم للتصدى لقرار السلطات الإسرائيلية بالسماح لرابطة المثليين واللواط العالمية بتنظيم أسبوع للترويج والتعريف بنشاطها فى مدينة القدس خلال شهر أغسطس الحالى ونظم علماء فلسطين وعلى رأسهم الشيخ «تيسير التميمى» قاضى قضاة فلسطين والشيخ حامد البيتاوى رئيس رابطة علماء فلسطين والشيخ إبراهيم صرصور أحد قيادات الحركة الإسلامية الفلسطينية حملة واسعة للتصدى لهؤلاء الشواذ الذين ينوون اختتام أسبوع نشاطهم بمسيرة ضخمة للواط فى شوارع القدس تمر أمام عدة أماكن مقدسة، وقال الشيخ إبراهيم صرصور إن هذه المسيرة للشواذ جزء من الهجمة الشرسة على القدس الشريف. وشدد الشيخ صرصور على ضرورة تكاتف الجميع لمواجهة تلك السقطة والتصدى لظاهرة المثليين المرفوضة إسلامياً وإنسانياً.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / محمد قطب خضير
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد / استليا نيدس. نائب وزير خارجية اليونان يرافقه السيد السفير / بنايوتى فلاسوبوس والوفد الصحفى المرافق.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد نائب وزير خارجية اليونان والوفد المرافق له، مؤكداً على أن مصر واليونان تربطهما علاقات طيبة وصلات قديمة تقوم على التعاون من أجل خدمة البلدين وأن صلة الأزهر بمسلمى اليونان صلة قديمة حيث يدرس بالأزهر الشريف وجامعته العريقة ١٨ طالباً وطالبة من أبناء اليونان يتلقون علوم الأزهر الشريف التى تقوم على التسامح والاعتدال وعلى الوسطية والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البلهاء كما أن الدراسة تقوم على اعتبار أن الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة مهما اختلفت عقائدهم ومهما اختلفت أوضاعهم وأن اختلاف العقائد لا يمنع من التعاون لأن الذى يحاسب على العقائد هو الله ولا إكراه على العقائد كما نُعلم أبناءنا فى الأزهر بأن الحضارات عند العقلاء تتعاون ولا تتصادم فمصر تتعلم من حضارة اليونان، واليونان تتعلم من حضارة مصر.

ومن جانبه شكر نائب وزير الخارجية اليونانى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء وأنه سمع أطيب الكلمات عن فضيلة الإمام الأكبر وكان عليه الالتزام السياسى والأدبى للحضور للقاء فضيلة الإمام الأكبر وذلك لتقديم الشكر لمساهمة فضيلته الشخصية ومشيخة الأزهر وجامعته لرعاية مسلمى شمال اليونان وتقديم المنح التعليمية لهم، وأوضح السيد نائب وزير الخارجية بأنه هو العضو المنتخب للبرلمان اليونانى لمنطقة شمال اليونان وأنه بالتعاون مع الأكثرية المسلمة فى هذه المنطقة تعتبر الآن نموذجاً يحتذى به على مستوى أوروبا وهى رسالة للتعايش السلمى مع بعضنا البعض، ورد على ما يطلق عليه صراع الحضارات، وأن ما سمعه من الإمام المفتى بمنطقة شمال اليونان عن فضيلة الإمام الأكبر وإسهاماته الطيبة للدارسين من شمال اليونان الذين تلقوا تعليمهم بالأزهر الشريف وعادوا لتقديم الخدمات فى وطنهم يعد نموذجاً طيبا للتعايش يعتد به وهى تعتبر رسالة نوجهها إلى بقية أوروبا لسببين:

› الأول : أنها تعتبر نموذجا للاعتدال فى الاسلام والديمقراطية المسيحية فى الغرب التى نعيشها الآن .

› الثانى : لإيماننا بالدور الذى تقوم به كل من مصر واليونان على الصعيد الدولى لأنهما يمثلان حضارتين عظيمتين ، مصر بأزهرها على مستوى العالم الاسلامى ، واليونان التى لديها صوت قوى فى المحافل الغربية وهو يعد بذلك جسراً للتعاون بين مصر واليونان وبين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب ويتميز توحدنا هذا بالرشاد والتقارب .

وقد أجاب فضيلة الامام الأكبر عن سؤال حول الرسوم المسيئة للرسل ، موضحاً أن هؤلاء الرسل الكرام ، نوح ، إبراهيم ، إسماعيل ، اسحاق ، يعقوب ، موسى ، عيسى ، محمد صلى الله عليه وسلم ، نحن المسلمين نحترمهم جميعا ولا نقبل الإساءة إليهم بأى صورة لأنها إساءة للمسلمين ، لأن هؤلاء الرسل هم الذين اخرجوا الناس من ظلمات الظلم إلى نور العدل ، ومن الرذائل إلى الفضائل ولم يسيئوا إلى أحد ، فيجب ان نحترمهم ولا نسيىء اليهم ومن يسىء اليهم فهو فاقد للشرف الانسانى ويجب أن يحاسب على جرائمه ، فنحن نرحب بحرية التعبير مادامت فى حدود العقل والعدل وهذه الإساءة لا صلة لها بحرية التعبير .

***

● غادر فضيلة الشيخ / عمر الديب محمد محمود . وكيل الأزهر الشريف فجر يوم الأربعاء ٧ / ٦ / ٢٠٠٦ أرض الوطن متوجها إلى بلجيكا لحضور فاعليات الدورة الثانية عشر للجنة الاتصال الإسلامى الكاثوليكى بالتعاون بين المنتدى الإسلامى العالمى للحوار ومجلس كنائس الشرق الأوسط فى الفترة من ٨ إلى ٩ يونيو تحت عنوان (الدين والبيئة) ، وتشمل كلمة فضيلة الشيخ / عمر الديب وكيل الأزهر الشريف . ورئيس لجنة الحوار الدائم بين الأديان على ضرورة العمل على حماية البيئة باعتبارها واجب أخلاقى وشرعى ويجب الحفاظ عليها من الفساد والضياع والعبث بها والتأكد على أن القرآن وضع تصوراً شاملاً للبيئة شمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد وجعل الإنسان على قمة الاهتمام ، وسخر البيئة لخدمته وهو ما توصل إليه العلماء مؤخرا ، وهو ما تضمنه الإعلان العالمى للبيئة ، ومن هنا أصبحت حماية البيئة فى أى مجتمع ضرورة ملحة وهدفا منشوداً بل وضرورة حتمية فرضتها ظروف الحياة والتقدم الحضارى ، وإذا كان الله تعالى قد سخر لنا مافى الأرض جميعاً فإن من الواجب على جميع البشر أن يحافظوا على هذه البيئة والطبيعة التى سخرها الله تعالى . وعلى الإنسان أن يعمل قدر استطاعته لتحسين ظروف بيئته ومعيشته ولا يكون من المفسدين بل عليه أن يراعى التوازن البيئى سواء أكان فى الأرض أم فى السماء أم فى الماء ، لأن حفظ الحياة لا يتم إلا بالحفاظ على مكونات البيئة لأنها عامل ضرورى لاستمرارية الحياة .

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه وفداً من رؤساء المحاكم العسكرية بجمهورية مصر العربية ودولة الكويت الشقيقة يرافقه السيد المستشار / مدحت بسيونى - مساعد وزير العدل ورئيس قسم الدراسات الجنائية بوزارة العدل .

وقد شرح فضيلة الإمام الأكبر للوفد منزلة القضاء فى الإسلام ومكانته السامية فى الأمة، فهو لون من الفصل فى القضايا بين الناس بالحق والعدل وهو بذلك يحتاج إلى جهد كبير، فالقضايا متنوعة والعقوبات متنوعة، كما أن الشريعة قسمت العقوبات إلى أقسام وكذا الجرائم ففى كل يوم نكتشف الجديد من الخداع والغش.

كما وضح فضيلة الإمام الأكبر للوفد قيمة العدالة وإعطاء الحق لكل صاحب حق ونصرة المظلوم بصرف النظر عن ديانته وفى نهاية اللقاء شكر الوفد الإمام الأكبر على هذا التوضيح المثمر.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه. وفداً من ولاية نجرى سمبيلان الماليزية برئاسة داتوسرى أوتاما محمد بن حسن كبير وزراء الولاية- يرافق الوفد سعادة السفير / زين العابدين عبدالقادر - سفير ماليزيا بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بكبير وزراء الولاية ومرافقيه، مبيناً بأن الصلة قديمة وقوية بين الأزهر الشريف ودولة ماليزيا الشقيقة حيث يتلقى العلوم الدينية والشرعية طلاب من دولة ماليزيا يزيد عددهم عن ٧ آلاف طالب وطالبة، ثم استعرض فضيلته فى إيجاز زيارته لدولة ماليزيا التى تمت فى الأيام السابقة حيث ألقى فضيلته محاضرة عن معنى المنهج الإسلامى الحضارى الذى يدعو إلى الرقى والتقدم فى شتى مجالات الحياة الاجتماعية والزراعية والصناعية والتكنولوجية. حضر اللقاء فضيلة الشيخ / عمر الديب وكيل الأزهر الشريف.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه سعادة السفير / رشيدللى سوبادار- سفير دولة موريشيوس بالقاهرة بمناسبة توليه مهام عمله كسفير جديد لبلاده بجمهورية مصر العربية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير بالأزهر الشريف، متمنياً لسيادته التوفيق فى عمله كسفير لبلاده بجمهورية مصر العربية، هذا وقد وضح فضيلة الإمام الأكبر للسيد السفير أن لدولة موريشيوس طلاباً يدرسون بمراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف حيث إن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى.

هذا وقد شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء وطلب من فضيلته زيادة التعاون الثقافى بين دولة موريشيوس والأزهر الشريف ومنها زيادة عدد المنح الدراسية لطلاب دولة موريشيوس.

This is seen as a kind of educating the Messenger and reminding him of the Qur'anic manners. There are many other examples in the Qur'an whose main intended subject is the Messenger, then from his example, the light shines over all humanity. Out of his words, concise but comprehensive in meaning, the Messenger (may the blessing and peace of Allah be upon him) said, *"I have been sent to perfect the honorable manners."* In support of this, Allah, Exalted and Glorified be He, said:

{And surely you are indeed of a magnificent character.}

[Al-Qalam (The Pen): 4]

Glory be to Allah Who raised His Prophet Muhammad to a rank never reached by anyone before or after him.

The Present and the Past

What about those who claim civilization and freedom?! When you consider what those Westerners claim as having civilization and protecting human rights, and consider the instructions given by the Messenger to one of his commanders, Mu`adh Ibn Jabal, you shall find a huge difference. The Messenger instructed Mu`adh to fear Allah because fearing Allah will protect the believer from committing anything wrong. He also commanded him to always say the truth, give back the trust, protect the neighbor, show mercy to the orphan, never be harsh to others, and do his work perfectly. You may witness how far the civilization of Islam is great when you come to know that the Messenger forbade Mu`adh from insulting any wise man. Contrarily, those claiming modern civilization are now insulting and offending the prophets and messengers, claming that they are the people enjoying freedom. What a despicable freedom they have! They should learn the true and great civilization from the Messenger of Islam.

And:

{And (endure) patiently whatever may afflict you. Surely that is (an indication of true) resolve concerning His commands.} [Luqman (The Sage): 17]

And:

{Yet be clement towards them and pardon; surely Allah loves the fair-doers.} [Al-Ma'idah (The Table): 13]

And:

{And let them be clement and let them pardon. Do you not love that Allah should forgive you; and Allah is Ever-Forgiving, Ever-Merciful.} [An-Nur (The Light): 22]

And:

{Repel with that which is fairest, then, only then, he between whom and you there is enmity shall be as if he were an intimate patron.} [Fussilat (Expounded): 34]

And:

{And the repressors of (their) rage, and the clement towards (their) fellow-men; and Allah loves the fair-doers.} [Al-Imran (The Household of Imran): 134]

And:

{O you who have believed, avoid much surmise; surely some surmise is a vice; and do not spy on each other, neither backbite one another.}

[Al-Hujurat (The Apartments): 12]

On the battle of Uhud, the disbelievers injured the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him), and his front teeth were broken and his head was wounded, so blood was flowing over his face. He was wiping the blood (from his face) saying, *"How will these people attain salvation who have wounded their Prophet while he called them towards (the way of) Allah?"* That was when Allah, the Exalted and Glorious, revealed the Verse stating:

{You have nothing to do concerning the Command.[5]}

[Al-`Imran (The Household of `Imran): 128]

[5] i.e., Allah's Command.

Our Master Muhammad, the Most Honorable Man on Earth ...!

By: Sheikh Umar Al-Deib, Al-Azhar's Deputy

Allah's Messenger Muhammad is Allah's most honorable and highest in rank creature. His Lord educated him in the best manner that no one ever reached. Allah, the Almighty, educated His Messenger in accordance with the Noble Qur'an. Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) used to supplicate Allah and implore to Him all the time. He would ask his Lord to beautify him with good manners. Therefore, he used to invoke Allah saying, *"O Allah! Improve my creation and manners."* Lady A'ishah, the Mother of the Faithful and the Prophet's wife, narrated that the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) used to call Allah saying, *"O Allah! Keep me away from the abominable manners."*

Allah, the Almighty, sent down the Qur'an on His Messenger and beautified him with its manners. Sa`id Ibn Hisham once said, "I asked A'ishah (may Allah be pleased with her) about the manners of Allah's Messenger. She said, 'Do you not read the Qur'an?!' I replied, 'Yes I read the Qur'an.' A'ishah then said, 'The manners of Allah's Messenger was (according to) the Qur'an.' "

The following are among the manners of the Qur'an with which the Messenger has been refined:

{Take to clemency, and command benevolence, and veer away from the ignorant.} [Al-A`raf (The Battlements): 199]

And:

{Surely Allah commands to justice and fairness and bringing (charity) to a near kinsman, and He forbids obscenity and maleficence and iniquity.}

[An-Nahl (The Bee): 90]

{Peace be upon you! I will soon ask my Lord to forgive you; surely He has been Ever-Hospitable to me.}

[Maryam (Mary): 47]

Does such a type of dialogue not represent a wonderful example for the callers and preachers! Does this not give them a good example in how to attract others and bear offence by facing it with benevolence. Ibrahim said to the one threatening him, *"Peace be upon you! I will soon ask my Lord to forgive you."*

Ibrahim did not stop calling his people and when he began to feel despair, he headed for the place where they, including his father, used to gather to call them and argue them using unarguable evidence. He uncovered the reality of the idols they used to worship saying:

{"What do you worship?" They said, "We worship idols; so linger on consecrating (ourselves) to them." He said, "Do they hear you as you invoke (them)? Or do they profit you or harm (you)?" They said, "No indeed, (but) we found our fathers thus performing." He said, "Have you then seen (that) what you have been worshipping, you and your fathers of old? Yet, surely they are an enemy to me, except The Lord of the worlds."}

[Ash-Sh`ra' (The Poets): 70-77]

By saying this, Ibrahim uncovered the reality of the idols which could not respond to whoever called them, nor benefited nor harmed them. He clarified the falsehood in which their forefathers were living. He called them to worship Allah, the Lord of the worlds, the One Who created, sustained, supported, gave life and caused death to creation. Allah Alone is the One worthy to be sincerely worshipped.

Calling in a Way That Is Most Benevolent

The first people the Messengers would call to the path of Allah were their families and relatives. In the case of Ibrahim (peace be upon him), he started by calling his father, for his concern about the success of his father in this life and the life to come was strong, which made him dialogue with his father in many situations without loosing hope. In calling his father, Ibrahim was so discreet for he chose the most mollifiable words so as to attract his father to the true religion. His meaningful words to his father were full of points of convincing; he said (as came in the Qur'an):

> {O my father, why do you worship that which neither hears nor beholds, nor avails you anything? O my father, surely there has come to me of knowledge that which did not come up to you; so closely follow me, and I will guide you on a level path. O my father, do not worship Satan; surely Satan has been disobedient to The All-Merciful. O my father, surely I fear that (some) torment from The All-Merciful will touch you, so that you become a patron of Satan.} [Maryam (Mary): 42-45]

The interpreters pay attention to the expression *"torment from The All-Merciful"* from a psychological perspective. One of them said, "Ibrahim did not say, 'torment from The All-Powerful or The Subduer' but he said, 'from the All-Merciful' to let his father know that Allah would be Merciful and Forgiver. Ibrahim said so to let his father know that Allah would forgive him and encompass him with His mercy if he should repent from his past sins of polytheism." However, Ibrahim's father met his words with harsh denial when he declared that if his son should continue in his call, he would stone him to death. That was a cruel threat not expected by Ibrahim who chose the most mollifiable words to convince his father to follow him. Despite that severe threat, Ibrahim could not do anything but saying:

the Five Obligatory Prayers while the other prophets are included in the phrase saying *"wa Alu Ibrahim"* (i.e., and the household of Ibrahim), for they are related to him.

The Assuring Evidence

May be the most clear thing in the guiding call of Ibrahim was his firmly-established belief in what he was calling for and his persisting thought about what would assure his heart in his faithful belief. The Father of Prophets sincerely believed in resurrection, but despite his firm belief, he asked Allah to show him a perceptible proof. Ibrahim said to his Lord, "Lord! Show me how You give life to the dead?" The exegetes and interpreters of the Qur'an said that Ibrahim said, "How You give life to the dead?" and he did not say, "Do You give life to the dead?" There is a difference between the two questions, for asking by "how" implies prior belief in resurrection and only asking for the manner. Contrarily, asking by "do" involves hesitation in belief and suspicion. In support of this, Allah said to him, "Have you not believed?" Ibrahim replied, "Yes indeed, but that my heart be composed." Therefore, we conclude that the question of Ibrahim is a means to firmly establish his heart and put it at ease.

The attitude of Ibrahim, as regards asking his Lord to show him how He would give life to the dead, was not restricted to him alone. To illustrate, Ibrahim was demanded to invite strong and harsh enemies to believe in resurrection despite their persisting denial to such a fact. Undoubtedly, he would mention to them that perceptible proof which he saw with his own eyes; when he took four birds and divided them, then he set a portion of them on every mountain, and after that he called them and they came up to him with hasty diligence. It might happen that some of his companions could see that scene so they would tell what they had seen. Through this, Ibrahim would have a strong means of convincing his people.

Intellectual Cogency in the Message of Ibrahim ...!
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

I mentioned earlier that the call of Allah's Messengers (peace be upon them all), before Ibrahim, was supported by intellectual conviction and established evidence through visible signs and straight thought. I would like to prove that the call of the Father of Prophets, our master Ibrahim, reached the utmost degree of sound convincing out of the shining argument and assuring evidence.

The relation between Ibrahim (peace be upon him) and Islam is undoubted; Allah, Exalted and Glorified be He, says:

{The creed of your father Ibrahim. He is (The One) Who has named you Muslims aforetime.}

[Al-Hajj (The Pilgrimage): 78]

He also says:

{Ibrahim was in no way a Jew, neither a Nazarene;[3] but he was unswervingly (upright)[4] Muslim; and he was in no way one of the associators.}

[Al-Imran (The Household of Imran): 67]

Talking about the journey of Al-Isra'a And Al-Mi`raj, the Messenger Muhammad said that he saw Musa (Moses), `Isa (Jesus) and Ibrahim (Abraham). He said that the intimate friend of Allah, Ibrahim, was the one bearing the closest resemblance with him (the Messenger Muhammad himself) amongst people. While Muhammad referred to the facial and bodily resemblance, such resemblance also extended to reach the roots of the Islamic Call. Stated differently, Muhammad's Call to the tolerant true religion is a renewal of Ibrahim's Call. Remarkably, the Father of Prophets, Ibrahim, has been distinguished from all the Messengers by being prayed over in

---

[3] i.e., a follower of `Isa (Jesus), Nasaraniyyan.
[4] i.e., veering away from idolatory.

Isra'a means walking at night, and Al-Mi`raj means ascending up. Regarding the first, Allah says:

{So set forth, with your family, in a watch of the night.}

[Hud: 81]

Concerning the second, Allah says:

{To Him the angels and the Spirit wind up.}

[Al-Ma`arij (The Stairways): 4]

According to the journey, the Prophet was taken from the Inviolable Mosque in Mecca to the Aqsa Mosque in Palestine. Allah, the Almighty, says:

{Hymned be He, Who made His bondman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Further[2] Mosque.}

[Al-Isra'a (The Night Journey): 1]

The Prophet said, "Jibril (Gabriel) came to me with Al-Buraq, a white animal, smaller than a mule and bigger than a donkey. I set out with him and when we reached Baitul-Maqdis (in Jerusalem), uncountable people gathered, then a muezzin called for prayer, so we all stood in rows waiting for someone to lead us in prayer. Here, Jibril took me and let me lead them in prayer. When we finished prayer, Jibril asked me, 'Do you know who were those who performed prayer behind you?' I said, 'No.' Jibril said, 'They were all the prophets sent by Allah, Exalted be He, since the creation of mankind.' " After that, the Prophet ascended to the heaven.

It was not easy for the people of Mecca to believe the journey of Al-Isra'a and Al-Mi`raj, for they thought about it using the human logic and law. They were unaware that Allah was the Creator of law and logic and that He could render them inactive

---

[2] Literally: Remotest, Aqsa.

against him in Mecca, he left for Al-Ta'if. In Al-Ta'if, he did not expect to receive such a bad treatment from its peoples who harmed him through speech and action. Thus, when he could not find any use for the human causes, he directed his soul to Allah invoking Him. Ibn Ishaq narrated that the prophet called Alah saying:

"O Allah, to You I alone complain my weakness, helplessness and humiliation among people. O You, the Most Merciful, You are the Lord of the weak, and You are my Lord. Whom will You charge over me; a far-off (person) who would mistreat me or an enemy whom You charged over me. In case You are not angry with me, I should not care, but Your forgiveness is more extensive for me. I seek refuge with the light of Your Face, that lit the darkness(es) and set right the matter of this life and the hereafter, from inflicting Your anger upon me or afflict Your discontent on me. There is no might nor power save with Allah."

The meaning of the invocation is that Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) had spared no effort and considered every cause. Allah was able to render His Prophet victorious without any effort to be exerted on his part, but He, the Almighty, left him to think about causes so that he would do his best to be a good example for his nation lest it should abandon causes.

Allah, Glorified be He, prepared the journey of Al-Isra'a and Al-Mi`raj for His Messenger as a means of compensating him for what he had suffered at the hands of the people of the earth, and to let him know that there was another world in the heaven welcoming him and exalting his rank among them. Allah prepared that journey for him to remove the sadness he suffered due to the death of his wife and his uncle. In addition, Allah let him see major signs to establish his heart and make him forget the pain and bad treatment he suffered, thus he could continue to deliver the Message of his Lord.

The event of Al-Isra'a and Al-Mi`raj was after the mission of the Prophet and before his immigration to Medina. Al-

Talib's sticking to the religion of his people that made the polytheists of Quraysh compliment him by not harming the Messenger. Moreover, Lady Khadija the faithfuls mother (may Allah be pleased with her) was encouraging and pacifying him. He would resort to her at the times of fear, so she could take care of him by her kindness and tenderness and would remove the traces of harm and harsh treatment he would suffer from those denying the Divine Message.

It happened that Allah willed that Lady Khadija die in the same year in which the Prophet's uncle, Abu Talib, died. When Abu Talib was on his death bed, Allah's Messenger came to him and found with him, Abu Jahl and `Abdullah Ibn Abi Umaiya Ibn Al-Mughira. Allah's Messenger said, "O uncle! Say: None has the right to be worshipped except Allah, a sentence with which I will defend your case before Allah." On that, Abu Jahl and `Abdullah Ibn Abi Umaiya said to Abu Talib, "Will you now abandon the religion of Abdul-Muttalib?" Allah's Messenger kept on inviting him to say that sentence while the other two kept on repeating their sentence before him till Abu Talib said as the last thing he said to them, "I am on the religion of Abdul-Muttalib," and refused to say: None has the right to be worshipped except Allah. On that Allah's Messenger said, "By Allah, I will keep on asking Allah's forgiveness for you unless I am forbidden (by Allah) to do so." So Allah revealed:

{The Prophet and the ones who have believed should in no way ask forgiveness for the associators.}

[At-Tawba (Repentance): 113]

Concerning Abu Talib's case, Allah, the Almighty, also revealed the following verse while directing His words to the Prophet:

{Surely you do not guide whomsoever you love, but Allah guides whomsoever He decides.}

[Al-Qasas (The Narrative): 56]

Despite the fact that Allah's Messenger was quite certain that Allah would render him victorious, he followed the human causes in delivering the Message. For example, when aggression went severer

Al-Isra'a and Al-Mi`raj[1]...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Allah, Exalted and Glorified be He, is the Creator of causes as well as the caused matters and consequences. He makes causes for matters to be perceived by humans as premises from which conclusions are derived. Allah, the Almighty, is in no need of such causes, for He can make His religion (i.e., Islam) victorious without any kind of *Jihad* (i.e., fighting in Allah's Cause) by His Messenger. Nevertheless, the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) came as an example for his nation, and his existence was limited in this life, so what would his nation do after him? How could it defend its religion and heritage? That nation is demanded to protect his Message, so how will it do that?

The opposers and hateful parties existed in the time of the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him). They even planned to get rid of him by assassinating him, but Allah, Exalted be He, saved him from their conspiracies and saved him from those who waged wars against him and those who followed him. Undoubtedly, those enemies will appear again after his death. During his life, the Prophet Muhammad was in need of two kinds of protection: external and internal. As for the first one, he was needing an external protection against the disbelievers of Qurayash. The second kind was an internal protection in his home so that he could feel tranquility, calmness and rest. However, in both cases, he was surrounded by Allah's protection, the One Who has created causes and commanded us to consider them.

Abu Talib, the Messenger's uncle, provided him with external protection against the polytheists of Mecca. It might be that Abu

---

[1] Al-Isra'a (Night Journey): The miraculous journey which Prophet Muhammad made by night from Mecca to Jerusalem. Al-Mi`raj (Ascension): It is the miraculous ascension of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) from Jerusalem to the Heavens to meet his Lord.

AL-AZHAR MAGAZINE

Rajab, 1427 A. H.



ENGLISH SECTION

July. 2006

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

الفهـــــرس

AL AZHAR MAGAZINE

Rajab , 1427 A.H.Aug, 2006.
Vol. 79, Part VII.

